سوالف الثقافية
العدد (18) إبريل 2026

ملف العدد

عبد الكريم قاسم
المثقف الموقف

- كيف تعرف أنك لائق للكتابة
- رقصات جزيرة سقطرى
- ميرا جوبتا وعالمها الفني الساحر

بـــــوصـــلـــة

رئيس التحرير

بـلال قايــد

تضاعفت في الآونة الأخيرة إصدارات الشباب اليمني من الجنسين ، ودارت في معظمها حول الجانب الاجتماعي والقضايا التي تخص المرأة والشباب خصوصا الحرب الدائرة منذ أكثر من عشر سنوات ، وكانت هذه الإصدارات من نوعية الكتب التي لا تنتظر أن يجيزها الأدباء الكبار إن جاز لنا أن نطلق عليهم هذا الوصف.

فالكاتب الشاب اليوم لم يعد ينتظر "صك الغفران" من النقاد التقليديين؛ فقد انطلق في فضاءات تجريبية واسعة ، مستفيدًا من الانفتاح المعرفي والتقني. ووسائل التواصل الاجتماعي لإيصال كتاباته وصوته للخارج والداخل فهم يسعون إلى كسر احتكار الأدب من قبل فئة هم يرونها أنها لم تقدم لهم أي جديد أو فتحت لهم آفاقًا للتحرك والانطلاق.

ومن الملاحظ من خلال الإصدارات التي تصل إلينا أنها تميَّزت بالجرأة في الطرح والاشتغال على تقنيات السرد الحديثة ، بصبغة محلية ، رغم أن بعضها لم تستطع أن تتخلص من اللغة التقريرية ، ونحن نعذرهم بحكم أن هذه الإصدارات تمثل تجاربهم الأولى؛ ولكل تجربة ما لها و ما عليها.

كما ظهرت موجة من النصوص التي تمزج بين الشعر والنثر والخواطر ، وهي تعبير صادق عن الهوية الثقافية المعاصرة لدى الجيل الجديد ، وعدم التزامهم بالحدود بين الأجناس وهي تأتي كتجسيد لقول الكاتب إدواردو غاليانو " لا أؤمن بالحدود التي تفصل بين الأجناس الأدبية التي وضعها ضباط جمارك الأدب"

ولعل من بديهي القول بإن الموهبة وحدها ، مهما بلغت ، قد تنطفئ في ظل غياب "الحاضنة" المؤسسية ، وهنا يأتي دور الدولة ليس فقط كراع للثقافة ، بل كشريك في صناعة اجيال جديدة تواصل ما بدأته الأجيال السابقة والتي حفرت لنفسها طريقًا ج في ظلِ انعدام الوسائل تلك الفترة

ومع صرورة تكاتف كافة الجهود لتطوير القطاع الاقتصادي وتطوير الأنشطة المتعلقة به... لكن وللأسف نجد أن القطاع الخاص يهرب أو يتهرب من مسئوليته تجاه القطاع الثقافي ، في لحظة حرجة يواجه فيها القطاع الخاص مخاطر الإهمال و التهميش و الإقصاء وهو أحوج ما يكون لأن يُلتفت إليه بسبب الأوضاع وغياب دور الدولة الرئيسي في احتضانه.

ولعل لامبالاة القطاع الخاص بالقطاع الثقافي انعكاس لعدم اهتمام الحكومة بهذا الجانب فلا قوانين متخصصة تؤسس لهذا القطاع المهم ، و لا جوائز ولا مهرجات ، ولاحتى تشجع عليها بالرغم من أن هذه الخطوات هي الحافز الرئيسي للانخراط في صناعة ثقافية.

وهنا تبرز أهمية سياسة "اقتناء الإنتاج الأدبي" من قبل المؤسسات والجهات المعنية (مثل الوزارات والهيئات العامة ، المدارس الخاصة ، والمؤسسات والشركات الخاصة) فهي أحد أقوى أدوات الدعم المباشر ، لما ذلك من أثر مباشر مما يحرك عجلة النشر لأن دور النشر عندما تضمن أن الدولة ستشتري نسبة من النسخ لتوزيعها على المكتبات العامة ، ستشجع على تبني أقلام شابة جديدة... الأمر الذي سينعكس بآثاره الإيجابية على الصناعات الثقافية بمختلف مستوياتها وأنواعها ، وهذا الأمر سيعزز وصول الإبداع للجمهور ، فتواجد الإصدارات الشبابية في أرفف المكتبات الوطنية والمدرسية يضمن وصول أصواتهم إلى شرائح مجتمعية واسعة ، مما يرفع من معنوياتهم.

ولأن الحديث يطول حول الصناعات الثقافية ودور الدولة والمؤسسات في دعمها وسن قوانين تشجع على الاستثمار فيها فلنا عودة لها في ملف قادم يتناول هذه الزاوية الهامة.

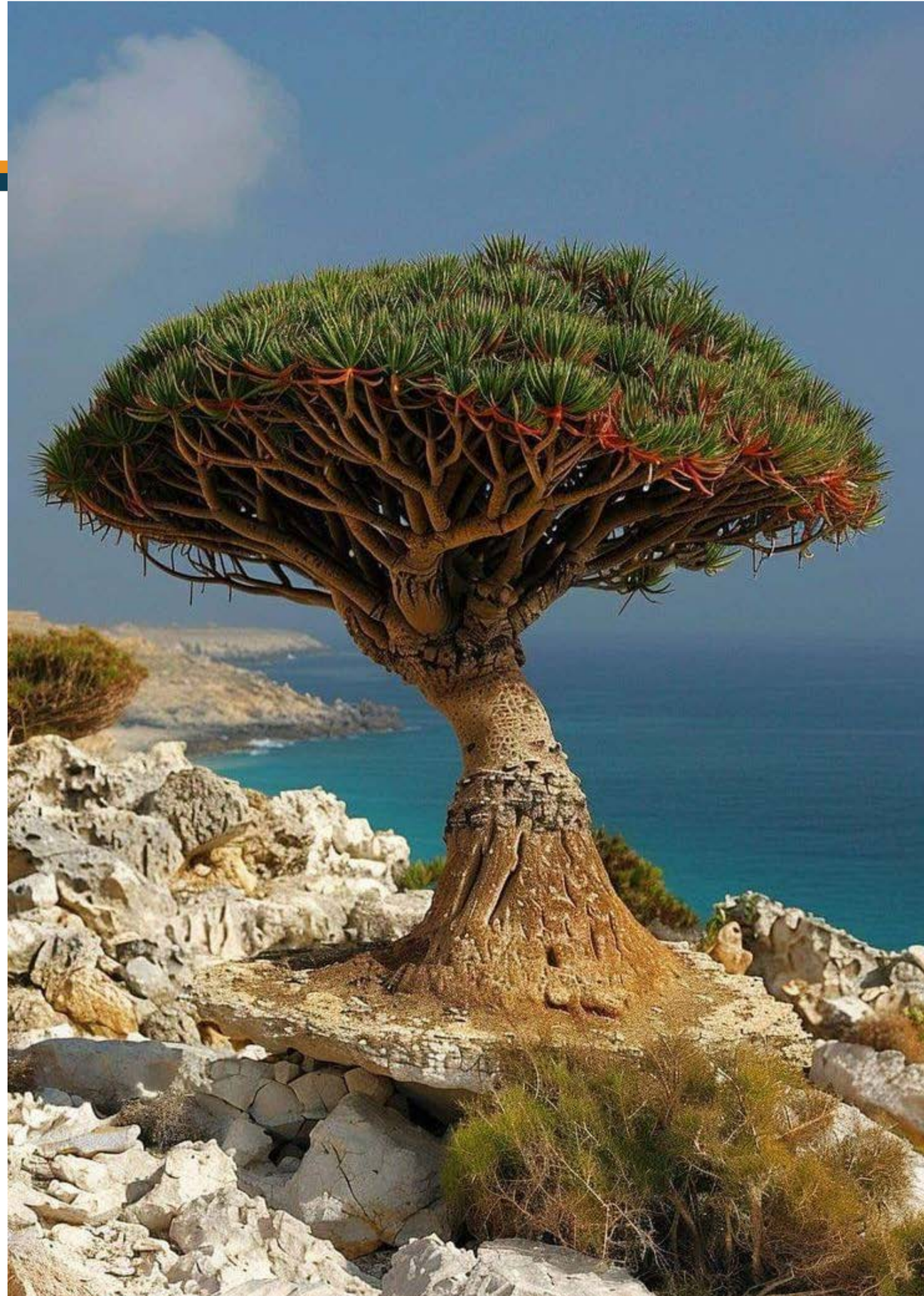

سُلاف الثقافية

مجلة شهرية ثقافية، فنية،منوعة

العدد (18) إبريل 2026

إشراف عام
أوس الإرياني

رئيس التحرير
بلال قايد

مدير التحرير
محمد النظاري

هيئة التحرير
مها شجاع الدين
رانيا الشوكاني
محفوظ الشامي

الدراسات النقدية، والأبحاث
عبدالوهاب سنين

المحررون
انتصار السري
عبد الرزاق الكميم
عبد الله حمود الفقيه

المراجعة اللغوية
د. أميرة شايف
أمة المولى القادري

علاقات عامة وإعلان
محمد السناب

تصميم المجلة
رانيا الشوكاني

شروط النشر

ترحب المجلة بمقالاتكم ، ودراساتكم ، وأبحاثكم في الثقافة ، والفكر ، والأدب ، والفنون ، والنصوص ، والقصائد ، والقصص القصيرة.

1- أن تكون المواد المرسلة خالية من الأخطاء الإملائية.

2- أن ترسل المواد في ملف وورد مذكور فيه عنوان المادة ، واسم الكاتب.

3- ألا يزيد حجم المقالة أو الدراسة أو البحث عن 1200 كلمة كحد أقصى ، وألا تقل عن 500 كلمة ، وأن ترفق بالمصادر إن وجدت.

4- ألا تقل القصص القصيرة عن 550 كلمة ولا تزيد عن 700 كلمة.

5- ترحب المجلة بالمواد المترجمة من لغات أخرى ، على أن تتضمن اسم الكاتب الأصلي للمقالة واسم المصدر الأصلي للمادة المترجمة.

6- الإشارة بشكل واضح إذا كانت المادة قد نشرت من قبل أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

7- في الوقت الراهن المجلة لا تدفع مقابل الإنتاج الفكري.

عناوين البريد الإلكتروني:

الإعلانات: ads@sulaf.org
إرسال مواد للنشر: contact@sulaf.org
التواصل مع الكتّاب: articles@sulaf.org

fb.com/sulafmag
+967 733 517 751
contact@sulaf.org
www.sulaf.org
+967 783 794 861

أبواب ثابتة

بوصلة
بلال قايد 1

قصاصات ملونة
بدر بن عقيل 20

زاوية مشوشة
عبير اليوسفي 25

بواكير
وجدي الأهدل 43

مفاتيحي إلى عوالمهم
علي العجري 97

ثقافة نفسية
د.عبدالحافظ الخامري... 102

ثقافة صحية
ليلى حسين 110

بروفايل
سماح الحرازي 111

تأملات
دلال غانم 114

الموروث الشعبي
نوال القليسي..... 116

شوية شغف
إبراهيم طلحة 120

واحة الأطفال
غدير الرعيني 127

نقطة ضوء
نادي القصة 128

سلاف القول
أوس الإرياني 142

المحتويات

مـــلف الـــعدد 59 - 95

خيارات الفضيلة المدفوعة

صدام فاضل

الأب الروحي في الأدب الكويتي

محمد محمد مستجاب

ذكاء اليمني وفلسفته

مقداد عقان

معبد أوام في مأرب

عبد الرحمن مطهر

الأحياء القديمة في القاهرة

رحمان خضير عباس

سمياء الحنين في النص المخملي

أشرف ضلع

نصـــــوص

رف نسيان
عبير الرضي 23

لما يغني قاسم
علي القدسي 26

جربوا قتلنا بالأحذية
وليد سند 28

سلام على تفاح شيراز
عبدالناصر الجوهري 29

مرحبًا يا سلمى
محمد الصبري 112

وكيف كانت درامتنا
محمد طه 113

ابتسامة الفجر
صالح الأشبط 113

روح عالقة
أمل القالب 121

محطات
محمد غدية 123

الانحدار
خالد النهيدي 124

إخلاء طرف
شادي سلطان..... 125

أخبار وتغطيات
انتصار السري

دار عناوين تطلق مشروع توثيق الأدب اليمني ورواده

في إطار مشروعها الثقافي الرامي إلى حفظ الذاكرة الأدبية اليمنية وصون إرثها الإبداعي ، أعلنت دار «عناوين بوكس» عن خطوة جديدة في مسارها التوثيقي ، وذلك بعد إطلاق دليل الأدباء والكتاب اليمنيين المعاصرين.

حيث تستعد الدار لإطلاق سلسلة من المواقع الرقمية المتخصصة ، المكرّسة لأبرز رواد الأدب اليمني في مرحلتها الأولى ، وتشمل: عبدالله البردوني ، عبدالعزيز المقالح ، محمد عبد الولي ، حسين المحضار ، وزيد مطيع دماج.

وسوف تعمل هذه المواقع على تقديم محتوى ثري ومتكامل يشمل: السير الذاتية الموثقة ، وأرشيفًا بصريًا من الصور النادرة ، ونماذج مختارة من الأعمال الأدبية ، إلى جانب لقاءات وحوارات ، ودراسات ومقالات تحليلية. ويأتي هذا المشروع ضمن رؤية شاملة لبناء أرشيف رقمي حديث للأدب اليمني ، يربط الأجيال الجديدة بجذورها الثقافية ، ويعيد تقديم رموزه الكبرى بلغة العصر وأدواته.

حفل توقيع ومناقشة إصدارين للكاتب المفلحي في المركز الثقافي اليمني بالقاهرة

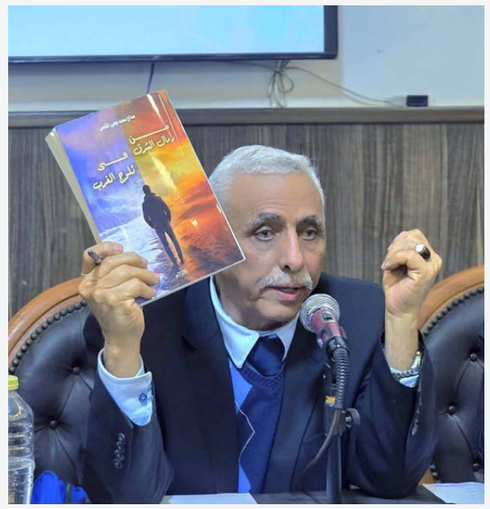

أقام المركز الثقافي اليمني في القاهرة حفل توقيع ومناقشة كتابين جديدين للكاتب الأستاذ صالح سعيد يحيى المفلحي ، هما: «وجوه ومدن... وحكايات من الطريق» و«من رمال الشرق إلى ثلوج الغرب».

وتحدث عن الإصدارين الدكتور سيد رمضان والدكتور محمد العسلي ، فيما أدار الحفل الأستاذ محمد عبد الوكيل جازم ، الذي أكد على أهمية إقامة المركز الثقافي اليمني في القاهرة أمسيات توقيع كتب قيمة ، والاحتفاء بالمبدعين في مختلف المجالات.

وأجمعت المداخلات في الحفل على تميز إصدارات المفلحي بالكتابة عن الجزئيات الدقيقة ، التي تنم عن حرصه على التوثيق والتدوين دون إغفال أي معلومة تترك أثرها في كل من يقرأ كتبه بشغف ونهم.

وأكدت المداخلات أن الكتابة عن الذاكرة الحية في بلدان الاغتراب تسهم في فتح صفحات من التاريخ للتواصل بين الأجيال وتعزيز الوعي الثقافي.

«ريشة ناعمة» معرض تشكيلي في أرنيادا

دشّنت مؤسسة أرنيادا للتنمية الثقافية المعرض التشكيلي الأول للفنانة ناعمة الشيباني ، والذي حمل عنوان «ريشة ناعمة» ، بحضور نخبة من الفنانين والجمهور الذي تفاعل مع اللوحات والمشغولات البصرية المنتمية لعديد من الأنماط والمدارس التشكيلية .

وجاء المعرض ضمن الفقرات الفنية المصاحبة لجلسات النقاش الأسبوعية في صالون أرنيادا الثقافي ، حيث خُصص هذا الأسبوع لمناقشة كتاب «أسرار الفن التشكيلي» للكاتب المصري الدكتور محمود بسيوني ، وهو دليل فني صيغ لمساعدة المتلقين على قراءة اللوحات التشكيلية أو صياغة رؤى نقدية من قبل المختصين.ودعت مؤسسة أرنيادا المهتمين بالفن التشكيلي إلى زيارة المعرض الذي سيستمر حتى الأربعاء القادم ، والذي يتضمن إمكانية شراء اللوحات الفنية ، حيث بيعت ست لوحات في اليوم الأول من المعرض. ويواصل صالون أرنيادا فعالياته الأسبوعية بغية نشر المعرفة ورعاية المبدعين واكتشافهم ، وخلق علاقة أكثر تواصلية بين النخب الفنية والجمهور في مدينة ما زالت تعيش تداعيات الحصار في مختلف المجالات.

أمسية ثقافية بعنوان «تجارب فنية وإبداعية» في عدن

شهدت مساحة «جسر الإبداعية» في العاصمة عدن تنفيذ جلسة استشارية تفاعلية للفنانين والمبدعين في مجال صناعة «الريلز» ، وذلك ضمن أمسية ثقافية حملت عنوان «تجارب فنية وإبداعية» في إطار برنامج المنتدى الثقافي.

وأقيمت الأمسية بالشراكة مع صالون عدن الثقافي ومبادرة «أولف» ، ضمن توجه يهدف إلى تعزيز الحوار الثقافي وتبادل الخبرات وإبراز التجارب الإبداعية.

وشارك في الأمسية كل من: التنفيذي لفرقة خليج عدن فهد شريح ، والمهندسة الإبداعية رنا محمد ، والمصور وصانع الأفلام عبدالله شداد ، فيما قدمها مازن العقربي ، وسط حضور مهتم وتفاعل لافت من المشاركين.

وتناولت الجلسة عددًا من المحاور المهمة ، من بينها تاريخ وتطور «الريلز» ، وكيفية تطوير الفكرة ، وفهم طرق صناعة محتوى جذاب ، والتعرف على أبرز الأخطاء التي قد تعيق الانتشار وتحد من وصول المحتوى إلى الجمهور.

ونُفذت هذه الفعالية ضمن الأنشطة التي تحتضنها مساحة «جسر الإبداعية» ، بهدف خلق مساحات عملية وتفاعلية تسهم في دعم المبدعين وتمكينهم من أدوات جديدة تعزز حضورهم الرقمي.

ويأتي هذا النشاط ضمن أنشطة مساحة «جسر الإبداعية» التي أنشأتها مؤسسة جدارية للتنمية الثقافية والإعلام في العاصمة عدن ، بتمويل من مشروع اليونسكو «توظيف الشباب عبر التراث والثقافة في اليمن» والممول من الاتحاد الأوروبي.

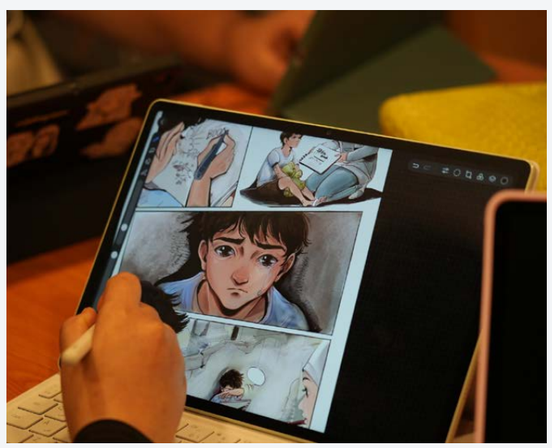

انطلاق فعاليات «مخيم الأفكار الأول» في جزيرة سقطرى

في إطار مشروع توظيف الشباب من خلال التراث ، دُشنت في جزيرة سقطرى فعاليات «مخيم الأفكار الأول في سقطرى» ، المخصص لمنظمات المجتمع المدني والفاعلين الثقافيين في الأرخبيل.

ويُنفذ هذا المخيم من قبل «كوكب سقطرى» (Socotra Planet) بالشراكة مع منظمة اليونسكو ، وبتمويل من الاتحاد الأوروبي.

وتخللت فعاليات المخيم نقاشات ثرية وأفكار جديدة وتجارب فريدة وملهمة لشباب سقطرى ، بما يسهم في تنمية قدراتهم وتعزيز دورهم في العمل الثقافي والمجتمعي.

نورا ناجي تحصد جائزة الشيخ يوسف بن عيسى للكتاب

أعلنت جائزة الشيخ يوسف بن عيسى للكتاب في دورتها الأولى عن فوز الكاتبة نورا ناجي بالجائزة المخصصة لفرع الآداب (الرواية) للعام 2025–2026 ، من بين 390 نصًا مشاركا.

وجاء فوز الرواية لما تميزت به من سبك سردي محكم ، حيث تحكي ثلاثة نماذج إنسانية نسائية تتقاطع في حكاياتهن معاني الموت والتلاشي والقهر والخوف ، على خلفية واقع مأزوم ولحظة تاريخية مفارقة.

وتعكس الرواية همًا عامًا لا ينفصل عن هموم شخصياتها ، التي استبصرت الكاتبة أعماقها وقرأت طبقات وعيها ، وصاغت مآسيها بلغة مكثفة ووصف شامل يوظف الحواس ، لتحقيق الإيهام عبر تقنيات سردية جذابة ، من أبرزها تقنية «الميتاسرد» ، حيث تتداخل رواية داخل أخرى ، وتتنوع الأزمنة والمنظورات السردية.

استدامة تعلن عن المؤتمر الدولي للرواية في اليمن

أعلنت مؤسسة استدامة للدراسات الثقافية والنقدية المستقبلية عن استعدادها لإقامة المؤتمر الأول للاستدامة الثقافية تحت عنوان: «المؤتمر الدولي للرواية اليمنية (مئة عام من الرواية في اليمن 1927 – 2027)».

وأكدت إدارة المؤسسة أن تنظيم المؤتمر يأتي احتفاءً بمرور قرن كامل على صدور أول رواية يمنية عام 1927 بعنوان «فتاة قاروت» لأحمد عبدالله السقاف ، ومنذ ذلك الحين توالت الإصدارات الروائية التي عكست هموم الإنسان اليمني وتحولاته الاجتماعية والتاريخية.

وأشارت إلى أن الرواية اليمنية مرت بعدة مراحل ، منها البدايات والرواية الواقعية والرواية الجديدة ، وبرز خلالها العديد من الأصوات والتجارب الإبداعية ، ما يستدعي الاحتفاء بهذا الإرث وإعادة قراءته.

وأوضحت المؤسسة أن المؤتمر يهدف إلى استعادة المشهد الروائي اليمني ، وقراءة تحولاته وتراكماته ، مؤكدة أنه

سيتم الإعلان عن جدول أعمال المؤتمر قريبًا ، مع الترحيب بالشراكات المختلفة لإنجاح هذا الحدث الثقافي.

منح «مسارات اليمن» تدشن مرحلة التدريب والإرشاد للأفلام الوثائقية

دشّنت منح «مسارات» للأفلام الوثائقية في نسختها الثالثة مرحلة التدريب والإرشاد للبرنامج ، وذلك من خلال جلسة تعريفية أُقيمت عن بُعد ، بمشاركة المخرجين والمخرجات المقبولين في البرنامج.

واستُهلت الجلسة بكلمة للمهندسة شروق الرمادي ، المدير التنفيذي ، التي تحدثت خلالها عن دور المؤسسة في تبنّي المشاريع الإبداعية ودعم المبادرات التي تسهم في تطوير قدرات الشباب ، مؤكدةً حرص المؤسسة على توفير مساحات تدريبية نوعية تسهم في صقل مهارات المخرجين ، وتمكّنهم من إنتاج أعمال وثائقية تعبّر عن واقع المجتمع وتوثّق قصصه برؤية مهنية معاصرة.

ومن المقرر أن تتضمن هذه المرحلة سلسلة من الجلسات التدريبية والإرشادية المتخصصة ، التي تواكب احتياجات المشاركين ، وتمكّنهم من الانتقال بأفكارهم من مرحلة التصوّر إلى التنفيذ ، بما يسهم في خلق جيل من المخرجين القادرين على تقديم محتوى وثائقي احترافي يعكس ثراء التجربة اليمنية وتنوعها الثقافي.

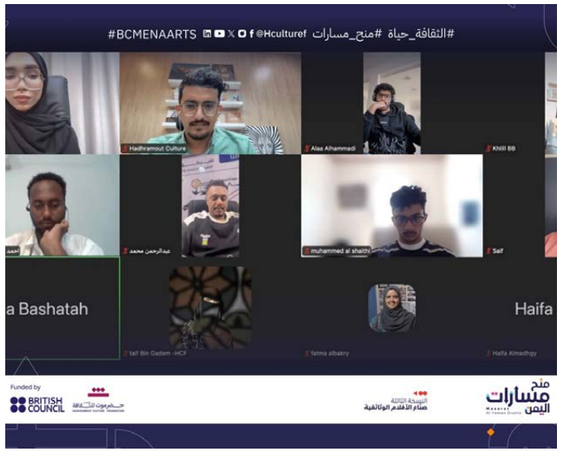

انطلاق مشروع «الكاتب الصغير» للقصة القصيرة في عدن

انطلاقًا من اهتمام مؤسسة جدارية للتنمية الثقافية والإعلام بدعم المواهب الشابة ، أُعلن عن إطلاق مشروع «الكاتب الصغير» المخصص للكتّاب اليافعين ، لدعوتهم إلى المشاركة في كتابة قصة قصيرة للأطفال.

وتهدف المؤسسة من خلال هذه المسابقة إلى تشجيع اليافعين على التعبير الإبداعي ، ضمن توجه الحاضنة الذكية للرسم الرقمي نحو تحويل الأفكار إلى أعمال بصرية ملهمة ، حيث سيتم تحويل القصة الفائزة إلى عمل كوميكس. وتستهدف هذه الفرصة الفئة العمرية من 15 إلى 18 عامًا من محافظة عدن ، ممن لديهم شغف بالكتابة والخيال ، ويرغبون في تقديم قصص موجهة للأطفال تحمل أفكارًا جميلة ورسائل إيجابية تنسجم مع عالم الطفل. وتتضمن المسابقة جوائز تشجيعية على النحو التالي: المركز الأول 50,000 ريال يمني ، المركز الثاني 25,000 ريال يمني ، المركز الثالث 25,000 ريال يمني ، إضافة إلى حصول الفائزين على هدايا من إصدارات مؤسسة جدارية من المجلات المصورة للأطفال.

عدن تستعد لاحتضان معرض الكوميكس بمناسبة اليوم العالمي للفن

تستعد العاصمة عدن لاحتضان أعمال معرض الكوميكس بمناسبة اليوم العالمي للفن الذي يصادف 15 أبريل ، وذلك تحت شعار «من الكوميكس... إلى الأنيميشن — مساحات جديدة للتعبير والإبداع».

وقد أُقيمت في استوديو الحاضنة الذكية للرسم الرقمي أعمال التحضير للمعرض ، من خلال إنتاج مجموعة من القصص البصرية التي تجمع بين القيمة الفنية والرسائل الإنسانية والمجتمعية والتوعوية.

ويهدف هذا النشاط ، الذي تنفذه مؤسسة جدارية للتنمية الثقافية والإعلام ضمن منح برنامج «الورشة الثقافية في اليمن» المنفذ من قبل الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) بالشراكة مع اليونسكو ، إلى إبراز قدرة الكوميكس والأنيميشن كأدوات بصرية معاصرة ، لا تخدم المجال الفني فحسب ، بل تفتح أيضًا آفاقًا مهمة أمام المؤسسات والمنظمات والشركات لتقديم رسائلها بأسلوب أكثر تأثيرًا.

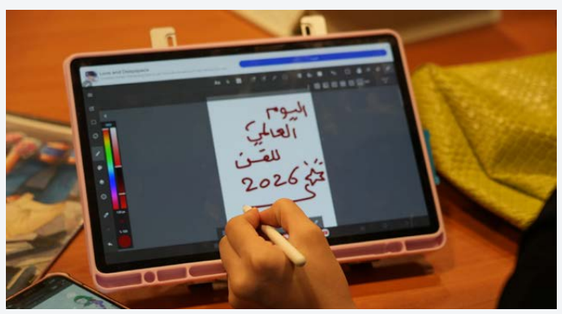

«أرجوان» في نسختها الجديدة كمجموعة فنية متكاملة

أُقيم في المركز الثقافي اليمني بالقاهرة ، وبحضور نخبة من الفنانين والفنانات ، حفل تدشين «أرجوان» في ثوبها الجديد كمجموعة فنية متكاملة ، بعد أن كانت منذ تأسيسها عام 2004 فرقة مسرحية.

وخلال الحفل تم التأكيد على أهمية هذه الخطوة النوعية ، والإشادة بدور «أرجوان» في إنعاش الحراك المسرحي من خلال تقديم أعمال مميزة في القاهرة ، من أبرزها مسرحية «أهل السطح» ومسرحية «ألف حيلة في ليلة».

من جانبه ، أوضح مؤسس الفرقة الأستاذ بندر باجبع أن «أرجوان» أصبحت تضم عدة أقسام ، تشمل المسرح ، والكتابة ، والاستعراضات الفنية ، والإنتاج المرئي ، إلى جانب قسم «الستاند أب كوميدي» ، في إطار توسيع دائرة العمل الفني والإبداعي.

كما استعرض مسيرة «أرجوان» منذ تأسيسها في السعودية ، مرورًا بإعادة تأسيسها في مصر ، وصولًا إلى أبرز إنجازاتها ، معلنًا عن بدء التحضيرات لإعادة تقديم مسرحية «أهل السطح» خلال عيد الأضحى المقبل ، مع دعوة الجهات الداعمة لمساندة الإنتاج المسرحي.

جلسة نقاشية لكتاب «ظلال لا يرسمها الضوء» في عدن

عُقدت في مساحة عدن الثقافية جلسة نقاشية نظمتها «منصتي 30» بالشراكة مع صالون عدن الثقافي ، لمناقشة كتاب «ظلال لا يرسمها الضوء». واستُهلت الجلسة بمقدمة استعرضت فيها الكاتبة الدكتورة صوفيا الهدار محتوى كتابها وأبعاده ، حيث أضفى حضورها طابعًا خاصًا على اللقاء ، من خلال تقديم قراءات معمقة حول النصوص.

وشهدت الفعالية حضور نخبة من المثقفين ، من بينهم الدكتور جنيد الجنيد ، والأستاذ كمال اليماني ، والدكتور أمين صالح ، ما أتاح نقاشات ثرية حول القضايا التي يطرحها الكتاب ، في أجواء من الحوار والنقد البنّاء. ويأتي هذا النشاط ضمن مشروع «مساحة عدن الثقافية» المدعوم من الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) بالشراكة مع اليونسكو.

سعيد خطيبي يفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية «بوكر 2026»

حصد الروائي الجزائري سعيد خطيبي الجائزة العالمية للرواية العربية «بوكر 2026» عن روايته «أغالب مجرى النهر» ، وذلك خلال إعلان رسمي عبر بث افتراضي.

وجاء اختيار الرواية من بين 137 عملًا روائيًا ، لما تتميز به من عمق فني وبنية سردية متماسكة.

وتدور أحداث الرواية في الجزائر العاصمة عبر مسارين سرديين؛ الأول يتناول قصة طبيبة عيون تُتهم بقتل زوجها ، والثاني يتناول سيرة والدها المقاوم ، مع تقديم قراءة تاريخية تمتد من الحرب العالمية الثانية إلى العشرية السوداء.

حضرموت للثقافة والجامعة الأمريكية بالقاهرة تحتفيان بالإرث الأدبي لباكثير

أعلنت الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومؤسسة حضرموت للثقافة عن شراكة ثقافية استراتيجية لتقديم العرض المسرحي المتميز «متحف باكثير» على خشبة مسرح الفلكي بحرم الجامعة بالتحرير ، يومي 1 و2 مايو 2026. وتهدف هذه الشراكة إلى الاحتفاء بمرور 115 عامًا على ميلاد الأديب الرائد علي أحمد باكثير (1910–1969) ، من خلال إحياء إرثه الإبداعي برؤية مسرحية معاصرة.

ويتضمن العرض ، الذي أخرجه وأعدّه دراميًا المخرج أحمد فؤاد ، مزيجًا من الدراما والغناء والوسائط البصرية الحديثة ، متجاوزًا أساليب التوثيق التقليدية ، ليخاطب جيل اليوم بلغة فنية حيّة وعميقة في آن واحد. ويأتي هذا العرض ضمن سلسلة متواصلة من الفعاليات الثقافية التي انطلقت في دار الأوبرا المصرية في ديسمبر 2025 ، وتمتد على مدار عام كامل تحت شعار «115 عامًا من التأثير» ، احتفاءً بإرث باكثير الأدبي ، من خلال إعادة قراءته بأدوات معاصرة تهدف إلى الوصول إلى جمهور جديد في أرجاء العالم العربي.

وتُعد مؤسسة حضرموت للثقافة مؤسسة ثقافية غير ربحية ، تضطلع بمهمة تعزيز الوعي الثقافي ودعم المشاريع الإبداعية المستدامة التي تصل الإرث العربي بآفاق المستقبل العالمي ، كما تعمل من خلال برامج المنح والمبادرات الأدبية وفعاليات الفنون الأدائية على تطوير الكتّاب وفناني المسرح والموسيقيين ، وتعزيز حضورهم محليًا ووطنيًا ودوليًا.

مؤسسة جدارية تعقد جلسة فنية لعدد من المصورين الفوتوغرافيين

ضمن أنشطة مؤسسة جدارية للتنمية الثقافية والإعلام ، أُقيمت جلسة فنية جمعت عددًا من المصورين الفوتوغرافيين ، خُصصت لتبادل الأفكار وعصف ذهني للخروج برؤى عملية قابلة للتنفيذ.

وركزت الجلسة على تطوير مفاهيم بصرية مشتركة ، تمهيدًا لإقامة معرض فوتوغرافي يضم أعمال المشاركين ، ويعكس تجاربهم وزوايا رؤيتهم المختلفة.

وأدار الجلسة المدرب والمصور عبدالله جمال ، حيث عمل على توجيه النقاش وصياغة الأفكار بشكل عملي قابل للتطبيق.

ويأتي هذا النشاط ضمن أنشطة «مساحة جسر الإبداعية» ، التي أنشأتها مؤسسة جدارية للتنمية الثقافية والإعلام في العاصمة عدن ، بتمويل من مشروع اليونسكو «توظيف الشباب عبر التراث والثقافة في اليمن» ، والممول من الاتحاد الأوروبي.

همدان دماج مستشارًا ثقافيًا للمنتدى العربي للتعدد الثقافي في المملكة المتحدة

تم تعيين الكاتب والروائي اليمني همدان زيد دماج مستشارًا ثقافيًا للمنتدى العربي للتعدد الثقافي في المملكة المتحدة. ويُعد الدكتور همدان أديبًا وباحثًا أكاديميًا يمنيًا ، شغل منصب نائب رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ونائب رئيس مهرجان ليفربول للثقافة العربية في بريطانيا. ويُعد من الأسماء الفاعلة في الحقلين الثقافي والأكاديمي ، وله حضور مؤثر في قضايا الفكر والأدب والعمل العام المرتبط بالشأن اليمني. وحصل على الدكتوراه في الأنظمة الكمبيوترية المعقّدة من جامعتي ريدنغ ولندن ساوث بانك في بريطانيا عام 2005 ، وقد جمع في مسيرته بين البحث العلمي في مجالات التكنولوجيا والعمل الثقافي والأدبي ، ما منح تجربته طابعًا عابرًا للتخصصات. كما عمل في الصحافة الثقافية لسنوات ، وتولى منصب مدير تحرير صحيفة «يمن تايمز» الناطقة بالإنجليزية ، ورئاسة تحرير مجلة «غيمان» الأدبية ، التي عُدّت من أبرز المجلات الأدبية اليمنية ، إلى جانب مشاركته في تحرير وإعداد عدد من الإصدارات الأدبية والفكرية.

اليونسكو تُقر مشروعًا طارئًا لحماية جامع المظفر في تعز

أعلن سفير اليمن لدى اليونسكو اعتماد مشروع طارئ لحماية جامع المظفر الأثري في تعز ، والذي أُدرج مؤخرًا على قائمة الحماية المعززة لدى المنظمة.

وأكدت الهيئة العامة للآثار والمتاحف عزمها ، بالتعاون مع كافة الجهات المعنية ، على بذل الجهود اللازمة لصون تراث تعز وآثارها ، والحفاظ على هذا المعلم التاريخي المهم.

الفنانة التشكيلية أروى مطهر تقيم معرضها الرابع في حديقة السبعين

أقامت الفنانة التشكيلية أروى مطهر معرضها التشكيلي الرابع في الركن الفني بحديقة السبعين بالعاصمة صنعاء ، برعاية وتنظيم متجر «فن ستور».

وجاء المعرض تجسيدًا لفكرة استضافة المبدعين في فضاءات مفتوحة ، مستعرضًا فلسفة الدمج بين الفن والحياة ، وسط حضور لافت من الأكاديميين والمسؤولين والشخصيات الاجتماعية.

وتضمن المعرض ، إلى جانب اللوحات التشكيلية ، أعمالًا يدوية وإكسسوارات فضية وحقائب قماشية ومجسمات معمارية تحاكي الهوية اليمنية الضاربة في جذور التاريخ.

وتجول الحاضرون في أرجاء المعرض المقام في الهواء الطلق عند المدخل الشمالي للحديقة ، مطّلعين على المقتنيات التي عكست اهتمام الفنانة بالتوثيق التراثي وبراعتها في التجسيد الجمالي ، في أجواء اجتماعية جمعت مختلف الفئات العمرية ، حيث تحولت الحديقة إلى صالة عرض مفتوحة تعيد وصل المجتمع بجذوره التاريخية من خلال الفن.

صالون عدن يشارك في اليوم العالمي للكتاب

احتفاءً باليوم العالمي للكتاب ، شارك صالون عدن الثقافي في معرض الكتاب الذي أقيم في الجامعة الألمانية الدولية بالعاصمة عدن ، مقدمًا مجموعة متنوعة من الكتب الأدبية ، والفكرية والإسلامية والاجتماعية.

وشهد المعرض إقبالًا لافتًا من الزوار ، حيث تميز ركن الصالون بتوفير خدمة تبادل الكتب ، التي نالت استحسان الحضور.

ويأتي تنظيم المعرض بالتزامن مع اليوم العالمي للكتاب (23 أبريل) ، الذي تحتفي به منظمة اليونسكو ، تأكيدًا على أهمية القراءة والكتابة في تنمية المجتمعات وصون الذاكرة الثقافية.

كما صاحب المعرض عدد من الفعاليات الأدبية التي نظمتها مبادرة «مجاز» ، والتي تسهم في إبراز المواهب الأدبية ، وإثراء الحراك الثقافي بنصوص تعبّر عن تنوع الأصوات وثراء الخيال.

وزارة الثقافة تنظم ندوة حول واقع الكتاب وحقوق الملكية الفكرية في اليمن

نظمت وزارة الثقافة والسياحة ممثلة بقطاع المصنفات والملكية الفكرية والهيئة العامة للكتاب والنشر والترجمة والتوزيع ندوة ثقافية بعنوان "واقع الكتاب وحقوق الملكية الفكرية في اليمن". وتحدث وكيل وزارة الثقافة والسياحة لقطاع المصنفات والملكية الفكرية عبدالملك القطاع ، أن الندوة التي أقيمت في إطار الاحتفاء باليوم العالمي لكتاب الطفل 8 ابريل ، واليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف 23 أبريل ، واليوم العالمي للملكية الفكرية 26 أبريل ، تناولت ثلاث أوراق عمل ، تشمل حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون اليمني وتعظيم القيمة الاقتصادية للأصول الفكرية في ظل الاقتصاد الإبداعي ، والكتاب ودوره في تطور حضارة الأمم. وقد صاحب الندوة التي أقيمت بدعم من صندوق التراث والتنمية الثقافية توقيع كتاب الأطفال "اهازيج البراعم" للشاعر احمد النظامي ، وكتاب ببليوغرافيا الرواية اليمنية 1920 ـ 2025م للقاص والكاتب زيد الفقيه.

حضرموت تستعد لاحتضان فعالية القمة الثقافية

سلاف-خاص

تستعد محافظة حضرموت ، لاستضافة واحد من أهم الفعاليات الثقافية.

حيث ستنطلق خلال يومي 16 و17 مايو الجاري ، فعاليات «القمة الثقافية» التي تنظمها وترعاها مؤسسة حضرموت الثقافية.

وتأتي هذه القمة كخطوة استراتيجية لتعزيز الحراك الإبداعي وربط الموروث الأصيل بتطلعات المستقبل.

تهدف القمة ، التي ستجمع نخبة من المفكرين ، الأدباء ، الفنانين ، وصناع القرار الثقافي ، إلى صياغة رؤية موحدة لدعم الصناعات الإبداعية في المنطقة. ومن المتوقع أن تسلط الجلسات الضوء على سبل استدامة العمل الثقافي وتحويل التراث الحضرمي إلى رافد حيوي للتنمية البشرية والاقتصادية؛ بغية فهم المشهد الثقافي اليمني خلال العقد الماضي ومناقشة مساراته القادمة.

وبحسب أدارة مؤسسة حضرموت: من المقرر أن تشهد الفعالية التي تستمر ليومين: ندوات فكرية: تتناول دور الثقافة في تعزيز السلم الاجتماعي والهوية الوطنية ، بالإضافة لورش عمل تخصصية: تركز على مجالات الأدب ، الموسيقى ، والفنون الأدائية ، وكيفية النهوض بها عالميًا ، إلى جانب طاولات مستديرة: لمناقشة فرص الشراكة بين القطاعين الخاص والعام لدعم المبدعين الشباب.

وتأتي رعاية مؤسسة حضرموت الثقافية لهذا الحدث امتدادًا لسلسلة المبادرات النوعية التي تطلقها المؤسسة وترعاها في إطار إحداث حراك ثقافي يخلق وعيًا مجتمعيًا ينعكس إيجابيًا على القطاع الثقافي في اليمن بمختلف مجالاته.

مكتب ثقافة إب يحتفي بكتاب «حبر الحياة» لسندس عبدالوهاب

أقامت رابطة إب الأدبية ، بالتعاون مع مكتب الثقافة في محافظة إب ، حفل إشهار كتاب «حبر الحياة» للراحلة سندس عبدالوهاب تاج الدين ، حيث استُهل الحفل بقراءة الفاتحة على روح الفقيدة.

وأُلقيت كلمة الرابطة التي تناولت جوانب من سيرة الفقيدة ، مشيرة إلى الجهود التي بذلتها إدارة الرابطة في جمع نصوصها ، والعمل على إعداد الكتاب حتى خرج بصورته المكتملة ، مؤكدة أهمية الدور الذي تضطلع به رابطة إب الثقافية تجاه أعضائها.

كما عبّرت عن شكرها لمكتب الثقافة بالمحافظة ، ممثلًا بمديره العام الأستاذ عبدالحكيم مقبل ، لما يقدمه من جهود في تنشيط الحراك الثقافي ، بما جعل مكتب الثقافة في إب نموذجًا يُحتذى به.

من جانبه ، أكد الأستاذ عبدالحكيم مقبل تميز الفعالية ، مشيرًا إلى أهمية استمرار العمل الثقافي رغم الظروف التي تمر بها البلاد ، مختتمًا حديثه بالدعاء للفقيدة ، ومشيرًا إلى قيمة الكتاب وتميز نصوصه.

كما ألقى شقيق الفقيدة كلمة مؤثرة تحدث فيها عن سجاياها ومعاناتها المرضية ، معبرًا عن مشاعر الفقد ، وموجهًا الشكر لمكتب الثقافة ورابطة إب الأدبية وزميلات الفقيدة.

واختُتمت الفعالية ببيع نسخ من الكتاب للحضور ، بحضور عدد من أعضاء مكتب الثقافة والرابطة الأدبية وجمع من أسرة الفقيدة.

فعاليات وأنشطة نادي القصة

في إطار دورة الأديب عبد الله عباس الإرياني ، واصل نادي القصة «إل مقه» نشاطه الثقافي بسلسلة من الفعاليات الأدبية المتنوعة التي عكست حيوية المشهد السردي اليمني ، وتنوع تجاربه بين الرواية والقصة وأدب الرحلات.

شهدت دائرة الرواية أمسيتين نقديتين؛ الأولى خُصصت لمناقشة رواية «الهروب الأخير» للروائي أحمد المفلحي ، حيث تناولها عدد من الأدباء والنقاد بقراءات ركزت على البناء السردي والدلالات الفكرية. كما نظمت أمسية أخرى احتفاءً برواية «خطوات الأعمى» للروائي نجيب عبد الرزاق التركي ، تميزت بحضور لافت ونقاشات ثرية ، اختُتمت بردود الكاتب على مداخلات الحضور ، ما أضاء جوانب العمل وأبعاده المعرفية.

وعن دائرة القصة ، فقد أقامت عدة فعاليات نوعية؛ حيث نُظمت جلسة لمناقشة الإصدار الثالث من سلسلة «وميض متجدد3» ، التي ضمت نصوصًا لعدد من الكاتبات ، ودار النقاش حول الجوانب الفنية والموضوعية ، بما في ذلك حضور الواقعية والفنتازيا ، وبناء الحبكة ، والنهايات الصادمة. وأجمع المشاركون على تميز التجربة وتنوع الأصوات السردية ، مع تسجيل بعض الملاحظات النقدية التي تثري مسار التطوير.

وفي سياق متصل ، احتفت الدائرة بالمجموعة القصصية القصيرة جدًا «أنين الغيم» للقاص خلدون الدالي ، حيث ركزت المداخلات على خصائص هذا الجنس الأدبي القائم على التكثيف والإيحاء ، مشيدة باللغة والصور البلاغية ، مع الإشارة إلى قلّة من يكتب هذا الجنس الأدبي في اليمن. وقد أبرزت النقاشات قدرة الكاتب على التقاط الحالة النفسية والإنسانية بعمق لافت.

من جانب آخر ، نظمت دائرة اللقاء عن بُعد فعالية نقاشية حول كتاب «على طريق الغيوم» للكاتبة أحلام جحاف ، تناولت العمل بوصفه تجربة مميزة في أدب الرحلات ، جمعت بين السرد المعرفي والانطباعي. وتطرقت المداخلات إلى ثراء المعلومات ، وحضور المقارنة الثقافية ، وتأثير المكان في تشكيل النص ، إضافة إلى تساؤلات حول تجربة الكاتبة وتفاعلها مع البيئات المختلفة.

عكست هذه الفعاليات مجتمعةً حضورًا ثقافيًا متجددًا ، وأسهمت في تعزيز الحوار النقدي ، ودعم التجارب الإبداعية ، بما يؤكد الدور الفاعل لنادي القصة «إلمقه» في إثراء الحركة الأدبية اليمنية.

انطلاقًا من القاهرة: «سلاف» تعزز حضورها الثقافي عربيًا ودوليًا

خاص - سلاف الثقافية

منذ بزوغها كمشروع حلم ، سعت مجلة «سلاف» لحجز مكانة مرموقة في الفضاء الثقافي والأدبي العربي ، فاتحةً أبوابها للإبداعات العربية المتنوعة. وفي هذا السياق ، تُثمن هيئة تحرير المجلة الجهود الدؤوبة التي يبذلها الدكتور أشرف أبو اليزيد؛ الشاعر والروائي والرحالة المصري وأحد أبرز كُتّاب المجلة ، الذي حرص على طباعة نسخ من المجلة على نفقته الخاصة لتوزيعها خلال جولاته وأسفاره الدولية.

ومؤخرًا ، التقت الشاعرة والفنانة الروسية مارجريتا آل ، رئيسة منظمة كُتّاب العالم ، بالدكتور أبو اليزيد؛ حيث شهد اللقاء تسليط الضوء على المحتوى النوعي للمجلة ، وبشكل خاص المقال الذي استعاد فيه د. أبو اليزيد ذكريات ترجماته لأعمال الشاعر التتاري الراحل عبد الله طوقاي ، بمناسبة مرور 140 عامًا على ميلاده. وفي بادرة لتعزيز الروابط الثقافية ، أهدى د. أبو اليزيد ومارجريتا آل نسخة من «سلاف» إلى جانب أحدث ترجماته «عروس البحيرة والمشط الذهبي» لجهات ثقافية فاعلة.

كما شملت جولة «سلاف» القاهرة ، حيث أهدى د. أبو اليزيد نسخًا من المجلة للدكتور شريف جاد ، مسؤول النشاط الثقافي في البيت الروسي بالقاهرة. ولم يتوقف العطاء عند هذا الحد ، بل وصل شعاع المجلة إلى العاصمة التونسية ، حيث استقرت نسخة من العدد الذي يتضمن «ملف طوقاي» في جناح الأدب الروسي والعربي بمكتبة البيت الروسي بتونس. بهذه الخطوات ، تكرس «سلاف» حضورها كجسر ثقافي يربط المبدعين بالقراء من المحيط إلى الخليج ، مؤكدةً ريادتها كمنصة تحتفي بالسير الذاتية وأدب الرحلة بلمسة فنية متميزة.

اختتام مؤتمر الأدب الوجيز... في سوسة

متابعات

بدعوة كريمة من صالون الأدب الوجيز بسوسة ، وتحت إشراف جمعية الفينيق للثقافة والإبداع ، وبدعم من المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بسوسة وبلدية مساكن ودار الثقافة بمساكن ، وبالتعاون مع مخبر الإنشائية وتحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة والملتقى الثقافي العربي ، انعقدت فعاليات الملتقى الدولي للأدب الوجيز في دورته الثانية تحت عنوان: «الأدب الوجيز ووسائط التواصل الاجتماعي».

وقد توزعت أشغال الملتقى على ندوة علمية امتدت على يومين ، شارك فيها باحثون وأكاديميون من تونس وعدد من الأقطار العربية ، حضوريا وعن بُعد ، وتخللتها قراءات إبداعية في نماذج من الكتابة الوجيزة ، واختُتمت بتنظيم مسابقة الأمين الدّيب للأدب الوجيز في دورتها الأولى ، في إطار تكاملي جمع بين البحث النظري والممارسة الإبداعية.

أولًا: الإطار العام وأهداف الملتقى

سعى هذا الملتقى إلى مقاربة العلاقة المركّبة بين الأدب الوجيز ووسائط التواصل الاجتماعي ، في ضوء التحولات العميقة التي يشهدها المشهد الثقافي في العصر الرقمي ، حيث لم تعد هذه الوسائط مجرد قنوات نشر ، بل أضحت فضاءات فاعلة في إنتاج النصوص وتداولها ، وفي إعادة تشكيل أنماط التلقي والذوق الجمالي.

وقد انطلقت المداخلات من وعي نقدي بأهمية مساءلة هذه العلاقة ، لما تطرحه من إشكالات تمسّ بنية النص الأدبي ، ووظائفه ، وأدوار منتجيه ومتلقّيه ، وما تستوجبه من مراجعة للأدوات النقدية التقليدية ، واستشراف لمقاربات جديدة قادرة على استيعاب التحولات الجارية.

ثانيًا: أبرز النتائج العلمية

أسفرت أشغال الملتقى عن جملة من النتائج والاستنتاجات العلمية ، من أبرزها:

1. التأكيد على أنّ العلاقة بين الأدب الوجيز ووسائط التواصل الاجتماعي علاقة مركّبة ، لا يمكن اختزالها في منطق التماهي أو القطيعة ، بل تقوم على تفاعل دينامي يفرض على النص الأدبي إعادة التفاوض مع شروط إنتاجه وتلقيه.

2. إبراز دور الأدب الوجيز المنشور في الفضاء الرقمي في الإسهام في تشكيل وعي قرائي جديد ، وإنتاج ذائقة جمالية مغايرة ، تقوم على التكثيف ، والسرعة ، والتفاعل ، وتعيد النظر في مركزية النموذج الورقي التقليدي.

3. التنبيه إلى الأثر العميق للتحولات التكنولوجية في إعادة تحديد أدوار الكاتب والقارئ والناقد ، وطرح أسئلة جوهرية تتصل بوجهة الخطاب الأدبي ، والذائقة المستهدفة ، وحدود حياد الوسيط الرقمي في توجيه المعنى وتداوله.

4. الإقرار بتحول الذوق الأدبي من ممارسة فردية إلى ممارسة شبكية جماعية ، تتداخل فيها المرجعيات الثقافية ، وتتشابك فيها سلطة النص مع سلطة التفاعل والتداول.

5. الوقوف عند إشكالية المصطلح المتداول (الافتراضي ، الإلكتروني ، الرقمي) وما يترتب عنها من تباين مفاهيمي ، بما يستدعي مزيدا من الدقة الاصطلاحية ، وتطوير جهاز نقدي ملائم لخصوصيات الأدب الوجيز في السياق الرقمي.

ثالثًا: التوصيات

يوصي الملتقى بضرورة مواصلة البحث العلمي في مجال الأدب الوجيز ، وتكثيف الدراسات التي تعنى بتحولاته الأسلوبية والتداولية في البيئات الرقمية ، والانفتاح على المقاربات البينيّة التي تجمع بين الأدب ، والسيميائيات ، والتداوليات ، ودراسات الإعلام والاتصال.

كما يدعو إلى تعزيز حضور الأدب الوجيز ضمن البرامج والمباحث الجامعية ، وتشجيع مشاريع البحث والرسائل العلمية التي تتناوله بوصفه جنسا أدبيا معاصرا ، قادرا على التعبير عن تحولات الواقع الثقافي والاجتماعي.

ويؤكد الملتقى أخيرًا على أهمية دعم المبادرات الثقافية والأكاديمية التي تسعى إلى ترسيخ جسور التواصل بين الفضاء الجامعي والفضاء الرقمي ، بما يسهم في تطوير البحث الأدبي ، ومواكبة دينامية الإبداع وتحول وسائطه.

الفيلم اليمني الطويل «المحطة» ضمن قسم أسبوع النقاد في مهرجان كان السينمائي.

متابعات- توفيق رشاد

كشفت إدارة مهرجان كان السينمائي في شهر أبريل الماضي عن قائمة الأفلام المختارة لدورتها الـ 79 ، والتي ستقام ابتداءً من 12مايو المقبل وتستمر حتى 23 مايو في فرنسا.

ومن بين أقسام المهرجان المختلفة ، أعلن المهرجان عن قائمة الأفلام المشاركة في قسم (أسبوع النقاد) ، والذي يضم 11فيلمًا روائيًا من مختلف أنحاء العالم ، من بينها الفيلم اليمني الروائي الطويل (المحطة) للمخرجة اليمنية-الأسكتلندية سارة إسحاق ، ومن إنتاج عربي أوروبي مشترك.

تدور أحداث الفيلم حول ليال التي تدير محطة وقود مخصصة للنساء فقط في اليمن ، وهي بمثابة ملاذ آمن نادر في بلد مزقته الحرب ، حيث تُمنع الأسلحة والسياسة والرجال. لكن عندما يواجه شقيق ليال الأصغر خطر التجنيد الإجباري ، تضطر لم شملها مع أختها المغتربة لإنقاذ الروح الوحيدة التي لا يزال بإمكانهما حمايتها.

في حضرة صفاء أبو خضرة

فراس حج محمد| فلسطين

أعلنت رابطة الكتاب الأردنيين؛ 31 آذار 2026 عن الفائزين بجوائزها بحقل الأدب والدراسات ، والتي أسفرت عن فوز الروائية والكاتبة صفاء أبو خضرة بجائزة الراحل محمد عياش ملحم في مجال سرديات المقاومة في فلسطين ، في حقل الأدب ، عن روايتها «اليركون» ، هذه الرواية التي استطاعت أن تلفت أنظار النقاد والكتّاب ، فتلقوها بالقبول والاحتفاء اللازمين ، فتناولوها بالتفكيك والتحليل ، والحوار ، وكان لي وقفة تحليلية مع الرواية والروائية ضمن كتابي المعدّ للنشر «ملامح من السرد المعاصر- أصوات روائية».

تعود علاقتي بالكاتبة إلى أكثر من ستّ سنوات ، عندما أصبحنا أصدقاء في العالم الافتراضي ، يقرأ أحدنا للآخر ، وكنت معجبًا بأسلوبها السلس الذي تصنعه بخبرة نسّاج يعرف موقع كل حرف وكلمة في معماره الفني. عرفت خلال ذلك أنها ذات أصول فلسطينية ، وحدثتني عن الجريشة وجدتها التي طال عمرها ، ولم تفقد الذاكرة قبل أن تكتب قصتها في رواية اليركون.

تمتاز صفاء بأنها تلتقط الحكايات والأفكار ، لتصنع رواية ، إنها تظلّ مهمومة للبحث عن فكرة طريفة ، كتلك التي وقعت عليها في روايتها الأولى «أنيموس» ، تخاف مثلها مثل الكتاب الجادين الكبار من مأزق الورقة البيضاء ، لا تكتب إلا بعد أن تتأمل ، وتأخذ مدى أبعد في التفكير ، فلا تشتغل على الفكرة مباشرة ، إنما تكتبها مرات عديدة ، لن أنسى تلك الرواية المخطوطة التي أنجزتها قبل «اليركون» ، ثمة من أعطاها رأيًا سلبيًا جدًا في الرواية ، فلم تتردد ، وتخلّصت منها دون أن يرفّ لها جفن ، يا للؤم أفكارها الصائبة! تشق بالخاطر الأول لدى أصدقائها ، وربما هذا ما جعلها مقلّة في الكتابة الإبداعية ، وكذلك في الكتابة عن الكتب.

لا تكتب صفاء أبو خضرة المقال النقدي الأكاديمي ، إنما تكتب المقال الأدبي ، بصفتها كاتبة ، وروائية وشاعرة ، لذلك عندما تغوص في الأعمال الأدبية كانت تذهب نحو الصنعة الأدبية ، وتتأمل أعمال الآخرين ، لأنها- على ما يبدو- تريد أن ترى نفسها على هَدْيٍ من نور هؤلاء ونارهم ، كثير من الكتب التي كانت يبعث بها إليها الأصدقاء لم يكن يعجبها أسلوب كتّابها ، ولم تكن ترضى عن الصنعة التي نُسجت على منوالها. تحسّ برهبة تجاه الشعر ، ونادرًا ما كتبت مراجعة نقدية في ديوان ، للشعر عندها مكانة خاصة ، أما السرد؛ قصة ورواية فالأمر أكثر واقعية وأوسع مجالا لتقول فيه ما تريد قوله.

إن صفاء تحسن القراءة كما تحسن الكتابة ، وأي كاتب لا بد له من هاتين الحسنيين ، فإن غابت إحداهما سقطت الآخرى تلقائيًا ، هكذا علمتني الكتابة ، وهكذا هي في حقيقة أمرها ، ولذلك تجدها تستخلص «شيار العسل» من كتب الكتّاب وتبرزها ، بل ربما رأيتها أحيانا مفتونة ببعض التعابير والتراكيب الأدبية التي تستهويها ، فتحتفي بها كمن وجد لقية غالية الثمن.

أظل على تواصل عن بعد مع صفاء ، وأحبّ أن تقرأ لي كتبي بأسلوبها الأدبي ، فكتبت عن كتاب «نسوة في المدينة» ، وعن كتاب «متلازمة ديسمبر» ، وفاجأتني- بتأمر لطيف مع صديقي الحيفاوي حسن عبادي- في حفل توقيع ديواني «على حافة الشعر: ثمة عشق وثمة موت» ، بكلمة قصيرة أطلقت عليّ فيها لقب «أبو الحروف» لكثرة النصوص التي أهديتها في الديوان لنساءٍ ، لم تواتيني الشجاعة لأكتب أسماءهن كما هي ، فأشرت إليهنّ بالحروف ، كما تشرّفت بأن كتبت مقدمة كتابي «تصدع الجدران- عن دور الأدب في مقاومة العتمة» ، لأنها من الكتاب الذين كانوا مهتمين جدًا بأدب الأسرى الفلسطينيين ، وكانت تتابع بألم قضايا الأسرى ، والإضراب عن الطعام ، وعندما انطلقت مبادرات الصديق حسن عبادي حول الأسرى الكتّاب كانت من أهم المشاركين في هذه المبادرات وما نتج عنها من فعاليات ثقافية في الأردن ، فقرأت كتب الأسرى ، وكتبت عنها مراجعات رائقة ، واستفادت من تلك الكتابات في روايتها «اليركون» ، وشاركت في بعض الحلقات التلفزيونية للحديث عن إنتاج الأسرى الفلسطينيين لتكون في صلب هذا النقاش السياسي الأدبي ، والثقافي الوطني.

صفاء ابنة فلسطين البارة التي تشتاق لأن تزور أرضها ، وتقبّل ترابها ، وتغمس قدميها في بحر يافا وعكا وحيفا ، وتشتمّ عبير أزهار الربيع المهفهف في سهولها ، وأن تسجد في ساحات الأقصى ، إن أمنيتها في تحرير فلسطين يفوق أمنياتها الشخصية ، ولذلك رأيتها في الحرب الأخيرة على غزة يصيبها ما أصابنا من هوس الانشغال بالأخبار ، والغرق في وجع الترقب ، والتمزق الداخلي على مرأى الأشلاء الممزقة ، لقد أصابها ما أصابنا من اكتئاب وجنون وبلاء ، تختفي ، وتلوذ بالصمت ، ولم يعد أحد

يدري أين هي ، انقطعنا عن التواصل ، وانقطعت عن الكتابة والظهور في الفيسبوك ، واختارت العزلة؛ لأن شيئًا في روحها أصابه العطب. إنها تلك الحرب المجنونة التي اشتعلت منذ السابع من أكتوبر وإلى الآن لم يخفت لها أوار ولم تنقطع ألسنة لهيبها ، وأظنها لن تنقطع عن قريب.

أنجزت صفاء أبو خضرة رواية اليركون التي تحتفي بها رابطة الكتاب الأردنيين ، فتتوج بالجائزة ، هذه الرواية التي تشرفت بأن أهدتني مبدعتها نسخة موقعة ، ممهورة بخط يدها ، وبتلك الأنامل الماهرة في صناعة نسيج الحكايات كتبت: «إهداء ، ، ، إلى الصديق فراس حج محمد/ من الماء إلى الماء نسبح في عرجون الحلم/ صفاء..../ كل التحية والتقدير 2024/7/20».

لقد كانت «اليركون» أكبر من رواية ، لأنّ فيها ما هو جدير بالملاحظة حيث العمل على لبّ الصراع مع اليهود ، صراع الأسماء واللغة والتاريخ الذي هو أهم من الصراع على الجغرافيا ، وما الصراع على المكان إلا لأنه الظرف الطبيعي الحضاري لاحتواء الإنسان والثقافة واللغة ، لذلك فإن رواية اليركون بهذا المنحى الفلسفي العميق تستحقّ أن تُدرّس ، وأن تُقرأ ، وأن تُحلل ، وأن تحصل على الجوائز.

إن أهم من الجائزة من وجهة نظري لأي كاتب فلسطيني مشغول بالهم الوطنيّ العام هو القدرة على الاستمرار في الكتابة ، لأن «من يكتب حكايته يرث أرض الكلام ، ويملك المعنى تمامًا» ، وصفاء أبو خضرة امتلكت ذلك المعنى تمامًا في اليركون وفي غير اليركون ، وحتى لا يأخذ الأعداء منا الحكاية واللغة كما استولوا عل الأرض في غفلة من الزمن لا بد لنا من الكتابة ، لأنّ «مصير الحكايات التي لا نكتبها تصبح ملكًا لأعدائنا» ، ولْنكتب ولْنواصل السرد وإعادة التشكيل ، فمبارك الفوز عزيزتي صفاء ، وليكن مجدك الأدبيُّ خالدًا ومخلّدًا.

بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني

فلسفة الكتابة في المعتقل وقراءة في أدب الحرية

متابعات

يعتبر كتاب «تصدع الجدران- عن دور الأدب في مقاومة العتمة» للناقد والشاعر الفلسطيني فراس حج محمد ، وثيقة نقدية وسياسية وفلسفية بالغة الأهمية في فهم ماهية الكتابة خلف القضبان ، صدر الكتاب عام 2023 عن دار الرعاة للدراسات والنشر في رام الله وجسور ثقافية للنشر والتوزيع (رام الله ، وعمّان)

إن هذا العمل البحثي التوثيقي والنقدي التحليلي لا يكتفي برصد النتاجات الأدبية للأسرى ، بل يغوص في أعماق الكينونة الفلسطينية التي تجد في الحرف ملاذًا أخيرًا لمواجهة محاولات المحو والإلغاء التي يمارسها الاحتلال ، مقدمًا دراسة شافية وافية حول أهمية الفعل الكتابي كأداة اشتباك يومي ومصيري ، من خلال هذا الكتاب ، يتبين أن المؤلف ينظر إلى كتابات الأسرى بوصفها شرخًا في جدار العتمة ، ومحاولة واعية لاسترداد الزمان والمكان المسلوبين ، حيث تتحول الورقة والقلم إلى معادلات موضوعية للحرية والحياة.

يطرح فراس حج محمد في كتابه تساؤلات جوهرية حول الجدوى والمغزى من الكتابة في ظل ظروف القهر المطلق ، فالكتابة في السجن ليست ترفًا فكريًا أو هواية لتزجية الوقت ، بل هي فعل وجودي بامتياز؛ فعندما يكتب الأسير ، فإنه يعلن عن حضوره الإنساني في وجه نظام يسعى لتحويله إلى رقم مجرد من المشاعر والتاريخ ، الكتابة هي الوسيلة التي يثبت من خلالها الأسير أنه موجود وحي ومكتمل ، وأنه لم ينكسر أمام آلة القمع التي تحاول سلب إرادته.

تؤكد المقدمة التي وضعتها الكاتبة صفاء أبو خضرة للكتاب أن هذه الثورة الأدبية تمثل جيلًا بأكمله غير قابل للهزيمة ، حيث يمسك الأسير بالقلم ليقول للعالم: أنا هنا ، أنا أتألم ، أنا أشتاق ، وأنا أقاوم ، إن الاعتراف بالمخاوف والأوجاع عبر الكتابة هو مواجهة صارمة وحادّة تخرج الكوابيس من مهجع الأمل ، وتجعل من الكلمة جسرًا يصل الروح بالجسد ، والداخل المحاصر بالخارج الفسيح.

تتجاوز أهمية الكتابة في حياة الأسير حدود الإبداع الفني؛ لتصل إلى مرتبة الضرورة البيولوجية والنفسية ، ويوضح المؤلف أن الكتابة تمثل للأسير استعادة الكينونة بالخروج من ضيق الزنزانة إلى رحابة المتخيل ، حيث يتحول الأسير عبر كلماته إلى عصفور ، بحر ، غيمة ، أو وردة على خد حبيبة ، وبالكتابة يتم التواصل مع العالم ، لكسر العزلة التي يفرضها السجان ، فالكتابة تجعل الأسير يشعر بأن هناك من يقرأ حروفه ويحلل كلماته في الخارج ، مما يمنحه إحساسًا بالحياة المستمرة ،

تمثل الكتابة أداة للصراع وفعل مقاومة بالدرجة الأولى ، وهي بندقية الحبر التي تواصل المعركة التي بدأها الأسير قبل اعتقاله ، وتجاوز الزمن للتغلب على مطحنة الأعمار والوقت الراكد في السجون ، خاصة لذوي الأحكام العالية (المؤبدات) الذين يجدون في الكتابة وسيلة للقفز فوق السنوات الطويلة.

يشدد المؤلف على أن التوثيق بأنواعه علامة من علامات الشعب الحي الذي يستشعر عظمة فعله الحضاري ، وفي سياق الحركة الأسيرة ، يرى حج محمد أن التوثيق مر بمراحل عدة ، عاكسًا التحولات التاريخية والسياسية للقضية الفلسطينية منذ عام 1948 ، وإن السجون في فلسطين المحتلة هي في الحقيقة أربعة أنواع ورثها الاحتلال عن الانتداب البريطاني والعهد العثماني ، وطور فيها وسائل تعذيب نفسية وفكرية ممنهجة.

نجح الأسرى عبر مئة عام من المواجهة في بناء تجربة اعتقالية غنية تعتمد على تراكم الخبرات ، ويقسم الكتاب مظاهر التوثيق إلى مستويات عدة:

التوثيق السياسي: حيث أصبحت مجتمعات السجن صورة مصغرة عن المجتمع الفلسطيني بتنوعاته الأيديولوجية ، وكان لكل فصيل برنامجه التثقيفي الصارم ، وتوثق التحليلات السياسية في كراريس خاصة توزع على الأسرى ، مما جعل المعتقل ركنًا أساسيًا في أي قرار وطني.

التوثيق الإداري: لضبط العمل التنظيمي وحل الخلافات وإجراء الانتخابات داخل السجن ، وصدرت تعليمات إدارية ملزمة وثقت يوميات الحركة الأسيرة وتفاصيل تعامل المعتقلين مع بعضهم البعض.

الجلسات التثقيفية: شملت الجوانب الأدبية والدينية والتعليمية ، وكانت توثق في محاضر خاصة تعكس التوجهات العقدية والفكرية لكل مرحلة.

إن انتقال جزء من هذه الوثائق إلى المكتبات الفلسطينية ، مثل مكتبة الأسير في مكتبة بلدية نابلس ومركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة بجامعة القدس ، يمثل حفظًا لذاكرة نضالية مكتوبة بخط اليد وبمداد المعاناة.

يصنف فراس حج محمد كتابات الأسرى ضمن مفهوم كتابة المضطهدين ، هؤلاء هم الكتاب الذين ينتجون أدبهم وهم خاضعون لسلطة قمعية تمارس ضدهم إساءة معاملة نظامية وجائرة. في السجن ، لا يواجه الكاتب الاضطهاد كفكرة مجردة ، بل كواقع مادي ملموس يتمثل في المداهمات ، ومصادرة المخطوطات ، والعزل الانفرادي ، والحرمان من أدوات الكتابة البسيطة.

يرى المؤلف أن مسألة الاعتقال تومئ حتمًا إلى التحكم بالجسد ، ففي الفكر الصهيوني ، يرتبط مفهوم الجسد الفلسطيني بالتدمير الكلي عبر الإبعاد ، والاعتقال ، أو التحييد السلبي ليصبح جسدًا غير فاعل ، وبالتالي ، فإن الكتابة تأتي كفعل استرداد لهذا الجسد؛ فالأسير الذي

يكتب يرفض أن يكون أداة تخضع للأوامر الطغيانية ، بل يمارس إنتاجًا فكريًا يخرجه من حالة الإقصاء من الإنسانية التي يسعى الاحتلال لفرضها.

يؤكد حج محمد أن الكتابة في السجن تطيح بكل شروط الإبداع التقليدية؛ فالأسير لا يحتاج إلى عزلة اختيارية أو طقوس إلهام ، بل يكتب في قلب الضوضاء ، ودون ضوء المصابيح المكتبية ، وفي ظل انعدام الخصوصية ، فالإلهام في السجن ليس وحيًا بل اقتناص للحظة ممكنة قبل أن تدهم وحدات القمع الغرفة وتصادر الأوراق.

يبرز الكتاب تنوعًا هائلًا في النتاج الأدبي للأسرى ، حيث لم يتركوا جنسًا أدبيًا إلا وطرقوه ، محققين توازنًا إبداعيًا بين الكتابة الذاتية الوجدانية وبين قضايا الأرض والسياسة ، وتمثل الرواية في السجن المشروع الكبير الذي يرمم فيه الأسير ذاكرته وهويته ، ويحلل حج محمد نماذج سردية بارزة:

كميل أبو حنيش: في أعماله مثل مريم/ مريام والجهة السابعة ، يغوص في جدلية الزمان والمكان ، معتبرًا السجن حالة برزخية بين الحياة والموت ، ومستخدمًا الكتابة وسيلة لفهم هذا العالم الوسطي المظلم.

باسم خندقجي: في مسك الكفاية ومحنة المهبولين ، يستحضر التاريخ الفلسطيني والتاريخ العربي؛ ليبني سيرة سيدة الظلال الحرة ، متجاوزًا لحظة السجن الراهنة إلى آفاق تاريخية أرحب.

عمار الزبن: في روايته الطريق إلى شارع يافا ، يزاوج بين العمل النضالي الميداني والعمل الروائي ، مفندًا رواية المحتل ومؤنسنًا حياة المطارد الفلسطيني.

منذر مفلح: في سردية الخرزة ، ينطلق من تفصيل مادي صغير (خرزة مسبحة) ليبني عليها عالمًا فانتازيًا يربط الماضي بالحاضر ، مكسرًا رتابة الزمن الاعتقالي.

أما الشعر فيحتل مساحة واسعة في الكتاب ، حيث يحلل حج محمد تجارب شعراء أبدعوا وهم يرسفون في أغلالهم ، ويتميز الشعر في السجن بكونه نبتًا أصيلًا نبت في أرض المعتقل وتغذى من عتمته ، ومن هؤلاء الشعراء الذين توقف الكتاب عند تجاربهم:

أحمد عارضة: في ديوان أنانهم ، يبرز دلالة العنوان المنحوت من الضمائر (أنا ، نحن ، هم) ، عاكسًا تداخل الذاتي بالجمعي والصراع المرير مع المحتل.

ناصر الشاويش: يستخدم الشعر لاستعادة قريته المهجرة قنير ، معتبرًا إخراج القصيدة من السجن انتصارًا للكلمة البندقية.

المتوكل طه: يبرز توظيف السخرية في فضاء الأغنيات كأداة للتعالي الروحي على السجان وأدواته القمعية.

ومن أجرأ الأطروحات التي قدمها فراس حج محمد في كتابه هي تسليطه الضوء على المسكوت عنه في كتابات الأسرى ، ويرى المؤلف أن هناك تابوهات أشد حساسية من الثلاثي المعروف (الدين والجنس والسياسة) ، وهي التابوهات المتعلقة بضعف الأسير وهشاشته الإنسانية. يقول حج محمد إن الأسير غالبًا ما يرتدي جلباب البطولة الفضفاض ، فيتجنب الحديث عن لحظات انهزاميته أمام نفسه ، أو شعوره بالملل القاتل ، أو تساؤلاته الوجودية والروحية العميقة حول جدوى ما يحدث له ، فالأسرى يميلون إلى الظهور بمظهر الصمود الأسطوري دائمًا ، بينما الكتابة الحقيقية يجب أن تغوص في الأوجاع الإنسانية بكل صدق؛ الشوق للحبيبة ، والندم على تفاصيل صغيرة ضاعت ، والخوف من النسيان ، والضعف الجسدي أمام المرض.

إن أنسنة قضية الأسرى عبر الأدب هي أقوى وسيلة لمخاطبة الضمير العالمي ، وتحويل القضية من ملف أمني وسياسي إلى قضية حقوقية وإنسانية كبرى ، فالقارئ يريد أن يلمس الإنسان الذي يتألم ويشتاق ويخاف ، ومع ذلك يختار الصمود ، وهذا ما يجعل هذا الأدب عالميًا في جوهره.

يخصص فراس حج محمد مساحة مهمة للحديث عن كتابات الأسيرات ، معتبرًا أنها تضيء عوالمَ مخفية لا يستطيع الكاتب الرجل الوصول إليها ، خاصة فيما يتعلق بتفاصيل التعذيب الموجه ضد الأنوثة والتهديد بالاعتداء الجنسي ، ومن الأسيرات التي تناولهن الكتاب:

أماني حشيم: في العزيمة تربي الأمل ، تظهر كامرأة قوية ومثقفة ترد على يأس محمود درويش لتقول إن العزيمة هي التي تغذي الأمل وتجعله ممكنًا.

مي الغصين: في حجر الفسيفساء ، تبرز الزمان النفسي للسجن ، حيث الزمان ليس عقارب ساعة بل هو شعور داخلي بالثقل والركود ، وتحاول ترميم شظايا حياتها عبر سرد حميمي.

إسراء جعابيص: يمثل كتابها موجوعة ذروة الألم الإنساني والجسدي ، حيث توثق الإهمال الطبي كعقوبة ممنهجة ، مستخدمة الرسومات والخواطر لتقول إن جسدها المحترق ما زال ينبض بالثورة.

عائشة عودة: في أحلام بالحرية وثمنًا للشمس ، وثقت تفاصيل التحقيق القاسي ، مؤكدة أن الكتابة هي وسيلة للتحرر من أثر التعذيب النفسي الذي يتركه الجلاد في الروح.

لم تقتصر إبداعات الأسرى على الجوانب الوجدانية ، بل امتدت لتشمل البحوث المحكمة والدراسات السياسية والاجتماعية ، ويبرز حج محمد تجربة الأسرى الذين حصلوا على شهادات عليا وهم خلف القضبان ، محولين زنازينهم المظلمة إلى أكاديميات تنتج المعرفة ، ومن هؤلاء يسلط الضوء على نموذج الأسير أمجد عواد ، في كتابه «دراسات من الأسر» ، إذ يقدم بحوثًا أكاديمية رصينة تتناول شأن الاحتلال ، واليسار الفلسطيني ، وصورة المرأة ، ويرى حج محمد أن هذا النوع من الكتابة يثبت الكفاءة والمهنية للأسرى ، وقدرتهم على الاشتباك المعرفي مع المحتل ، مؤكدًا أن العقل الفلسطيني لا يمكن اعتقاله أو عزله عن سياقات المعرفة العالمية.

يحلل الكتاب تجربة الأسير أحمد الشويكي في كتابه «على بوابة مطحنة الأعمار» ، حيث دخل السجن طفلًا وخرج منه بعد عشرين عامًا ، وتتميز كتابة الشويكي بتوظيف السخرية والفكاهة كتقنية سردية لمواجهة الواقع التراجيدي ، فالسخرية عنده ليست للضحك المجرد ، بل هي

فعل نضالي يهدف إلى تجريد السجان من هيبته ، وتخفيف وطأة الألم عن رفاق القيد ، وهي استراتيجية بقاء تقوي الصمود النفسي في وجه مطحنة السنين.

لا يكتفي فراس حج محمد بتحليل النصوص ، بل يرصد الحراك الثقافي الذي أحدثته هذه النصوص في الخارج ، خاصة من خلال مبادرات المحامي حسن عبادي مثل «لكل أسير كتاب» و«من كل أسير كتاب» ، هذه المبادرات خلقت جسرًا بين الأسرى والمجتمع ، وحولت إصدارات الأسرى إلى مادة للنقاش في الندوات العامة والروابط الثقافية مثل رابطة الكتاب الأردنيين وندوة اليوم السابع المقدسية ، وتؤدي هذه النشاطات وظائف حيوية من أبرزها:

كسر العزلة: يشعر الأسير أن صوته مسموع وأن كلماته تخترق الجدران لتصل إلى القراء في العواصم العربية.

أنسنة الأسير: تحويله من ملف أمني أو رقم إحصائي إلى كاتب ومبدع يستحق الاحتفاء والتقدير.

الحفاظ على الوعي النضالي: توعية الأجيال الشابة بتجربة الأسرى وتضحياتهم بعيدًا عن القوالب الجاهزة والشعارات الجوفاء.

تعكس كتابات الأسرى بدقة التحولات الكبرى في القضية الفلسطينية ، فيلاحظ حج محمد ظهور جيل من الكتاب ولدوا إبداعيًا داخل السجون ، وهم الذين أمضوا عقودًا خلف القضبان ولم يعرفوا الخارج إلا من خلال ذكريات قديمة أو أخبار شحيحة ، وتوثق أعمالهم مراحل مفصلية ، أهمها:

مرحلة الانتفاضة الأولى والثانية: كما في روايات أسامة مغربي وعمار الزبن التي ترصد حياة المطاردين والبطولة الريفية ، وكما في رواية «تحيا حين تفنى» لثائر حنيني التي تخلد سيرة الشهيد فادي حنيني ورفاقه.

مرحلة ما بعد أوسلو والارتباك السياسي: تظهر في بعض النصوص نبرة خيبة الأمل من الانقسام الفلسطيني ، ومن تعثر المشروع الوطني ، كما في كتابات حسام شاهين وقتيبة مسلم ، مما يجعل هذا الأدب المرآة الصادقة للوجع الفلسطيني بمراراته كافة.

يطرح فراس حج محمد رؤية نقدية مغايرة للتعامل مع هذا الأدب ، فهو يرفض تطبيق نظرية موت المؤلف على كتابات السجون ، لأن النص هنا لا يمكن فصله عن سياقه المأساوي والظروف التي أنتجته ، ولكي نفهم الكاتب الأسير ، علينا أن نعرفه إنسانًا أولًا ، وأن ندرك أن نصه هو نطفة مهربة تحمل جينات المقاومة والبقاء.

يجب على الناقد ، حسب حج محمد ، أن يمتلك بصيرة نقدية خاصة تقدر جماليات التفاصيل الصغيرة التي قد يراها الكاتب الحر هامشية ، مثل حركة نملة على جدار ، أو بقعة ضوء متسللة من فتحة تهوية ، أو صوت حمامة تهدل بعيدًا ، هذه الهامشيات تصبح في السجن مركزية ، وتعكس شدة الالتصاق بالحياة والتشبث بمفرداتها البسيطة.

يخلص كتاب تصدع الجدران إلى أن أدب الأسرى الفلسطينيين هو الركيزة الأساسية للأدب المقاوم المعاصر ، إنه أدب الضرورة لا الاختيار ، وأدب المواجهة لا الاستسلام. من خلال الحرف ، ينجح الفلسطيني في تصدع الجدران المادية والمعنوية ، محولًا عتمة الزنزانة إلى وهج مشاعل تضيء درب الحرية ، ولذلك فإن الكتابة في حياة الأسير هي:

فعل بقاء: يرمم الروح المحطمة ويمنحها القدرة على الحلم بغدٍ أفضل.

وثيقة تاريخية: تسجل جرائم المحتل وبطولات المقاومين بعيدًا عن التزييف.

انتصار أخلاقي: يثبت تفوق الضحية فكريًا وإنسانيًا على الجلاد الذي لا يملك سوى أدوات القمع.

إن دعوة فراس حج محمد في نهاية كتابه هي دعوة للفعل؛ فليكتب كل أسير حكايته ، وليقرأ الجميع تلك الكتابات ، لأن في الكلمة الحرة تكمن بذور الحرية القادمة التي ستذيب في النهاية كل أقفال السجون لتصنع منها تمثالًا للحرية.

بدر بن عقيل

وعندما وصل إلى المكلا قال:
ذا فصل للبندر وصلنا والولف خلا الراس يدري
مكتوب ومقدّر علينا يا ريت نحنا ما اتفقنا
ولا اعترفنا ولا بقينا ما خلقنا
ولا تناشفنا الفناجين

وعندما وصل إلى ممباسا قال:
يا سراج النل شاقتنا ضواك
بن حمادي لا نظر كاشتك هاك
عندك الزينة ورقصات الحجور
عيد لا شرقت ونحنا في سرور

وفي إحدى أسمار الشبواني وعلى شعر المدارة يقول مستور:
قال الفتى مستور حنّي يالمطارق عا لزبر
فسحت في سفرات ممباسه وسفرة زنجبار

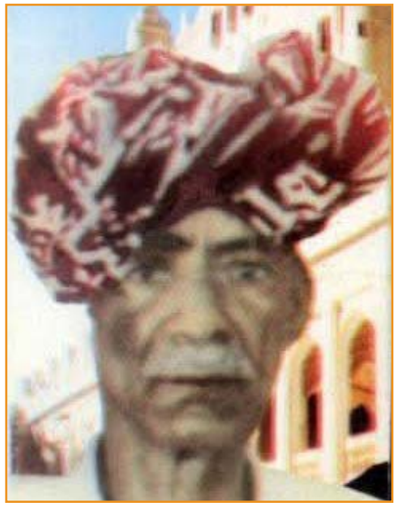

فلاش عن رواية (مديح الكراهية)

هي الرواية الثالثة للروائي السوري خالد خليفة. بعد «حارس الخديعة»، و«دفاتر القرباط». ولد خالد خليفة في سورية عام 1964 ، ونال بكالوريوس في الحقوق من جامعة حلب ، وهو معروف ككاتب سيناريو سينمائي وتلفزيوني ، ومن أبرز أعماله التلفزيونية «هدوء نسبي» الذي تعرض لتجربة الصحافيين الذين واكبوا تجربة الحرب في العراق. صدرت الرواية لأوّل مرة عام 2006 عن دار أميسا للنشر والتوزيع السورية — فرع بيروت ولكنها مُنعت في سوريا ، ومن ثمّ صدرت عن دار الآداب للنشر والتوزيع في لبنان. تُرجمت الرواية إلى أكثر من ثماني لغات عالمية منها الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والإيطالية والألمانية ، ودخلت في القائمة النهائية «القصيرة» للجائزة العالمية للرواية العربية لعام 2008 المعروفة بجائزة «بوكر». ومن ثمّ في عام 2013 دخلت في القائمة الطويلة لجائزة «الإندبندنت لأدب الخيال الأجنبي». واختارها موقع «لِيسْت ميوز» الثقافيّ الأمريكيّ ضمن قائمة أفضل مئة رواية عبر التاريخ.

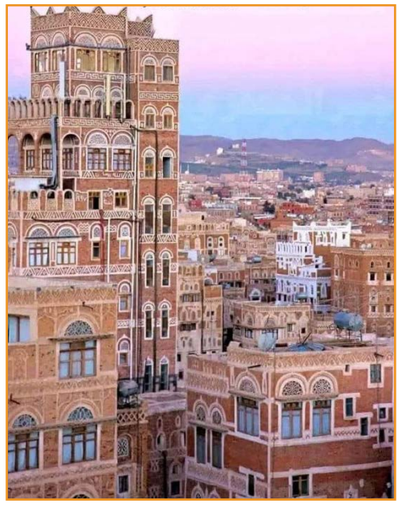

يا عبدالرحمن..

أنا حزين جدًّا على فراقك يا عبدالرحمن..
فما بيني وبينه «ودّ.. والودّ ما يتلي»
وحكايات عاطرة.. وأسمار رائعة.
هذا المكلّاوي الجميل له في قلبي مكانة ومعزّة.. وأجد في صوته صدى من صفحة أيامي التي مضت..
يا عبدالرحمن لروحك السلام.

مستور.. والاغتراب

كما هو معروف عند أهالي حضرموت بفعل البحث عن مصدر للقمة العيش ، لصعوبة الحياة داخل الوادي؛ فقد لجأ الحضارم إلى الاغتراب ، ومن ضمنهم شاعرنا مستور حمادي ، فقد سافر إلى سواحل شرق أفريقيا على قارب بدائي ، وعند مغادرته من بلده سيئون مسقط رأسه مودّعًا لها قال:
ودعتش الله يا لطويلة من طال عمره با يعود
سمحا طريقك يا لمسافر لا ترجع الا بالجميلة
كلا تجمل ★★ حنت عليها الناس جمله
ما با تناسى ذكر سيئون

العمارة مستريحة

«في صنعاء العمارة مستريحة في زمنها ، بكامل سلطتها على الفضاء المتناغم معها ، ولديها السطوة والتي تشدّ بها الزائر إلى هناك؛ إلى زمنها الماضي المستمرّ».
من كتاب «غرفة مسافرين» لعزّت القمحاوي

المحضار.. وتاج محل

يعدّ «تاج محل» بالهند من أرقى وأكثر مساجد وأضرحة العالم روعة؛ حيث إنّ سبب بنائه كان بعد قصّة حب دارت بين الإمبراطور المغوليّ شاه جهان وزوجته ممتاز محل ، وقد شُيّد هذا القصر بدقّة عالية من الحرفية الجمالية التي تضمّ الفنّ الحديث في البناء ، وفنّ العمارة الإسلامي في آنٍ واحد ، كما أنّه جمع بين عدّة طُرز معمارية تمثّلت في العمارة الفارسيّة والتركية والعثمانية والهندية في آنٍ واحد. ما زاد من جماليّة هذا القصر هو أنهم استخدموا في بنائه المَرمر الأبيض الذي يُغطّي مصطبةً كبيرة ، وعلى كلّ زاوية لهذه المصطبة مئذنة يصل ارتفاع كل واحدة منها إلى سبعةٍ وثلاثين مترًا ، وتحيط بهذه المصطبة ثلاث شرفات ، ويتوسّط المصطبةَ ضريح مرتفع ذو شكلٍ رباعي ، وتوجد في وسط هذا البناء القبّة الرئيسية التي قطرها سبعةً عشر مترًا ، وأمام هذا البناء بركة مستطيلة الشكل تعطي مظهرًا خلّابًا لانعكاس القصر على سطحها.
إنّ هذه التحفة المعمارية وقصّة الحبّ التي ارتبطت به.. كان قد جسّدها شاعرنا حسين أبوبكر المحضار عندما زاره.. ففاضت قريحته بهذه الكلمات العذبة المعبّرة:
لتاج أعظم أثر في الهند خالد
من حبّ حد سار له راكع وساجد
وإن مات يبني على مثواه مبنى رفيع
الهند فيها الهنا الهند فيها المنى ★ والجوّ في الهند غايم تحسب انّه

ربيع الحب له معجزات التاج منها
وله قصص اسأل التاريخ عنها
توقفّت ريشة الرسام وعيّا المذيع
الهند فيها الهنا الهند فيها المنى ★ والجوّ في الهند غايم تحسب انّه ربيع

أبوظبي.. والكتاب

يمثّل معرض أبوظبي الدوليّ للكتاب في دورته الـ 29 تتويجًا لنهضة الثقافة الإماراتية ، وتأكيدًا على المكانة الرفيعة التي تحتلّها على خارطة العالم.

ويسعى المعرض عبر فعاليّاته المتنوّعة إلى الارتقاء بصناعة النشر والكتاب في الإمارات والمنطقة لتقدّم نموذجًا عربيًّا متقدّمًا وفعّالا فيما يتعلق بحماية حقوق الملكية الفكرية ، إسهامًا في تعزيز علاقة الناشئة من الشباب والطلبة بالأنشطة الثقافية والإبداعية ليكونوا رجال الغد المزدهر فكرًا وعلمًا وأدبًا وثقافةً وليكونوا صنّاع قرار شعوبهم في مسيرة النهضة الثقافية المستدامة.

لقد حقّق المعرض على مدى دوراته الماضية قفزات نوعية نحو الاحترافية في صناعة الكتاب ، وبناء منصّة ثقافية تجمع الناشر بالمؤلّف ، وتقلّص المسافة بين الكتاب والقراء وتمدّ جسور التلاقي والتواصل الثقافي بين دور النشر العالمية والمترجمين وتطرح النقاش المستجد حول الواقع الثقافي العربي والعالمي.

ويعكس تنامي أعداد زوّار المعرض والمشاركين فيه ، والكمّ الكبير من الإصدارات التي يعلن عنها خلاله حجم التأثير والمكانة التي بات يحتلّها المعرض ، كما يؤكّد على مدى التقدّم والازدهار الذي حقّقته إمارة أبوظبي في مجال صناعة المعارض ، وقدرتها على استقطاب الفعاليات العالمية الكبرى في مختلف القطاعات مستفيدة من الموقع المميّز الذي تمتلكه وقدرتها على تلبية كافّة متطلّبات واحتياجات مثل هذه الفعاليّات الضخمة.

ويسعى المعرض منذ بداياته في عام 1981 إلى ترسيخ ثقافة القراءة والاطّلاع ورفع الوعي وتوسيع المدارك وتعزيز المعرفة لدى الجميع وأصبح اليوم جزءًا من الاستراتيجية الهادفة إلى تحويل أبوظبي إلى مركز رئيسيّ في عالم النشر إضافة إلى كونه نافذة الإمارات إلى المعرفة والابتكار.

إنّ المعرض يمثّل عرسًا ثقافيًّا للاحتفاء بتلاقي الأفكار والعمل الإبداعيّ لجميع الشعوب ، كما أنّه يأتي كتتويج لنهضة معرفية إنسانية تزدهر بها الإمارات وقد أصبحت عاصمتها أبوظبي نقطة تلاقي لجميع التجارب والإبداعات الثقافية من كافّة أصقاع الأرض.

سيئون.. ومرزوق

سيئون المدينة الفاتنة. حوريّة وادي حضرموت الخصيب. سكنت مهجة ملحّن ألحان الدان الراحل سعيد مبارك مرزوق ، فأحبّها وأحبّ أهلها وناسها وزرعها وضرعها وعبّر عن تصوّفه بذلك الحبّ الوقّاد بالقصيد عندما أطربنا بقوله:

كلّ من قال لي أرضك قلت أرضي سيئون
نعم سيئون أرضي منبع اشكال وألوان

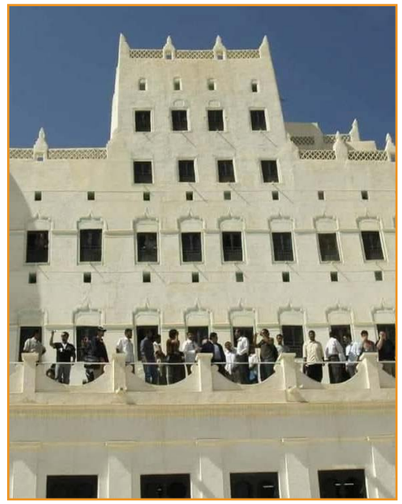

محمد جمعة خان في الكويت

في بداية حقبة ستّينيّات القرن الماضي قام الفنان الكبير الراحل محمد جمعة خان ، وبعض من أعضاء فرقته الموسيقية برحلة فنّيّة إلى دولة الكويت. وقد أحيا العديد من السهرات الرائعة. وقدّم فنًّا حضرميًّا خالصًا.. وبعقل وأداء فنّان ناضج.

ما قدّمه محمد جمعة كان له الأثر في نفوس فنانيّ وموسيقيّي الكويت آنذاك بما حمله من أصالة وحداثة معًا ، وخروج عن المألوف في الغناء السائد آنذاك في الجزيرة والخليج. بل إنّ هناك فنّانين كويتيّين قلّدوا محمد جمعة وساروا على نهجه.

وفي الكويت سجّل لشركة «زيد فون» للإسطوانات نحو ستٍّ من أغنياته الجميلة. وكان على وشك أن يسجّل عددًا من أغنياته لإذاعة الكويت لولا اختلافه مع الفنان عبدالله فضالة مسؤول قسم الموسيقى بالإذاعة حول أغنية ادّعى الفضالة باطلا أنّها من ألحانه.

بإيجاز شديد محمد جمعة خان فنّان سبق عصره.. وفنّان يحترم فنّه.

رف نسيان

عبير احمد الرضي

أنا لَوحَةٌ ، لَستُ بإنسان...
تملؤُني خُطوطُ الحيرةِ والأَوهام ،
مُعلَّقةٌ بلا جدران ،
موضوعةٌ على رفِّ النسيان ،
لم تُبرِز تفاصيلَها الألوان.

رُسِمتُ بلا عينينِ تشهدانِ اختلافَ الأزمان ،
ولا أُذُنين تُصغيانِ لقوانينِ الحُكّام ،
ولا أنامِلَ تكتُبُ رِوايات الأحداث ،
ولا شَفَاهَ تَروِي وجعَ الخُذلانِ والألم ،
ولا عقلًا يُفكِّرُ في الأقدار ،
ولا قلبًا ينبِضُ بالأمان ،
لا أملِكُ أوردَةً ولا شِريانًا...

يَتلبَّسُني رِداءُ الظلام ،
ويَحتويني فراغُ البياض ،
لم يَرسُمُني فنان ،
ولم يُشكِّلْني نَحّات ،
لم تُحدَّدْ تفاصيلِي بإتقان ،
ولم أُسجَّلْ في تاريخِ الإبداع.

لا عنوانَ لي يُوصَفُ بالأفكار ،
بَعثرَ السَّوادَ بيَدٍ بلا فُرشاة ولا اتِّزان ،
لم تُرسَم ملامحي بالوجدان ،
ولم تُمسَح أخطائي بمِمحاةِ النَّدمِ والنسيان.

أرتدي قُبَّعةَ الرَّحيلِ بلا انحناء ،
لم يُظَلِّلْني تغيُّرُ الفرشاةِ ولا درجاتُ الأقلام ،
حرَّكَ أنامِلَهُ بتلطيخِ اللوحةِ بالظلام ،
ولم يَختَرْ زاويةً ليضَعَني فيها بسَلام.

تناساني على رفِّ النسيان ،
غطَّاني غُبارُ الأعوام ،
ونسَجَت بي العناكبُ سَكنًا... وأوطانًا.
لست بإنسان

وداعـــــــــًا
الفنان عبد الرحمن الحـــداد

مغالبة مجرى النهر أم السباحة في مكانها؟!

عبير اليوسفي

وسط التيار الجارف للتاريخ الجزائري ، يأتي عنوان رواية «أغالب مجرى النهر» لسعيد خطيبي كاستعارة طموحة. يوحي العنوان بمقاومة التيار ، بسباحة عكس المجرى بحثًا عن المنبع الأصيل ، سواء كان منبع الذاكرة الوطنية أو منبع الحقيقة الفردية. لكن في تجربتي القرائية ، بدت الرواية أقرب إلى السباحة في مكانها ، تحرك كثير ، وجهد واضح ، لكن التقدم محدود ، والوصول إلى القاع المأمول غير مكتمل.

تدور أحداث الرواية في بوسعادة ، بين مشرحة مستشفى وعيادة عيون وغرفة تحقيق. تبدأ القصة بوفاة مشبوهة للطبيب الشرعي مَخلوف ، زوج الطبيبة الشهيرة عقيلة تومي ، التي تتورط معه في شبكة سرقة قرنيات الموتى وبيعها. يفتح التحقيق أبوابًا على ماضي العائلة ، خاصة والد عقيلة المناضل السابق في حرب التحرير ، الذي يواجه في الخط السردي الثاني اتهامات بالعمالة ضمن محاكمات المناضلين القدامى. يمتد السرد عبر عقود ، من فترة ما بعد الاستقلال إلى إرهاصات العشرية السوداء ، محاولًا ربط الجريمة الطبية الحرفية بجريمة تشويه الذاكرة الجماعية.

يحمل العمل طموحًا واضحًا وهو بناء رواية بوليسية تاريخية تجمع بين التشويق الجنائي والتأمل في الذاكرة الوطنية. الفكرة المركزية كانت سرقة «البصر» من الموتى لإعادته إلى الأحياء مقابل المال. وهذا رمز قوي يمكن أن يمتد ليعكس كيف تُسرق الرؤية التاريخية أو تُشوه لأغراض سياسية واجتماعية. ظهر استخدام المشرحة كفضاء لتشريح الجثث والتاريخ معًا ، وغرفة التحقيق ظهرت كمسرح لمحاكمة الأجيال ، كلها عناصر تبدو في البداية واعدة ومثيرة للإهتمام .

ومع ذلك ، تظهر فجوة ملحوظة بين هذا الطموح والتنفيذ السردي. الحبكة البوليسية تبدأ بقوة وتشويق ، لكنها سرعان ما تفقد زخمها. بعض التقاطعات بين الخطين السرديين الجريمة العائلية والمحاكمة التاريخية تبدو مصطنعة أو مُدارة بطريقة لا تخدم الإقناع العاطفي أو المنطقي. وشخصياتها تبقى في كثير من الأحيان وظيفية تؤدي دورها في نقل الفكرة دون أن تمتلك حياة داخلية تجعل القارئ يعيش صراعاتها أو يتأثر بها حقًا.

مغالبة مجرى النهر... أم السباحة في مكانها؟

يحاول خطيبي مغالبة مجرى التاريخ الرسمي من خلال حركة زمنية متداخلة وأصوات سردية متعددة. يذهب السرد إلى الوراء ويعود ، ينتقل بين الأجيال ، محاولًا كشف كيف تتحول الذاكرة إلى مادة قابلة للتزييف. هذا الطموح في مقاومة التيار الأحادي للرواية الرسمية يستحق التنويه ، خاصة أن الرواية تلامس فترات حساسة في التاريخ الجزائري مثل حرب التحرير والعشرية السوداء.

لكن هذه المقاومة تبدو في النهاية محدودة التأثير. الحركة الزمنية بدل أن تخلق طبقات من المعنى ، غالبًا ما تجعل السرد مشتت. اللغة سلسة ومقتصدة ، وتستخدم بعض العناصر الجزائرية المحلية بطريقة طبيعية ، لكنها لا ترتقي إلى مستوى الابتكار أو الإيقاع الذي يجعل القارئ يغوص في التيار بدل أن يشاهده من بعيد.

في سياق الرواية العربية المعاصرة ، ومع فوزها بالبوكر العربية 2026 كأول رواية جزائرية تحقق هذا الإنجاز ، تمثل «أغالب مجرى النهر» محاولة جديرة بالاحترام لربط الجريمة الفردية بالمأساة الجماعية. إلا أنها في تقييمي الشخصي تبقى أقرب إلى عمل طموح يسبح في مكانه. يحرك المياه ، يثير بعض الأسئلة المهمة عن الذاكرة والخيانة والرؤية ، لكنه لا يصل إلى الشاطئ الآخر بقوة تترك أثرًا أو تجربة قرائية مُشبعة.

الرواية تذكرنا بصعوبة مهمة الكاتب كيف يغالب مجرى التاريخ دون أن يغرق فيه ، وكيف يحول الرموز إلى لحم حي بدل أن تبقى مجرد إطارات فكرية. سعيد خطيبي يمتلك وعيًا واضحًا بالمادة التاريخية الخصبة ، لكن التنفيذ السردي لم يكن في هذه المرة قويًا بما يكفي ليجعلنا نغالب التيار معه حتى النهاية.

لـــمـــا يـــغـــنـــي قـــاســـم

علي هايل القدسي

كل شيء تأجل
لما يغَنَّى قاسم
اللّهُ يغَنَّى قاسم
شنشقي عنده
قاسم ما غَنَّيش
دعوات الأمهات
أن الله والباهوت
يغَنَّى قاسم
راحت سدى
قاسم لا غَنَّى
ولا تكنبل
قاسم لا غَنَّى
ولا أذاننا شنف
بملالاة ، شيلة ،
ولا تمهجل
قاسم ما غَنَّاش
ولا تغزل
النساء يدعين
على قاسم
إلا لللله لللللله
إلا شلوك وقاسم
وشلشلوبك
من راس ضاحة
يكلعدوبك

قاسم يتبدى
)يقرع الصفراء(
بعصيد من الدخن
السبغ سمن
الشاهي ملبن
سكر يعق
البطن واقش
الزبان معبي
بأوضار
برأسه شقيقة
الحلق ناشف
الصوت شحبان
كنه بلع صفافة
يتغدى فته
صلع غرب
حلبة ووزف ذرور
بسباس زعيتر
عصرة كراث ،
عصرة ثومة خضراء
عصرة بصل تعزي
يتلهدد
في جوفه
نار السعير
العصر في العرشة

دجا البيت
يخزن عصاب
قات شراري
من بني يوسف
مداعة من الهند
مركوزة ، طوله قامه
القصبة عشرين ذراع
بوري وراء بوري
تتن حممي غيلي
من السبى حقه
صدره مسلول
محدل ، مفسقل ،
مناصل
مثل الحنش اليفن
اللي يزرق لفوق
صفى بضاحه
مثل حلبان
حنب بزربة
صدره يتهر
قداد وغاثي
شقه وجيع
الكينة سافي
الفانوس يثجثج
الجاز منه نشف

حرقه الذبالة
طلع الجبا
غدرة ووحشة
القمر خسف
والنجوم يتخارتين
دَجاَ سامر مصرد
شلموه الجن
عياله سروبه بالليل
حزنموه ، بزموه
ودموه للسيد
السيد سقعه
سبعه مياسم
ثلاثة بالبطن
يبعدوا الوقشة
اثنين بالزبان
يخرجوا الحجار
والأوظار
واحد بالقفا
واحد مدور
بقبة الرأس
يطيروا الصفرة
والفجيعة
قاسم حيا
العافية رجعه
سرح يشقي ، يعمر
وزن الركن والأفلة
سوم
فلت من المدماك

من الطبقة الثانية
اختلعت رجلة
الرمانة خرجه
من كينة
رجله اليمين
ودمموه لمصعبين
يجبروا له
على الريق يهسف
بيض عجم
وحلف ومومه
ربي يشله
يربخنا منه
قاهو عصاب
حطب بمزراب
رجله اليمين قصره
يعرج
قاهو رنجله
أهل البلاد
كلهم يغرموا له
بيع الورثه
السبب والشعب
والابساق
باع ذهب المرة
والفضة
باع البقري غبيرة
والثور نجيم
باع الغنم
باع الكسب

باع الدجاج والديك
قاسم جلد ، عرز
ومرته أصيلة
تملسله وتمرخ
تداوي الجروح
تجبر الاكسار
تشجعه
مو قابو لتمجنن
ماهيش حية
هي إلا سحنجان
الجهال يلعبوا شعرير
ابن القزيع ، فارع
خرت ابن قاسم
بمخرت
الحجرة أجت
بقبة الرأس
ابن قاسم
روح يشتكي
ويبكي
ودمموه للفقيه
يأرش
مصائب تهل
فوق راسة
ربي يعينه
يقف على رجله
ولا يشله
يربخنا منه
★★★

جرّبوا قتلنا بالأحذية

وليد سند

أفكرُ فيما يسمى بالموت الرحيم!
طرقه المختلفة:
حقنة ،
كبسولة ،
رصاصة طائشة تصيب القلب وهي باردة.

استخدام الحذاء للقتل طريقة حديثة ،
في نموذج الذبحة الصدرية الناجم عن الفازوبرسين
تعاملتُ مع فئران كثيرة ،
بكل بساطة
أحقن الأول ثم أراقبهُ حتى يموت
أنتظر الآخر حتى يتناول آخر وجبة في قفصه ،
أتخلص ممن يتعالى بصفعه بحذائي على رأسه..
نسميها الموت الرحيم في التعامل مع فئران التجارب.

أتساءل: أي نوع من الفئران نحن؟
أي طريقة يمكن أن تكون رحيمة في قتلنا؟
الجووووع كاااافر
لا يمكن أن يكون رحيمًا..
الصواريخ مرعبة ومدمرة ،
واستخدامها لقتلنا عبث لا أكثر ،
الرصاص جربوها فينا ، غير مجدية
الرصاصة التي تقتلك لن تستطيع سماع صوتها
هادئة وأنيقة ،
لكننا سمعنا صوت "بُثينة" من سطح المنزل
تمسُّكها بروب أمها أغرى حبل الغسيل ،
لم تكن طائشة هذه المرة
بل كانت رصاصة مفضوحة من قناصة حبلى..

قضاء وقدر
حبل الموجوعين عليها

قبل أمس ، أخبرتنا الحجة "فاطمة" أن ملك الموت زارها
دافعت عن نفسها بعصاها
قالت له:
(عادني ما حجّيت ، روحلك مني..)

كانت "الزّنانة" تنتظر خروجه من عندها
وخلال الفجر تم قصف المكان بالكامل

وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة
أوصتنا بحراسة قبرها من (سعيد اليهودي)!

جارتي تكره الدَّم
يُغمى عليها إن رأته يسيل من أصبع شخص
أو من قدم ابنها إن داس على كسرة زجاج..

ربما سنجرب الموت شنقًا في المرة المقبلة
يبدو لطيفًا وبغير دماء

"فيصل" أخبرنا غيرنا ذلك
لا يمكن إخفاؤه أو جعله صامتًا
تدخل القضاء والقدر مستبعد
جميعهم يقولون: (حالة نفسية!)

أتذكّر طريقتي في قتل الفئران
صندل "أبو غزال" ثقيل وقاتل
"أبو اصبع" إحدى وسائل أمي في التربية
خفيف وأضراره طفيفة
ورغم الفازوبرسين
مابش فأر مات من جلطة!

نصيحة:
جربوا قتلنا بالأحذية واحفظوها بعيدًا عن متناول الأطفال.

سلامٌ على تُفَّاح شيراز

عبدالناصر الجوهري- مصر

لأنَّ " سيبويه " كانَ فارسيًّا
نسيتُ أنْ أُلقي التَّحيةَ..
في المُرور على ديارِه
إذا دعاني
نسيتُ حينما لحنتُ..
في إعراب أشعاري
فردَّني؛
ليستقيمَ لساني
نسيتُ أنَّ الأعجميَّ
يسَّر المعاني
نسيتُ أنَّ تُفَّاحًا لـ"شيراز" الحبيبة..
صار سيِّد السِّلال ،
والبيادرْ
نسيتُ ما خطَّت يداهُ
في المعاجمْ
وكـ" البُخاري" قد أضافْ
هذا وقومهُ
سيمنعون أيامًا عجافْ
نسيتُ أنَّ " البصرةَ " الآن استفاقتْ في رحيلِه
وما اقتفى وداعًا
مِنْ أحبَّاء " الكتابْ"
ولا دموعُ " الأخفش" الرِّقاق ..
قد ردَّتْ غيابْ
لأنَّ " سيبويهِ" كانَ فارسيًّا
تعلَّم الفصاحةَ..
مِنْ دواوين العربْ
فصار سيِّدًا فصيحًا
للبلاغةِ ،
والأدبْ

فكيف للمعنى وصلْ
لأجل علْم مُستنير
يشتهي فهْمَ الجملْ
لأجل حُفَّاظ الكتاتيب
الذين تناقلوا للأبجديات
المثاني في الصُّدورْ
سقى لـ"قحطان" الخمائلَ ،
والبراعمَ ،
قد هوى لُغةَ الحضارةِ ،
والجُذورْ
ولو أتى مُستوطنٌ
مُستعمرٌ
سنظلُّ حرفًا واحدًا
لو بيننا هدم الجُسورْ
لأنَّ " سيبويه" كانَ فارسيًّا
نسيتُ أن أُلقي السلامَ
حينما حنَّ الفؤادُ
لمرقد زائرٍ
ما ملَّ منهُ النَّاظمونْ
ولا النَّحاةُ ،
ولا " الخليلُ"
سيِّد العروض ،
واللحونْ
نسيتُ أنَّ " شيراز "
في قلبي
وديواني
قريبةٌ جدًّا لوجداني
وتُشبهُ العيونْ..
عُيونَ أوطاني .

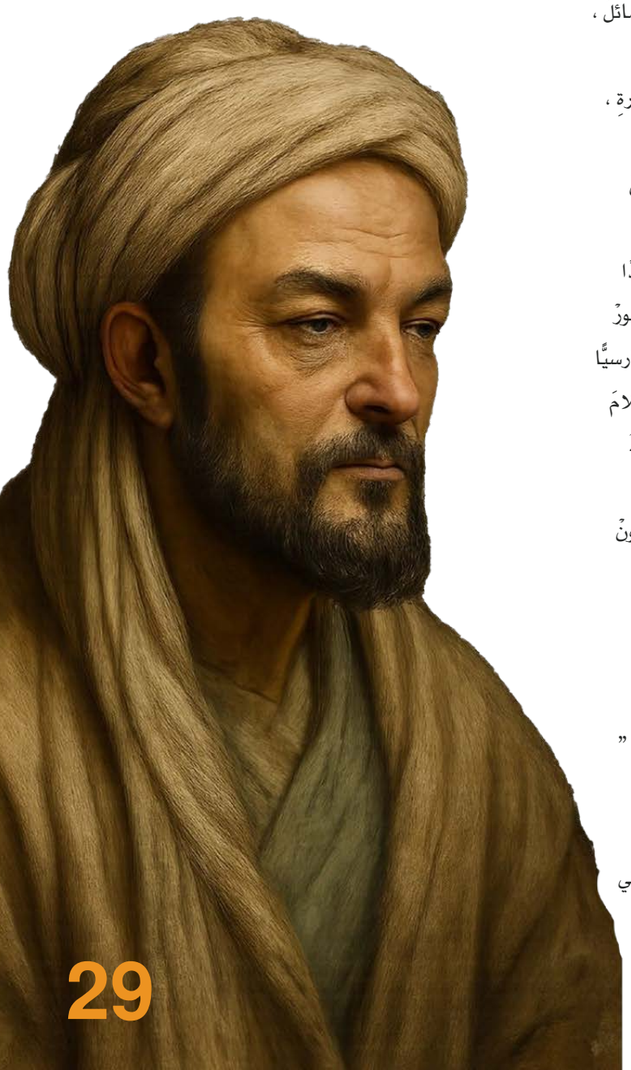

عبقرية اللغة العربية وجمالياتها والدليل
على أنها أصل معظم اللغات وأصل الكلام

أسامة الخضر

مقدمة

لا شكّ أنّ الإحساس بالجمال عمومًا فطرة إنسانية ، والفنّ في جوهره يعدّ نشاطًا معرفيًّا يمارسه الإنسان منذ أقدم العصور من أجل استكمال معرفته بالكون والحياة إذ يستكشف به الجوانب الباطنة الخفيّة التي لا يستطيع العقل العلميّ الوصول إليها ، وقد وجد الإنسان في نفسه ملكات ومواهب قادرة على التصوير وتجسيم الأحاسيس والمعاني في قوالب مشهودة صنعها بالحروف والكلمات في الشعر والنثر ، وبالخطوط والألوان في الرسم ، وبالأصوات وبالألحان والإيقاع في الموسيقى ، وبالكتلة في النحت والعمارة ، فجاءت معجزة الله تعالى الأخيرة القرآن الكريم لتخاطب هذه الملكات الإنسانية وتحديدًا الملكة الأدبية واللغوية وما دام حديثنا سيكون بإذن الله عن إعجاز القرآن اللغويّ والبلاغيّ في هذه السلسلة من المقالات فلا بدّ من إلقاء بعض الضوء على اللغة العربية وعبقريّتها وأصالتها وتفوّقها على سائر اللغات.

ولا يمكن الحديث عن عبقريّة وجمال اللغة العربية وتميّزها عن سائر اللغات دون ربطها بالقرآن الكريم ، فشهادة الله تعالى لها هي أزكى شهادة ، واختيارها لتكون وعاء للقرآن الكريم ومعانيه دلالة قاطعة على أنّ اللغة العربية لها خصوصيّات لغويّة ودلاليّة تتفوّق على باقي اللغات.

لقد وردت الإشادة باللغة العربية من خلال التذكير بأنّها لغة الذكر الحكيم. يقول تعالى : ((قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) الزمر:آية 28.

ويقول تعالى : ((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) فصلت : آية 3.

ويقول تعالى : ((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) الزخرف :آية3

ويقول تعالى : ((وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)) النحل :آية 3.

ولقد تيسّر للّغة العربية من أدوات الحفظ وعوامل البقاء مالم يتيسّر لغيرها من اللغات ، فقد تكفّل الله تعالى بحفظها من خلال القرآن الكريم ، وللأسف الشديد اللغة العربية تعيش حالة من إهمال أهلها واستهداف خصومها في ظلّ الركود الحضاريّ الذي يعاني منه العرب والمسلمون (1).

ولقد استغلّ المستشرقون هذا الوضع المزري للأمة العربية والإسلامية وطوّروا آراء خاصة عن الوطن السامي الأمّ ، وكان الهدف الأساسي هو البحث عن لغة أمّ للساميين بعيدًا عن شبه الجزيرة العربية ولغتها العربية وقد دارت أنظار المستشرقين حول لغتين من لغات الشرق الأدنى القديم لقدمها وشمولها على ظواهر لغوية قديمة ومهمّة مثل ظاهرة الإعراب وغيرها ، وهذه هي اللغة الأكادية لغة الشعب السامي الأول في بلاد النهرين ويعود تاريخ تدوين اللغة الأكادية إلى حوالي 2500ق.م وانتهت مع سقوط الدولة الأشورية في القرن السابع ق. م. واعتبرت الظواهر المشتركة بين العربية والأكادية موروثة عن اللغة العربية الساميّة الأولى(2).

أمّا اللغة الساميّة الثانية التي اعتبرها المستشرقون ممثّلة للغة الساميّة الأمّ فهي اللغة العبرية.

وهو رأي تبنّاه المستشرقون اليهود رغم اتفاق معظم علماء اللغات الساميّة على حداثة العبرية بالنسبة للعديد من اللغات الساميّة خاصةً العربية والأكادية وتعرّضها في نفس الوقت لأشكال من التغيير والتأثّر باللغات الأخرى بسبب ما تعرّض له بنو اسرائيل من ألوان السبي والشتات في تاريخهم القديم(3).

وعلى الرغم من أنّ كلّ الدلائل التاريخية واللغوية تؤكّد تفوّق اللغة العربية على كلّ اللغات الساميّة وأنّها تعدّ أمّ اللغات الساميّة

بل إنّ البحث العلمي الحديث يشير بقوّة إلى أنّ اللغة العربية هي أصل معظم اللغات والكلام كما سنبين بعد قليل ، إلا أنّ المتلاعبين بالعقول ، والمدلّسين من المستشرقين وتلاميذهم من الملاحدة ، والحداثيين العرب يخفون هذه الحقيقة.

يقول المؤرّخ وأستاذ الأدب العربيّ (د. محمد خليفة حسن): (في ظلّ غياب نظرية أو رؤية عربية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته ظهرت عدة نظريات غربية تفسّر تاريخ المنطقة وحضارتها من منظور غربيّ خالص وأخطرها النظرية اليهودية الصهيونية لأنّها النظرية الغالبة والمهيمنة في مجال كتابة تاريخ الشرق القديم وحضارته ، فمنذ ظهور الحركة الصهيونية في منتصف القرن التاسع عشر تفرّغ المؤرّخون اليهود الصهاينة لعملية إعادة كتابة تاريخ الشرق الأدنى القديم واعادة كتابة تاريخ فلسطين خصوصًا لإثبات الدعاوى الصهيونية بالحقوق التاريخية والدينية لليهود في فلسطين)(4).

وقبل أن نتكلّم عن الدلائل العلمية والتاريخية واللغوية عن تفوّق اللغة العربية عن باقي اللغات بل عن الدلائل العلمية على أنّها هي المؤهّلة لتكون أصل معظم اللغات والكلام لا بدّ لنا من كلمة موجزة عن السيكولوجية العربية التي جعلتها العناية الإلهية محطّة لنزول القرآن الكريم باللغة العربية بتلك المعجزة اللغوية والبلاغية التي أعجزت عباقرة الفصاحة في الشعر والنثر وإلى يومنا هذا.

يقول الأديب الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين): (إنّ الهند لهم معانٍ مدوّنة وكتب مجلّدة لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف ، وإنّما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ، ولليونان فلسفة ومنطق ولكنّ صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان غير موصوف بالبيان ، وفي الفرس خطباء إلا أنّ كلّ كلام وكلّ معنى للعجم فإنّما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وكلّ شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال وكأنّه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إطالة فكر ولا استعانة ، وإنّما يصرف همّه إلى الكلام فتأتيه المعاني إرسالًا وتنثال عليه الألفاظ انثيالًا ، وكانوا أمّيّين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلّفون(5).

ويقول ابن خلدون (وهُم) -أي العرب- (لا يزالون موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام ، والفصاحة في النطق ، والذلاقة باللسان والبيان سمتهم بين الأمم منذ كانوا)(6).

ويقول الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل): (حكماء العرب وهم شرذمة قليلة وأكثر حكمتهم فلتات الطبع ، فالعرب والهند يتقاربان على مذهب واحد والمقاربة بين الأمّتين مقصورة على اعتبار خواصّ الأشياء والحكم بأحكام الماهيّات ، والغالب عليهم الفطرة والطبع ، وإنّ الروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيّة الاشياء والغالب عليهم الاكتساب والجهد)(7).

ويقول المفكّر الإسلامي الأستاذ/ أحمد أمين: (وأنت إذا نظرت إلى اللغة العربية والأدب العربيّ في ذلك العهد رأيته نتيجة طبيعيّة لتلك الحياة وصورة صادقة لهذه البيئة ، فألفاظ اللغة العربية مثلًا في منتهى السعة والدّقّة) (8).

ممّا تقدّم نجد أن الحياة الصحراوية وقسوة المعيشة التي عاشها العربي القديم جعلته يلتفت إلى اللغة العربية ليعوّض النقص في جمال بيئته ليسكبها على لغته ، فقد تفنّن العربيّ في لغته العربية لتتحوّل إلى تحفة فنية رائعة يتسابق أصحاب المواهب الشعرية والأدبية في مباريات ومنافسات لبلوغ الذروة المنشودة في الكلام ، بل قد بلغ منهم الأمر في تقديس الكلمة مبلغًا جعلهم يخرّون لها سجّدًا ، ويضعونها على أستار الكعبة ، ولا شكّ أنّ هذه البيئة كانت أنسب البيئات لتنزل كلمة الله تعالى الأخيرة للبشرية متحدّيةً هذا النضج الفني والأدبي.

لا شكّ أنّ الأدب هو الحقل الفكريّ الذي تُغرس فيه الكلمات طمعًا في ثمرة التأثير الوجدانيّ ، وهو يتّخذ من الكلمة الوسيلة الجمالية لأنّ غايته لا تقتصر على الإفهام بل تتعدّى هذا إلى مستوى فاعلية في المتلقّي ، والكتابة الأدبية هي بناء لغويّ جميل لا تنتهي غايته عند صياغة الفكرة فقط بل عند بثّ الروح في الكلمات ونظم الكلام المخصوص ، وسنرى لاحقًا أنّ القرآن الكريم كان التعبير الأعظم والأعمق والأشمل لكلّ هذه المفردات.

يقول المستشرق (نولدكه): (إنّا ليتملّكنا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم. إنّنا يجب أن نعترف بأنّ معجم اللغة العربية غنيّ غنىً رائعًا وسيبقى دائمًا مرجعًا هامًّا لتوضيح ما غمض من التعبيرات في جميع اللغات الساميّة ، وليست اللغة العربية غنيّة بكلماتها فحسب بل بقواعد نحوها وصرفها أيضًا)(9).

لقد التحمت اللغة العربية بالقرآن الكريم التحامًا قويًّا حيث يقول الشافعيّ: (اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والقرآن هو كلام ربّ العالمين ولا يمكن لأيّ لغة أن تنافسها في الجمال والعظمة)(10).

ولقد أعطى الباحث اللغويّ الكبير والمفكّر الإسلاميّ الأستاذ محمود رؤوف أبو سعدة بانوراما رائعة عن الاتصال الوثيق بين اللغة العربية والقرآن الكريم رحمه الله رحمةً واسعة وجزاه الله تعالى عن الإسلام وأهله كلّ الخير ، ويجدر بنا هنا أن ننقلها كاملةً لجمال العرض ودقة التحليل.

يقول الأستاذ/ محمود رؤوف أبو سعدة: (الحقّ أنّ العربية قد هيّئت

تهيئـة لتلقّـي هـذا القـرآن ، وزيّنـت تزيّنًـا لتليق بـه ، وأنضجـت إنضاجًا لتكـون وعـاءه ، وأحكمـت إحكامًـا لتعبّـر عنه ، كانـت العربية وقـت نزول القـرآن بمسـتواها هذا الفنيّ المحكم لغة الخطـاب اليومي لا لغة يصطنعها فحسـب أهـل الفكر والفنّ والأدب ، ولم تكن بمسـتواها الفنّـيّ هذا المحكم لغـة الخطـاب لـدى الصفـوة مـن سـادة قريـش فحسـب بـل كانـت لغـة الخاصّـة والعامّة)(11).

ويقـول الاسـتاذ/ أبو سـعدة أيضًـا: (علـى أنّ في العربية خصائـص لغويّة وبيانيّـة وموسـيقيّة قـلَّ أن تجتمع لسـواها. إنّها لغة الإيجاز البليغ والسـلّم الموسـيقيّ الكامـل. إنّها لغـة اجتمعت لها كلّ الحـروف ، وصحّت المخارج لا تتدغـم في الحلق ولا تتآكل على اللسـان.. لغة غنِيَـت حروفًا فغنِيَت جذورًا. لا تعـرف اللواصـق من رواكـب وروادف وغيرهـا ينوء جذر اللفـظ بأوزاره فيغيّـم المعـنى في ضباباتـه ، أمـا هـي فتنحـت الألفـاظ والأوزان للمعـنى وضـدّه ، وللمعنى وقريبه ، وللمعنى والمشـتقّ منـه ، وللمعنى والمتداخل معه. لغـة تغنّنـت في أوزانهـا ونوّعـت في تراكيبها طرائق شـتّى تمـدّد بالإعراب أواخـر الكلـم تهمـز وتسـهل وتصل وتقـف وتنـوّن وترخّم ، فما اسـتعصى عليهـا نغم ، وتلـك كلّها خصائـص قرآنية)(12).

ويقـول الأسـتاذ /أبـو سـعدة أيضًـا: (وقـد أفـاد القـرآن مـن العربيـة وأفـادت العربيـة مـن القـرآن ، ولكـنّ الـذي أفادتـه العربية من القـرآن أضعـاف الـذي أفـاد القرآن ، فقـد جمـع مادّتها وأحكـم نحوها وصرفهـا وإعرابها ورسـم لهـا نموذجها الأعلى ليس هذا فحسـب بل تكفّل الله بحفـظ القـرآن ، فكفـل لهـا القـرآن حياتهـا ونماءها وبقاءهـا ، وقد مضـى علـى نزول القـرآن بالعربية أربعة عشـر قرنًا بـادت خلالها لغات ، وتحـوّرت لغـات ، ولا تـزال العربية وحدهـا تعيش بنصاعتهـا الأولى وليس لهـذا كمـا يعرف أهل العلـم نظير في كل اللغـات قديمها وحديثهـا ، ولكنّ الـذي لا يتوقّـف عنـده كثـيرون ربّمـا قـلّ مَـن يفطنون إليـه هـو أنّ اللغة العربيـة عصرَ بـدء نزول القرآن في مطلع القرن السـابع للميـلاد على قلّة الناطقـين بهـا يوم ذاك كانـت هي دون منـازع أرقى لغات العـالم القديم. ليـس فحسـب أرقاهـا بلاغـة وفصاحـةً وجمـالًا وإنمـا أيضًـا وبالمقيـاس اللغـويّ البحـت أرقاهـا دقّةً وكمـالًا)(13).

ويؤكّـد مـا قالـه الأسـتاذ أبو سـعدة عن عظمـة اللغـة العربيـة وارتباطها الوثيـق بالقـرآن الكـريم المستشـرق الألمـاني (جوزيـف فان ايـس) بقوله: (بمجـرّد نـزول القـرآن باللغة العربية ، وتمسّـك المسـلمين بنـصّ القرآن جعـل اللغـة العربيـة تبقـى كمـا هـي حـتى الآن بينمـا نجـد أنّ اللغـة اللاتينيـة قـد تفرّعت إلى لغات مختلفـة كلّ واحدة تطوّرت باسـتقلال عن الأخـرى(14).

ولا بـدّ الآن أن نذكـر لمحة تاريخية موجزة عـن مكانة اللغة العربية المتفوّقة بين اللغات وقت نـزول القرآن الكريم.

في مطلـع القـرن السـابع الميـلاديّ كانـت اليونانيـة الفصحـى الـتي تغنّى بهـا من قبـل شـعراء الإليـاذة ، وكتب بهـا أمثـال افلاطـون ، وخطب بها ديموسـتين قد آذنـت من قبل بالأفول حـوالي مطلع القـرن الثالث ولم يأتِ القرن السـابع إلا وقـد آلت إلى يونانية دارجة هجينة لا على ألسـنة العامة فحسـب وإنمـا أيضًـا في الفـنّ والفكـر والأدب. أمّـا اللاتينيـة الفصحـى الـتي كُتبـت بهـا مدوّنات الفقـه اليونانيّ فقد حـذت حذو أختهـا اليونانية بنفـس الترتيـب الزمنيّ أو تـكاد ، فلم يـأتِ القرن السـابع إلا وقد تحوّرت إلى لاتينيـة دارجـة هجينـة بل قـل إلى لاتينيّـات دارجة هجينـة يلدن من بعـد لغـات أوروبيـة تقرأ بهـا الآن ولم يكتمـل نموها إلا في نحو 900 سـنة مـن نزول القـرآن الكـريم ، ولم يبقَ مـن اليونانية واللاتينيـة مطلع القرن السـابع للميـلاد إلا آثار من أطلال مجد قديم تليـق بحضارة ذَوَتْ.(15).

أمّـا في الشـرق الأدنى القـديم مـا بـين مصر وفـارس فقد أختلـط الحابل بالنابـل في مصـر تصدّعـت بانهيار دولة الرعامسـة (أي جمع رمسـيس) حـوالي القـرن الثاني عشـر ق.م ، وهي حضـارة كانت شـامخة زهت نحو 2000 سـنة ، وأذنـت بأفـول لا رجعـة منـه. جاء لمصـر الغزاة من شـرق وغـرب حتى غدت مصر ولاية فارسـية منـذ 525 ق.م. على يدي (قمبيز) وخلفائـه ثمّ إقطاعيّـة يونانيّـة لخلفـاء الإسـكندر (333) ق.م ، ثمّ ولايـة رومانيّـة (30 م) للقياصـرة في رومـا ارتحلـت تبعيّتها معهـم إلى بيزنطة (395) م ، وباندثـار الحضـارة تندثـر اللغـة ولم يبـقَ مـن المصريـين في مطلـع القرن السـابع مَـن يتكلّـم المصريّة الفصحـى ، وإنّما آلـت المصريّة الفصحـى إلى قبطيّـة دارجـة هجينـة تُكتب كلُّهـا أو تكاد بأحـرف يونانية ابتـدع رسـومها الفينيقيـون مـن قبـل وتنضـح برطانـة تعـرف منهـا آثار ألسـنة الغـزاة الإغريق ، فالرومان ثمّ مسـحة مـن آرامية فارسـية انتقلت إليها مـع جيوش (قمبيـز)(16).

أمّـا فـارس الـتي بلغـت أقصى اتسـاعها علـى عهـد الإخمينيـين (القرن السـادس ق.م) - (القرن الرابع ق.م) ، فشملت إمبراطوريتهم منذ القرن الخامـس ق.م. الشـرق الأدنى القـديم كلّـه مـن فـارس إلى مصـر ، ومن بابـل ومـا بـين النهرين إلى سـواحل البحر الأبيض في سـوريا وفلسـطين ، واكتسـحوا اليونـان في آسـيا الصغرى.

فارس هذه ماذا بقي منها؟

لقـد كـرّ عليهـم الإسـكندر ، فقـوّض ملكهـم من تخـوم الهنـد إلى مصر (333 ق.م) وورث إمبراطوريتهـم الشاسـعة جميعًـا ليتوزّعهـا خلفاؤه من بعـده ، وليبدأ في الشـرق الأدنى كلّه العصر الهليـنيّ أي المصطبغ بالصبغة

اليونانيـة فكرًا ولغـةً وحضارةً ، ولم تكن جحافل الإسـكندر يونانيّة خالصة وإنّما كانت تسـتمدّ في سـيرها المدد من أهل الأقطـار المفتوحة حتى انتهت غـارة الإسـكندر واسـتقرّ الغـزاة بعد الفتـح في مواقعهـم تتمـازج الدماء وتختلط الألسـنة وتتلاقـح الثقافات والفلسـفات والعقائد(17).

يقـول الباحـث اللّغـوي الأسـتاذ/ محمـود رؤوف أبو سـعدة: (لقد جمدت الفارسـية القديمة على الألسـنة ولم يعد يُسـتدلّ عليها إلا من نقوش كُتبت مـا بـين القرنـين السـابع والرابـع قبـل الميـلاد ، وحلّـت محلّها الفارسـيّة الفهلويّـة التي كُتبت بها نصوص زرادشـت في القـرن الثالث الميلاديّ وآلت إلى الأفسـتية أي لغة النصّ الأصلي ، فعاشـت في المعابـد والأذكار ، وبقيت منهـا فارسـية تزهـو حينًـا وتتحامل علـى نفسـها حينًا حتى أجهـز عليها الفتح الإسـلاميّ في القرن السـابع الميلادي ولم يسـتعد الفرس سـلطانهم في أواخـر الدولـة العباسـية إلا وقـد آلـت الفارسـية إلى رطانـة ثلثها على الأقـلّ عـربيّ هي تلك الفارسـية الحديثـة التي نعرفهـا الآن)(18).

وهكـذا يتبيّـن من الناحيـة التاريخيّة أنّ اللغة العربيـة كانت في عهد نزول القـرآن الكـريم هي أرقـى وأنضج وأجمل لغـات العالم وبالتـالي كانت هي المؤهّلة لتحمل رسـالة الله تعالى للبشـرية الخاتمة ، وهي الدين الإسـلاميّ ومعجـزة الرسـول محمّد صلّى الله عليه وسـلّم وهـي القرآن الكريم.

مميّزات وجماليّات اللغة العربية

والدلائـل العلميـة على أنها أمّ اللغات السـاميّة وأصل معظـم اللغات وأصل الـكلام. قبـل الحديـث عـن المميّـزات اللغوية المتفوّقـة للغـة العربية على باقـي اللغـات من حيث خصائصها وفـرادة امكانيّاتهـا التعبيرية يجدر بنا أن ننعطـف إلى بعـض الدراسـات العلمية التي تبيّن بأنّ اللغـة العربية تُعدّ أصـل معظم اللغات وأصـل الكلام.

لقـد قامـت الباحثـة اللغويـة (د. تحيّـة عبدالعزيـز) بعمل دراسـة ممتعة وعميقـة بعنـوان (العربيـة الفصحـى أمّ اللغـات الهنديـة الأوروبية وأصل الكلام)

(Classic Arabic as the ancestor of indo-europian languages (and the origin of speech

والدراسـة تتناول المقارنة بين ثلاث لغات قديمة هي اللاتينية والسكسـونية وهـي اللغـة الجرمانيـة الـتي بنيـت عليهـا الإنجليزيـة الحديثة مـع اللغة العربيـة الفصحى ولقد كشـفت الدراسـة عـن معلومات شـديدة الأهميّة.

أولًا: إنّ 80٪ مـن أفعـال اللغـة السكسـونية مـن أصـل عـربي و 75٪ مـن أفعـال اللاتينيـة من أصـل عربي ، ونضرب هنـا بعض الأمثلـة لأنّ المجال لا يتّسـع لسـرد الكثير.

عربي	Latin (لاتيني)
أرجو	Rego
أكر	Curro
ذكر	Dicere
كهف	Cavus
قارص	Corus
قبض	Captus
نقص	Necesse
عربي	Anglo-saxon (انجلو ساكسون)
ورى	Wara
ورد	Wyrit
ضار	Daru
هو	he

هذه فقط أمثلة قليلة جدًّا ممّا ورد في الدراسة.

ولقـد توصّلـت الباحثـة أيضًـا إلى أنّـه بمـا أنّ اللغـة الانجليزيـة الحديثة وأصلها السكسـونية قـد تأثّرت إلى حدّ كبير باللاتينيـة ، ونجد بها كلمات عربيـة كثـيرة وهنا بعـض الأمثلة:-

عربي	Modern english الأنجليزية الحديثة
هرع	Hurry
شكل	Shackle
بدن	Body
رسغ	Wrist
وسط	Waist
صوت	Sound
طال	Tall
قال	Call
تلى	Tell
باطن	Bottom

ولا يمكـن أن توجـد لغـات بهـذه النسـب العاليـة مـن الكلمـات المشـتركة إلا لـو كانـت مـن أصـل واحد فمـا هو هـذا الأصل؟ هـل هـو اللاتينية أم السكسـونية أم العربيـة؟

حسـب الإحصـاءات الـتي قامت بهـا الباحثة وجدنـا عدد الجـذور اللغوية في تلك اللغـات كالآتي:-

العربية: 16,505 جذر لغوي.

اللاتينية: 800 جذر لغوي.

الأنجلوساكسون، 2140 جذر لغوي.

ويتّضح من الأرقام أنّ اللغة السكسونية واللاتينية عبارة عن فرع فقط من اللغة العربية على الرغم من أنّها من نفس الأصل ، وأنّ هذه اللغات طرأ عليها ضعف وتقلّص لم يصب العربية. كذلك أكّدت الباحثة أنّ اللغة العربية مبنيّة على خمسة مستويات في حين أنّ جميع لغات العالم مبنيّة على أربعة مستويات لأنّ اللغة العربية احتفظت بمستوى الرموز الصوتية (sound symbolism).

لذلك نجد كلّ حرف في اللغة العربية عبارة عن رمز صوتي له معنى حسب مخرجه من أدوات الصوت الإنساني فمثلًا حرف (الراء) نجد أن اللسان يتحرّك بسرعة داخل الفم لذلك يرمز إلى التكرار كذلك حرف (الحاء) تدل على السخونة والحرارة والحركة ، وهناك عدّة أمثلة أخرى ذكرتها الباحثة سنوضحها فيما بعد.

وبما أنّ الحرف (Phoneme) هو أصغر وحدة في النطق ، فاللغة العربية تصل بنا إلى بداية الكلام وكما ترى الباحثة (د. تحيّة عبدالعزيز) أنّ اللغة العربية أوّل ما نطق به الإنسان كما توصّلت الباحثة إلى نتيجة مذهلة وهي أنّ لغة قدماء المصريين ، وهي لغة قديمة جدًّا تعدّ مشتقّة من اللغة العربية وقد ضربت عدّة أمثلة أقتبس منها بعضها كالآتي:-

عربي	لغة قدماء المصريين
أب	Abo
خاتم	Xetem
نهر	Neher
قطاع	Katai
صحوه	Sahua
خرّ	Kher
حقد	heqt

كما برهنت الباحثة على عدّة معلومات لا يتّسع المجال لذكرها تفصيلا مثل أنّ اللغة العربية أرتب اللغات من حيث القواعد وأكثر اقتصادًا من حيث تركيب الكلمات وقوانين اللغة وتلك علامات تدلّ على رقيّ اللغة أمّا اللغات المشتقّة منها فقد حاولت تعويض ما فقدت بطريقة عشوائية وغير اقتصادية ممّا أثّر على تكوينها وقواعدها وقدرتها على التعبير (19).

أمّا الباحث اللّغوي الأستاذ/ حسام البيطار فقد أصدر كتابًا رائعًا ومثيرًا للغاية بعنوان (إعجاز الكلمة في القرآن الكريم) صدر عام 2005م ، وأثبت فيه بأنّ أصل اللغة هو ثنائي بمعنى أنّ أصل جميع كلمات اللغة هو في الأساس يتكوّن من حرفين ، وهذان الحرفان يحملان معنًى مجرّدًا تشترك فيه جميع الكلمات التي تبدأ بهذين الحرفين كما يتضمن الكتاب بيان أنّ كلّ كلمة من كلمات اللغة العربية تحمل الأسرار العلمية بما تشير اليه وهذا يقتضي ألا تكون اللغة من صنع البشر (20).

يقول الأستاذ/حسام البيطار: (اللغة العربية هي أمّ اللغات والممثّلة في القرآن الكريم والتي هي اللغة الوحيدة في العالم التي حافظت على أصالتها أمّا اللغة الإنجليزية فقد تمّ اختيارها في الدراسة لأنّها تعتبر أهمّ لغة في العصر الحالي ، وفي هذه الدراسة نبرهن أنّ اللغة الانجليزية هي لهجة من لهجات اللغة الأمّ ، وهي العربية وهذا الإثبات يدعم القول بتوقيف اللغة وأنّ جميع اللغات من الله سبحانه وتعالى مع وجود التحريف الذي كان من صنع الناس وأكثر ما يكون هذا التحريف في غير اللغة العربية) (21).

إنّ الدراسة التي قام بها الاستاذ/ حسام البيطار تتطابق تمامًا مع دراسة الباحثة اللغوية (د. تحية عبدالعزيز) التي ذكرناها سابقًا حيث تبرهن دراسته أيضًا أنّ لغات العالم تقترب من اللغة الأمّ أي لغة القرآن الكريم بنسبة أو بأخرى ولقد أعطى في كتابه المثير أمثلة عديدة لدعم فكرته نختار منها الآتي:-

1- كلمة (يلعب) في اللغة الأنجليزية هي (Play) وهي في الحقيقة كلمة يلعب بالعربية مقلوبة.

2- كلمة (blame) بمعنى لوم حذفوا حرف b وهي Lame بمعنى لام.

3- كلمة مثل (hair) التي تعني شعر أضف حرف s لتصبح shair أي شعر بالعربية.

4- كلمة (leg) وهي الرجل بالعربية إذا حذفنا حرف الراء وثم نقرأ كلمة جل بالمقلوب تصبح Leg بالانجليزية.

5- كلمة (Neck) بمعنى عنق ، فقط حذفوا منها حرف العين الذي لا يُنطق بلغتهم.

وهكذا يمضي الكتاب في ضرب أمثلة عديدة تبرهن على أنّ اللغة الانجليزية ما هي إلا لهجة مشتقّة من اللغة العربية بل إنّ الدراسة قد برهنت أنّ لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى موجود في اللغة الانجليزية منها كلمة hallow بمعنى يقدس أو يبجل وهذه الكلمة كما يقول هي اسم الجلالة (الله) تمامًا وكلّ ما يلزم هو نقل الهاء بعد اللام لتصبح الكلمة هكذا Allhow وحتى لو لم نغير حرف الهاء يمكن أن تقرأ الكلمة (الله) ومن هذه الكلمة أيضًا holy بمعنى مقدس(22).

وهكذا نرى أنّ البحث العلمي الرصين يبرهن على أنّ اللغة العربية هي أصل معظم اللغات وأصل الكلام ممّا يؤكّد أنّ اللغة توقيفية وليست توفيقية كما ادّعى العديد من الباحثين اللغويين وهذا يُعدّ برهانًا على إعجاز القرآن العلميّ عندما ذكر القرآن إنّ أوّل شيء تعلّمه آدم عليه السلام كان اللغة ، حيث يقول تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة: آية 31.

والآن ننتقل إلى ذكر بعض جوانب عبقرية اللغة العربية ومميّزاتها وخصائصها التي جعلتها أجمل وأعظم اللغات قاطبة.

لا شكّ أنّ اللغة العربية هي من أجمل اللغات في العالم وذلك بسبب جمالية تركيباتها وتناغم أصواتها وألفاظها ومعاني كلماتها الغنية والمتعدّدة. بهذا يمكن القول أنّ اللغة العربية لديها نظام دقيق للإعراب وهو ما جعلها لغة فعّالة وسلسة في التعبير عن المعاني والأفكار ، واللغة العربية تتمتّع بجماليّة فريدة في تصميم حروفها وشكلها وخاصةً في الخطّ العربيّ المميّز وتحتوي على شعر عظيم وأدب رفيع ، وللّغة العربية بنية تتميّز بصياغتها الأنيقة والرصينة فهي لغة منظّمة ، وتحتوي على تراكيب نحويّة ثريّة ، وتحتوي على حروف جميلة وناعمة كما أنّها تتميّز بالتلاعب بالحروف والأصوات ، وبذلك تشكّل نغمًا موسيقيًّا جميلا كما أنّها لغة تعبّر عن الإحساس بالعواطف وهذا ما يجعلها رومانسية وجذابة (23).

وتتوفّر في اللغة العربية مجموعة من الأدلّة والخصائص التي تجعل منها الممثّلة الأولى للّغة العربية الساميّة الأمّ ومنها:

1) إنّ اللغة العربية لم تسبقها لغات أخرى في شبه الجزيرة العربية فهي لغة شبه الجزيرة الأولى والأصلية بدون تغيير منذ أن نشأت وحتى الآن.

يقول المؤرخ واستاذ الأدب العربي (د. محمد خليفة أحمد): (العرب لم يعرفوا في تاريخهم اللغويّ قديمًا وحديثًا الازدواجية اللغوية التي مرّت بها بلاد النهريين قديمًا حيث عاشت الأكادية الساميّة إلى جانب السومرية لعدد من القرون وكذلك عاشت اللغة العبرية طوال تاريخها في حالة ازدواجية لغويّة تضمّ العبرية ولغة أخرى هي لغة البلد الذي تعيش فيه الجماعة اليهودية) (24).

إنّ العرب داخل شبه الجزيرة العربية لم يشترك أحد معهم في الحياة داخلها فظلّت اللغة العربية لغة واحدة بعيدة عن المؤثّرات الأجنبية.

وعن بعض الأدلة اللغوية العلمية على أصالة اللغة العربية ، وسَبْقها للعبرية والآرامية في الزمان والمكان يقول الباحث اللغوي الكبير الأستاذ/ محمود رؤوف أبو سعدة: (العربية تتفوّق تفوّقًا ساحقًا بوفرة المادة اللفظية الأصلية (الجذر الثلاثي) بما لا يقاس على العبرية والآرامية ليس فقط بسبب زيادة الأبجدية العربية بستة أحرف إضافية (ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ) ، وإنّما أيضًا لكون العربية أوفر أوزانًا ، وأضبط وأقيس. تستطيع الإتيان بالطريق المعجب دون زيادة في أحرف الجذر ، وإنّما فقط بتغيير حركة عينه مثل الفعل (صَنَعَ) أي كان صانعًا شيئًا ما ، و(صَنِعَ) أي كان حاذقًا ماهر الصنعة وغيره كثير) (25).

ويقول الأستاذ/ أبو سعدة أيضًا: (ومن وجوه الأصالة والتفوّق للعربية أنّها تستنفد من الجذر الأصليّ كلّ معانيه الرئيسة والمترتّب عليه ، على حين تقتصر العبرية والآرامية غالبًا على وجه واحد تجمدان عليه. من ذلك: الفعل(حَمدَ) فهو في العربية بمعان يتسلسل بعضها من بعض.. حَمَدتُه يعني رضيته وأعجبت به ، وحمدته أيضًا يعني ذكرت محاسنه فمدحته بما هو أهله ، وحمدت له أمرًا يعني استحسنت له وغير ذلك ، أما العبرية فتقتصر من الحمد على وجه واحد هو الرضا والإعجاب (26).

ويقول أيضًا الأستاذ/ محمود أبو سعدة: (لهذا صحّ عند اللغويين الإثبات أنّ العربية هي أمّ الساميات جميعًا لأنّها الخزانة اللغوية التي تغترف منها سائر لغات الفصيلة ولا تنضب هي بل لديها دائمًا المزيد بل ترجّح عند البعض أنها الأصل البعيد الذي انشقّت منه فتحوّرت سائر لغات المجموعة الأفريقية الآسيوية ومنها المصرية والحبشية(27).

ويقول أيضًا الأستاذ/ أبو سعدة: (إنّ اللغة العربية أيًّا كان الشكل الذي تطوّرت منه إلى الشكل الذي نزل به القرآن في مطلع القرن السابع للميلاد كانت هي نفسها في عصر ما غير بالغ القدم اللغة السائدة بين سكان شبه الجزيرة العربية من أقصى اليمن إلى أقصى الشام وإن الآرامية التي ارتحل بها آباء إبراهيم عليه السلام من العراق إلى سوريا والعبرية التي ارتحل بها إلى مصر يعقوب وبنوه وعاد بها بنو إسرائيل إلى جنوبي فلسطين بغير الوجه الذي ذهبت به هذه وتلك وسائر ما تكلّم به أهل الشرق الأدنى القديم في شبه الجزيرة ليست إلا لهجات قبلية متحورة عن هذه العربية نفسها. تهجّنت بها ألسنتهم بتأثير الغزو اللغويّ الحضاريّ الذي توالى على أطراف شبه الجزيرة شرقيها وشماليها ، وسلم من قلبها في الحجاز وإلى حدّ بعيد جنوبيها اليمن. على أنّك وإزاء هذا المستوى الفنّيّ الرفيع الذي ارتقت إليه العربية تلك اللغة الفذّة نحوًا وصرفًا وإعرابًا والذي تلمسه قبل نزول القرآن لا بدّ يخايلك إحساس مبهم بأنّ تلك اللغة لا ريب سليلة حضارة موغلة في القدم سبقت عصر الطوفان وسبقت عصر التصحّر والجفاف في شبه الجزيرة ثمّ ضاعت في ضباب التاريخ) (28).

ويؤكّد على أنّ اللغة العربية هي أمّ اللغات الساميّة المستشرق الإنجليزي (الفريد جيوم) أستاذ اللغات الشرقية الذي يقول: (كانت اللغة العربية والديانة في أيام الخلافة الإسلامية العظماء وحدة غير قابلة للانفصام ، ولحظّ الإسلام نزلت رسالته في وقت نضوج اللغة التامّ وكانت الآرامية مجدبة إذا قورنت بالعربية حتى العبرية القديمة في ذروة مجدها فإنّها لم تطَلِ العربية بمرونتها واشتقاقها العجيب فمن معينها الخالص أمكن نحت تعابير واشتقاق مصطلحات في غاية الدِّقّة وفقًا لمتطلّبات

الفنون والعلوم الجديدة فقد صلح اللسان العربي للتعبير عن العلاقات بإيجاز أكثر من اللغات الآريّة لمرونته وقابليّته الاشتقاقية الفائقة في الاسم والفعل. إنّنا ندين للغة العربية بجانب هذا بدَين كبير في حقل دراسات الكتاب المقدّس إذ ما أصبحت اللغة العربية لغة عالمية حتّى أدرك اليهود صلتها الوثقى بالعبرية ، فقلّدوا النحو العربيّ ، ومنذ بداية القرن التاسع الميلادي والاستمداد من معين اللسان العربيّ لا ينقطع في تفسير الكلمات النادرة والتعابير الغريبة في العبرية حيث أنّ العربية أكبر سنًّا من ناحية البلاغة وفقه اللغة بقرون لا تُعدّ ولا تحصى)(29).

ويقول الفيلسوف الهولندي (فرانز روزنتال): (لقد أدّى إتقان اللغة العربية وتناولها بطريقة فنّيّة بوصفه الشرط الأوّل لكلّ إنتاج أدبي ذي قيمة إلى تأكيد تفوّق اللغة العربية وتبوّئها المكانة الأولى بين اللغات التي تتكلّمها الشعوب الإسلامية ، فعلم النحو وتصنيف المعاجم مدينان بصفة خاصّة إلى عبقرية اللغة العربية)(30).

ويقول أستاذ اللغة والنقد البلاغيّ (د. علي عبدالواحد): (ومن أهمّ ما تمتاز به اللغة العربية أنّها أوسع أخواتها الساميّات ثروةً في أصول الكلمات فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها الساميّات وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان الساميّ الأوّل ، ولا يوجد لها نظير في أيّ أخت من أخواتها. هذا إلى أنّه قد تجّمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال مالم تجتمع للغة ساميّة أخرى)(31).

وعن ميزة الحرف العربي نقول إنّ كلّ حرف من الحروف العربية له معنى تلمحه ، فالراء مثلا يشير إلى التكرار والاستمرار ، والقاف إلى القوة ، والغين للاستتار ، والفاء للشقّ والقطع ، والدال للشدّة ، والشين للتفشي والانتشار ، وغير ذلك. وهذا ما أسمته الباحثة (د. تحية عبدالعزيز) بالمستوى الخامس الذي تميّزت به اللغة العربية.

يقول الأديب والمفكر الموسوعي الأستاذ/عبّاس العقاد: (اللغة العربية لغة شاعرة ، فهي لغة إنسانية ناطقة يستخدم فيها جهاز النطق الحيّ أحسن استخدام يهدي إليه الافتنان في الإيقاع الموسيقي وليس هناك أداة صوتية ناقصة تحسّ بها الأبجدية العربية)(32).

ومن خصائص الكلمة العربية هذه الصلات الوثيقة التي نجدها بين أصول الكلمات في موادّها الأوّلية ، وهذا ما يسمّى بالاشتقاق ، والعلماء لا يقصرون الاشتقاق بالطبع على ما تتصرّف إليه الكلمة الواحدة إلى أبنية كثيرة وصيغ متعدّدة -وهذا هو (علم الصرف)- وإنّما هناك مفهوم أوسع للاشتقاق بمعنى ملاحظة ما بين الكلمات ذات الأحرف المتماثلة التي اختلف وضعها بالكلمة تقديمًا وتأخيرًا مثل (شيخ وخيش) و(سِفر وفسر) أو المتقاربة ويشتمل ما بين هذه الكلمات من صلات وروابط(33).

يقول أستاذ اللغة العربية والنقد البلاغيّ (د. فضل حسن عباس): (من الأحرف المتماثلة كلمة شيخ وسِفر مثلا ، فإذا تصرفنا في هذه الكلمات فقدّمنا بعض حروفها وأخّرنا بعضها الآخر فإننا نجد هناك صلة بين المعاني التي تدلّ عليها هذه الأحرف؛ فالشيخ يطلق على من كبر سنّه والخيش الذي يطلق لما عظم من النسيج ، والسِفر للكتاب الذي يكشف للإنسان عمّا فيه من علم ، وكلمة السَفَر التي تكشف للمسافر كثيرًا من المجاهيل ، والفسر وهو الكشف وغيرها كثير)(34).

ويقول الناقد اللغويّ والأدبيّ (د. عيسى علي العاكوب): (يلحظ من يستقرئ مواقف عرب الجاهلية من الشعر أن الحكم الجماليّ على الشعر واكب حركة الإبداع الشعريّ منذ وقت مبكّر إذ يبدو من الجائز القول إنّ تاريخ الأحكام الجمالية هو تاريخ النظم ، وقد يستنتج المرء أنّ الاهتمام بجودة الشعر فرع على الاهتمام بجودة الكلام وذلك عند أمّة أدركت قوّة فعل الكلمة في النفس فجمعت في مادّة لغوية واحدة بين (الكَلام) بمعنى القول ، و(الكُلام) بمعنى الأرض الغليظة والصلبة ، و(الكَلْم) بمعنى الجرح ، وهذه المادة في جمهرة تجلياتها الاستعمالية تفيد قوة التأثير بدءً من كَلام القول إلى كُلام الأرض إلى كَلْم الجرح(35).

ومن مميّزات اللغة العربية السعة والشمول في المفردات والدِّقّة والإحكام ، ومن هذه الدِّقّة والإحكام تلك الكلمات التي يُظنّ أنّها متّحدة في المعنى كالخوف والخشية والإشفاق والوجل والفزع والقعود والجلوس والشكّ والريبة والمرية وغيرها كثير لكن بعد التأمّل نجد أنّ لكل واحدة منها معناها الخاص.

يقول الأديب وأستاذ البلاغة (مصطفى صادق الرافعي): (العربية تعتبر أحكم اللغات نظامًا في أوضاع المعاني وسياستها بالألفاظ ، وهي من هذا القبيل اعظمها ثروة وأبلغها بحيث لا تدانيها في ذلك لغة أخرى كائنًا ما كانت ، فالعرب لم يدعوا معنى من المعاني الطبيعية التي تتعلّق بالحياة الروحية أو البدنية ممّا تهيّأ لهم إلا رتّبوا أجزاءه ، وأبانوا عن صفاته بألفاظ متباينة تعيّن تلك الأجزاء والصفات على مقاديرها(36).

ويضرب الأديب الرافعي مثلا جميلا لهذه الخاصيّة في اللغة العربية حيث يقول: (فأوّل معاني الحياة الروحية الحبّ وهذه مراتب عندهم الهوى ، ثمّ العلاقة وهي الحبّ اللازم للقلب ، ثمّ الكلَف وهو شدّة الحبّ ، ثمّ العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحبّ ، ثمّ الشغف وهو إحراق الحبّ للقلب مع لذّة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج

فإنّ تلك حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق ، ثمّ الجوى وهو الهوى الباطن ، ثمّ التيم وهو أن يستعبده الحبّ ، ثمّ التدليه وهو ذهاب العقل من الهوى ، ثمّ الهيوم وهو أن يذهب على وجهه لا يستقرّ وذلك لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم)(37).

وعن الفروق بين اللغة العربية وغيرها من اللغات يقول أستاذ اللغة والبلاغة الأستاذ/ أحمد حسن الزيّات: (اللغة العربية طبعها أهلها منذ القدم على موسقة الألفاظ ، وتنويع المعاني بصور البيان ، وتطويق الجمل بألوان البديع لا فرق في ذلك بين البدو والحضر ، ولا بين الفصحى والعامية ، حتى أطمأنّ كثير من رجال القلم إلى أن يعفّوا طباعهم من جهد التفكير ، ويحاولوا امتلاك القلوب بروعة الاسلوب فكانت المقالة أو القصيدة أشبه بالقطعة الموسيقية)(38).

ويقول الأديب الأستاذ/ مصطفى الرافعي: (لو أنّ أحدًا عكف على اللغة العربية يتتبّع ألفاظها ، وتدبّر وجود اشتقاقها ، وتفقّد مواقعها في كلام العرب ، ورتّب صيغها وأوزانها على ما تقتضيه أغراضها لجاء بعلم يكشف عن كثير من أسرار الوضع ، ويهتك عن أسرار الحكمة المستكّنة في دقائق هذه اللغة العجيبة التي يزيد في العجب منها أنّها لغة تلك العقول الفطرية ، والفطرة وان كانت دائمًا تختصّ بمسحة إلهية إلا أنّها تكوّن أصل الكمال في النفس وهذه اللغة يوشك أن يكون أمرها معجزًا على ما رأيت بحيث لا يغلو في رأينا من يقول إنها بسبيل الأوضاع الإلهية في التوفيق والإلهام لأنّ أثر ذلك قد ظهر في القرآن الكريم(39).

ويقول الأديب والمفكّر الموسوعي الأستاذ/عبّاس العقّاد: (إنّ جهاز النطق الإنسانيّ أداة موسيقية وافية لم يحسن استخدامها على أوفاها أمّة من الأمم القديمة أو الحديثة كما استخدمتها الأمة العربية لأنّها انتفعت بجميع المخارج الصوتية ، وتقسيم حروفها ، ولم تهمل بعضها وتكرّر بعضها الآخر بالتخفيف تارّةً وبالتثقيل تارّةً كما فعل المتكلّمون بسائر اللغات المعروفة مثل الهندية والطورانية ، فإذا انتقلنا من الحروف إلى الكلمات التي تتألّف منها فهذه الدلالة ظاهرة جدًّا كظهورها في الحروف المتفرّقة لأنها تضيف الموسيقية في القواعد والموسيقية في المعاني إلى الموسيقية الملحوظة في مجرّد النطق ، وحسبنا أن نلاحظ في تركيب المفردات من الحروف أنّ الوزن هو قوام التفرقة بين أقسام الكلام في اللغة العربية ، وأنّ اللغات الساميّة التي تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقّات بالموازين التي تسري على جميع أجزائها وتوفّق أحسن التوفيق المستطاع بين مبانيها ومعانيها)(40).

ويقول أستاذ اللغة العربية والمفكّر الإسلامي (د. صبحي الصالح): (حين نصف اللغة العربية بسعة التعبير وكثرة المفردات وتنوّع الدلالات وحين نتجرّأ أكثر من هذا فنزعم أنّ لغتنا أوسع اللغات ثروةً وأغناها في أصول الكلمات الدوالّ على معانٍ متشعّبة قديمة وحديثة جدير بنا أن نذكر أنّ اللغات جميعًا دون استثناء تزداد ثروتها وتبلغ مفرداتها من الكثرة حدًّا لا نهاية له إذا كُتب لها من شروط النماء والحياة والخلود ما كُتب للغة العربية ، فقد أتيح للغة القرآن الكريم من الظروف والعوامل ما وسّع في طرائق استعمالها وأساليب اشتقاقها وتنوّع لهجاتها فانطوت من هذا كلّه على محصول لغويّ لا نظير له في لغات العالم)(41).

ويقول (د. صبحي الصالح): (لا يرتاب أحد من الباحثين اللغويين قدامى ومحدثين شرقيين وغربيين في أنّ العربية من أقدم اللّغات وأقواها أصالةً وأوسعها تعبيرًا بل يتصدّى بعضهم اليوم إلى اعتبار العربية فوق اللغات الإنسانية قاطبة فهي أمّ اللغات الآرية لا الساميّات والحاميّات)(42).

ويقول (د. صبحي الصالح) أيضًا: (لقد اصطنع العرب لغة قريش للتفنّن في القول والإبانة في التعبير ، فدلّ استصفاؤهم إيّاها على أنّها اختارت من كلام العرب أبينه ، وراعت أرشقه ، واعتمدت أصفاه ، فكان حقًّا ما ذهب إليه الباحثون من المستشرقين وغيرهم من أنّ أهمّ مزيّة للعربية حفظت لها شخصيّتها بين أخواتها الساميّات إنّما هي عزلتها عن الشعوب الأعجمية ، واكتفاؤها بمقدرتها الذاتية على التعبير ، وعلى التمثّل والتوليد وعلى التخيّر والانتقاء في موطنها بين شقيقاتها اللهجات الفصحى التي تبادلت معها التأثير والتأثّر بينما كانت الساميّات تتغيّر عن موطن الساميّة الأمّ ، وفي الوقت نفسه عن الأصالة والصفاء ، ولقد كان لتلك العزلة نتائج حسنة في محافظة العربية على ظاهرة الإعراب الكامل ومناسبة حروفها لمعانيها وثبات أصواتها مع سعة مدرجها وتنوّع صرفها واشتقاقها وتعدّد أبنيتها وصيغها وكثرة مصادرها ، وغنى مفرداتها بالاشتراك والترادف والتضادّ ، واستعدادها الذاتيّ للنحت والتوليد والتعريب)(43).

وهكذا نجد أنّ كافّة الدلائل العلمية والتاريخية تؤكّد على تفوّق اللغة العربية بل وأنّها المصدر الذي اشُتقّت منه معظم لغات العالم لذلك لا غرابة أن نجد أنّها هي الوحيدة المؤهّلة لحمل رسالة الله تعالى الأخيرة للبشرية والمعجزة اللغوية والبلاغية العظمى وهي القرآن الكريم.

شهادات من علماء ومفكرين غربيين مسيحيين ويهود وغيرهم

. على عبقرية اللغة العربية وجمالها

1. يقول المفكّر الثوريّ الهنديّ غاندي (كلّ لغة فيها جمال ، ولكنّ اللغة العربية هي الجمال نفسه)(44).

2. يقول الشاعر (جبران خليل جبران): (إذا كانت اللغة الإنجليزية لغة

العلـم ، فإنّ اللغة العربية هـي لغة الروح)(45).

3. يقـول الأديب الفرنسـي (فيكتـور هوجو): (كان العـالم في عصر لويس الرابـع عشـر مقبـلا علـى الدراسـات الإغريقية أمّـا الآن فقـد أقبل على الدراسـات الشـرقية لما فيهـا من فنّ وخيـال وآراء وأفـكار)(46).

4. يقـول اللغـويّ اليهوديّ (يهوذا ابـن طبون): (اللغة العربيـة أثرى لغات الأرض وأصلحهـا لـكلّ المقالات والمقامـات ، وهي لغة الشـعر التي لا ترقى إليهـا لغة أخرى ولغة الفلسـفة الـتي تنفذ إلى صميـم الموضوعات فتوضّح الغامـض وتبسّـط الدقيق على عكس اللغـة العبرية)(47).

5. يقـول المستشـرق (أولهـوزن): (إنّ اللغـة العربيـة هـي أقـرب لغـات السـاميين إلى اللغـة السـاميّة القديمـة)(48).

6. يقـول البروفيسـور (دايفيـد يالـين) أسـتاذ الأدب العـبريّ الأندلسـيّ: (اتّخذ شـعراؤنا من الشـعر العـربي في ذلك العهد نموذجًا ينسـجون على منوالـه ، وكان الشـعر العـربيّ قد بلغ آنئذ الأوج في الازدهـار والإبداع. لقد كان يهـود الأندلـس يعتقـدون اعتقـادًا راسـخًا بـأنّ العرب يفوقون سـائر الأمـم في مضمار الشـعر)(49).

7. يقول الفيلسـوف اليهوديّ (موسـى بن عزرا): (الشـعر عند العرب أمر طبيعيّ بينما هو عند سـائر الشـعوب أمر اصطناعيّ)(50).

8. يقـول الناقـد العـبريّ (يهـوذا الحريـزي): (اعلـم أنّ الشـعر البديـع الحافـل باللآلـئ قـد كان في بـادئ الأمـر ملكًا مقصـورًا على بـني يعرب وحدهـم ، وقـد وزنوه بموازيـن صادقة ، وهم يفوقون في شـعرهم شـعراء العـالم قاطبـة ، ومع أنّ لـكلّ أمّة شـعراءها فإنّ جميع شـعرهم لا قيمة له ولا وزن في مقابـل شـعر العرب ، فالعرب وحدهم هم المسـتأثرون بالشـعر العـذب في لفظـه الجميـل وفي فحواه ومعنـاه) (51).

9. يقـول المستشـرق الفرنسـي (كاردي فـو) الـذي درس اللغـة العربيـة ودرّسـها في المعهـد الكاثوليكـيّ بباريـس: (إنّ اللغة العربيـة دقيقة التعبير فهـي أكثر ملاءمة للعلـم الدقيق منها للفخامة الشـعرية ، وثَمَّ ميزة أخرى لهـا هـي مرونتهـا وسـرعتها في الاسـتجابة لمطالـب المصطلحـات الفنّيـة والتعابـير العلميـة الدقيقة)(52).

10. يقـول المطـران (يوسـف داود الموصلـي) المسـيحيّ: (مـن خـواصّ اللغـة العربيـة أنّهـا أقـرب سـائر لغـات الدنيـا إلى قواعـد المنطق بحيث أنّ عباراتهـا سلسـة طبيعيـة يهون على الناطـق صافي الفكـر أن يعبّر عمّا يريـده من دون تصنّـع وتكلّف باتّباع ما يدلّه عليـه القانون الطبيعيّ(53).

11. يقـول المؤرّخ (أرنسـت رينـان): (من أغرب ما وقع في تاريخ البشـرية وصعـب حلّ سـرّ انتشـاره هو اللغـة العربية ، فقد كانت غـير معروفة بادئ ذي بـدء ، ثمّ ظهـرت فجأة لغة كاملة سلسـة كلّ السلاسـة غنيّـة إلى أبعد حدّ ليسـت لها طفولة ولا شـيخوخة ظهرت لأوّل مرّة مسـتحكمة)(54).

الهوامش

1) بتصرّف من الشـيخ كمال عمارة ، جمال اللغـة العربية وتميّزها بـين اللغـات ، 20ديسـمبر2022م ، مقـال الكتـروني.

2) بتصـرّف مـن د. محمـد خليفة حسـن أحمـد ، رؤيـة عربية في تاريـخ الشـرق الأدنى القـديم وحضارتـه ، 1998م ، ص142.

3) المصدر السابق ، ص142.

4) المصدر السابق ، ص23.

5) نقله أحمد أمين ، فجر الإسلام ، 1975م ، ص31.

6) المصدر السابق ص23.

7) المصدر السابق ، ص41.

8) المصدر السابق ، ص46.

9) المصدر السابق ، ص54.

10) انظـر د. خالـد عبدالقـادر منصـور التومـي ، جمـال اللغـة العربيـة ، لغـة الضـاد ، مقـال إلكتـروني.

11) محمـود رؤوف أبـو سـعدة ، مـن إعجـاز القـرآن في أعجمـيّ القـرآن ، 1993م ، ص47.

12) المصدر السابق ، ص48.

13) المصدر السابق ، ص48 49-.

14) جوزيـف فان ايس ، التوحيد والنبوّة والقرآن في حوار المسـيحية والإسـلام ، 1984م ، ص25.

15) محمود رؤوف أبو سعدة ، المصدر السابق ، ص52.

16) المصدر السابق ، ص53-54.

17) المصدر السابق ، ص54-55.

18) المصدر السابق ، ص55-59.

19) هذه المعلومات مأخوذة باختصار من ملخّص كتاب.
Classic Arabic as the ancestor of endo-europian languages and origin of the speech T.A. Ismail, P289 -290, 291, 292.

20) حسـام البيطـار ، إعجاز الكلمـة في القرآن الكـريم ، 2005م ، ص 3.

21) المصدر السابق ، ص6.

22) المصدر السابق ، ص192.

23) بتصـرّف من د. خالـد عبدالقادر التومي ، جمال اللغة العربية ، مقـال الكتروني.

24) د. محمد خليفة أحمد ، مصدر سابق ، ص143.

25) أبو سعدة ، مصدر سابق ، 64.

26) أبو سعدة ، مصدر سابق ،94-95.

27) أبو سعدة ، مصدر سابق ، 66.

28) أبو سعدة ، مصدر سابق ،96.

29) الفريد جيوم ، الفلسفة وعلم الإعلام ، 1972م ، ص8-12.

30) فرانـز روزنتـال ، الأدب ، نقلـه د. محمد عمارة ، الإسـلام في عيـون غربيـة ، ص272.

31) د. علي عبدالواحد ، فقه اللغة ، 1956م ، ص162.

32) عباس العقاد ، اللغة الشاعرة ، ص17.

33) بتصـرف من د. فضل حسـن عباس ، البلاغـة المفترى عليها ، 1999م ، ص28.

34) المصدر السابق ، ص28.

35) د. عيسـى العاكـوب ، التفكير النقدي عند العـرب ، 2002م ، ص24.

36) مصطفى الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، 232/1.

37) المصدر السابق ، 232/1.

38) أحمد حسن الزيّات ، دفاع عن البلاغة ، ص72-73

39) الرافعي ، مصدر سابق ، 178/1.

40) عباس العقاد ، مصدر سابق ، ص14-15.

41) د. صبحـي الصـالح ، دراسـات في فقـه اللغـة ، 2002م ، ص 292.

42) د. صبحي الصالح ، المصدر السابق ، ص347.

43) المصدر السابق ، ص116.

44) انظـر د. خالـد عبدالقـادر ، جمـال اللغـة العربيـة ، مقـال إلكتـروني.

45) المصدر السابق.

46) انظر حسام البيطار ، مصدر سابق ، ص228.

47) المصدر السابق ، ص228.

48) المصدر السابق ، 230.

49) المصدر السابق ، 231.

50) المصدر السابق ، 231.

51) المصدر السابق ، ص231.

52) كارادي فـو ، الفلـك والرياضيات ، نقله د. عمارة: الإسـلام في عيـون غربيـة ، ص254.

53) نقلـه محمـد الخضـر حسـين ، القيـاس في اللغـة العربيـة ، ص 18.

54) نقله ، د. فضل عباس ، مصدر سابق ، ص66.

معبد أوام في مأرب

شاهدُ على عظمة حضارة سبأ وتراثٌ ينتظر الإحياء

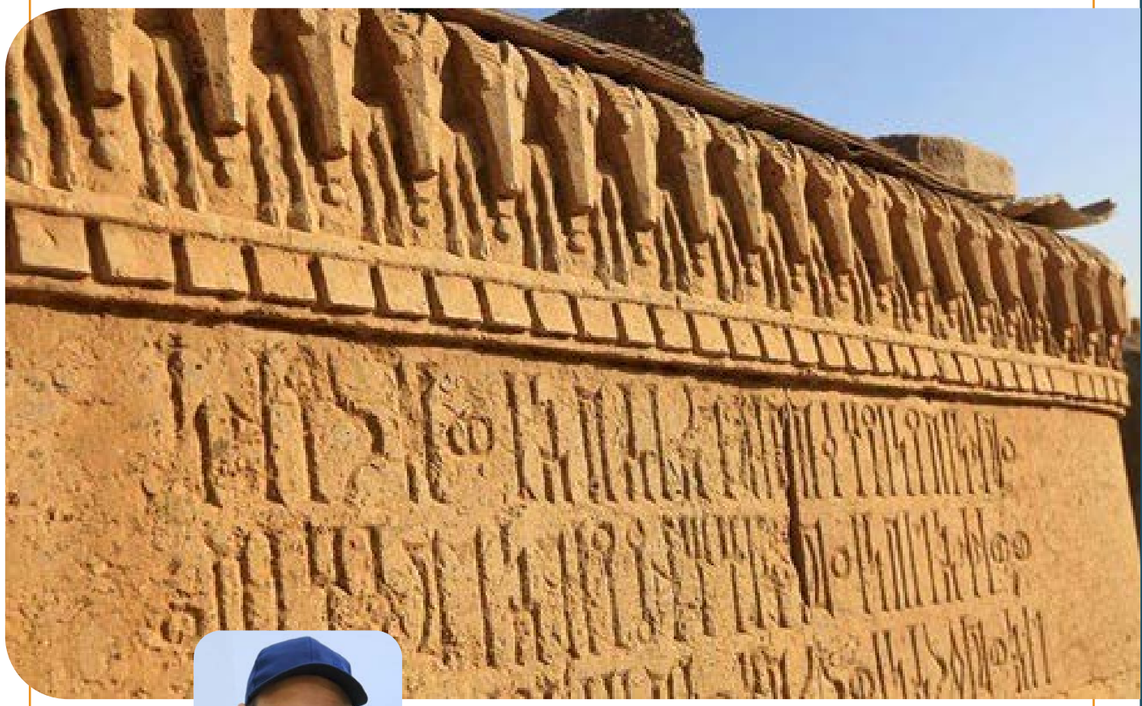

عبد الرحمن مطهر

في قلب محافظة مأرب اليمنية ، وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات جنوب المدينة ، ينتصب معبد أوام شامخًا كأحد أعظم الشواهد على حضارة مملكة سبأ التي ازدهرت في جنوب الجزيرة العربية قبل آلاف السنين. يُعرف أيضًا باسم "محرم بلقيس" ، ويُعد من أقدم المعابد ليس في اليمن فحسب بل في الجزيرة العربية بشكل عام ، ويعتبر المعبد الرئيسي لدولة سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وحمير ، وأيضا لسكان الجزيرة ، ويرجح أن بنائه يعود تاريخ بنائه إلى الألفية الثانية قبل الميلاد.

أما موقعه من مدينة مارب القديمة ، فهو على بعد حوالي خمسة كيلومتر إلى الجنوب الشرقي منها. والاسم الأكثر شهرة لمعبد المقه هو "محرم بلقيس" الذي يعني معبد بلقيس ، أما الاسم القديم للمعبد هو بيت أوام.

وهناك اعتقاد أن المكرب السبئي - يدع إ يل ذُريح ابن سمهو علي ، هو من اختط معبد المقه وبناه من مؤثره حتى أعلاه. وقد بني هذا الاعتقاد على ما جاء في النقش (957) (CIH وهو نفس نقش جلازر (484) ، وقد عثر على النقش مثبتًا في الجزء الأخير (من أعلى من الجدار الدائري للحرم ، وتحديدا في الصف الثامن والعشرين.

هندسة معمارية فريدة

يمتد المعبد على مساحة تقارب 36 هكتارًا ، ويحيط به سور بيضاوي ضخم مبني من الحجارة الكلسية بطول 752 مترًا وسماكة 5.3 متر ، يتوسطه فناء واسع تبلغ أبعاده 52 × 24 مترًا ، تتوزع فيه ثمانية أعمدة حجرية ضخمة ، تعكس براعة المعماريين السبئيين في تصميم أماكن العبادة.

مركز روحي وثقافي

وبحسب عالم الاثار الشهير الأستاذ الدكتور عبده عثمان غالب رحمه الله ، كان معبد أوام مركزًا دينيًا مقدسًا في مملكة سبأ ، حيث كان يمارس السكان طقوسهم التعبدية المرتبطة بالإله "المقه" ، إله القمر في المعتقدات اليمنية القديمة ، وفي المقابل كان على بعد عدة كيلومترات منه يقع معبد "برآن" وهو معبد الشمس ، وكلاهما معبدان مقدسان في الدولة اليمنية القديمة ، فكان اليمنيون يعبدون الشمس والقمر.

وقد وحّد هذا المعبد ديانات حضارات سبأ ومعين وقتبان ، مما جعله رمزًا للتنوع الروحي والتكامل الثقافي في اليمن القديم.

وقد تم العثور في هذا المعبد أثناء التنقيبات الاثرية على كمية كبيرة من النقوش ، ما اعتبرها الكثير من الدارسين مكتبه ثقافية كبيرة تكشف الكثير من اسرار تاريخ اليمن القديم وعلاقة دولة سبأ بالدول والحضارات الأخرى في المشرق والمغرب.

موقع تراث عالمي

وبالرغم من إدراجه في العام 2023 ، ضمن قائمة مواقع التراث العالمي لليونسكو ، كجزء من معالم مملكة سبأ الأثرية ، تقديرًا لقيمته التاريخية والمعمارية والثقافية ، إلا أن هذا الاعتراف الدولي الذي يعزز من أهمية معبد أوام أو محرم بلقيس كما يسميه البعض كمقصد سياحي ثقافي حضاري عالمي ، لم يشفع له من لفت انتباه السلطات المعنية بالاهتمام والعناية به كما يجب.

فهذا المعلم الحضاري الذي أجبر اليونسكو على الاعتراف به كأهم مواقع التراث العالمي يحرسه رجل طاعن في السن له خيمة متواضعة أمام الموقع ، ويحيط به سياج وأبواب حديدية متهالكة ورمال تطمر المعبد.

كما أن لصوص الاثار لم يستكينوا او يتوقفوا ولو للحظة عن النبش المستمر داخل المعبد ، وإحداث حفريات بداخله بحثًا عن أعمدة منقوشة وكنور ثمينة وقطع أثرية ، وعن كل ما يستطيعون نقله وتهريبه للخارج.

كما طال التخريب والحفر والتدمير ثاني أقدم مكتبة لوحية للنقوش في التاريخ والتي تحتوي على أكثر من 1000 نقش.

مستغلين في ذلك تواطؤ السلطات المحلية في عدم حماية ما تحتويه مأرب من كنوز أثرية وحضارية لا مثيل لها ، ولعل ما تعلنه متاحف العالم من مزادات لبيع قطع وتحف اثرية يمنية ما بين كل فترة وأخرى لخير دليل على هذا العبث والنزيف المستمر للتاريخ ولتراث والاثار اليمنية.

سياحة ثقافية

زيارة معبد أوام ليست مجرد رحلة إلى موقع أثري قديم بل عبارة عن غوص في أعماق التاريخ اليمني القديم ، في عبق الحضارة الإنسانية ، وتأمل في عبقرية الإنسان القديم ، الذي استطاع بإمكانات بسيطة من شق الطرقات وانشاء منظومات الري بأسلوب هندسي رهيب ، وبناء المعابد الدينية وغيرها من المنشآت كالقصور والقلاع والحصون ، لذا زيارة معبد أوام تتحول متنفسًا روحيًا وثقافيًا للزائر ، يستحضر من خلاله ذكرى ملكة سبأ التي وردت في الكتب السماوية ، ويستشعر عن طريقها عبق الحضارة السبئية في كل حجر ونقش.

عبده عثمان غالب

وعند الحديث عن الآثار معبد أوام أو الاثار اليمنية القديمة بشكل عام لا يمكن ان نغفل دور الأستاذ الدكتور عبده عثمان غالب وما قام به من حفريات استمرت لسنوات في معبد أوام بمارب ، ولا عن دور الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله أبرز علماء النقوش المسندية في الجزيرة العربية رحمهما الله ، وما قاما به من أعمال كبيرة في التنقيب والتدقيق ودراسة النقوش وكتابة التاريخ اليمني القديم وردم الفجوة التاريخية التي كانت سائدة.

وبالرغم من أن عالمي الآثار الغربيين "بيك وبيرين" من خلال نظرياتهما قد اعتبرا أن تاريخ الاستيطان الحضري في اليمن يعود إلى حوالي الألف الأول قبل الميلاد فقط ، وأن العناصر الأساسية للثقافات التي نمت في المستوطنات التي نشأت خلال هذه الفترة لها أصول أجنبية ، وأن اليمنيين كانوا قبل ذلك يجمعون الطعام لا ينتجونه ، وأن أنظمة الري والزراعة والازدهار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي كانت نتيجة للسيطرة الأجنبية على المستوطنات.

فقد نفى الأستاذ الدكتور عبده عثمان غالب تلك النظريات بأبحاثه ودراساته وتنقيباته الاثرية ولعل معبد أوام أبرز المواقع الاثرية التي اشتغل عليها لسنوات طوال.

فأكد الدكتور عبده عثمان ل"بيك وبيرين" وللعالم أجمع بانه لم تكن

هناك فجوة ثقافية ، وإنما فجوة في المعرفة الأثرية بثقافات العصر البرونزي في اليمن القديم ، معيدًا الاعتبار لـ 4000 عام قبل الميلاد كانت طي التجاهل وضحية لـ: الفجوة الثقافية.

وبالنسبة لتاريخ وآثار الملكة بلقيس قال الدكتور عثمان لكاتب السطور بأنه لم نصل في التنقيب الأثري في موقع معبد أوام إلى مرحلة الملكة بلقيس ، وذلك بسبب الأحداث التي شهدتها اليمن منذ العام 2011 ، ولا تزال ، كما أن وفاته رحمه الله أعاقت أيضا استمرار العمل في المعبد.

غير أن النبش العشوائي للصوص وناهبي الآثار اليمنية سيمحو الكثير من المعالم الثقافية والحضارية والأثرية لمعبد أوام أكبر وأبرز المعابد الأثرية في اليمن والجزيرة في ذلك العهد.

ختاما

معبد أوام ليس مجرد أطلال أو بقايا حجرية قديمة ، بل مرآة لحضارة وتاريخ سبأ التي أدهشت العالم ، كنزًا سياحيًا وعلميًا وتاريخيًا وثقافيًا كبيرًا ينتظر من يعيد له الحياة ، فزيارته تجربة لا تُنسى ، تجمع بين التأمل التاريخي والانبهار المعماري ، وتفتح نافذة على مجد اليمن القديم.

بـــواكـــــير

وجدي الأهدل

كيف تعرف أنك لائق للكتابة؟

يتقدم الشبان للكليات العسكرية ، ويتم قبول أولئك الذين يتمتعون بلياقة بدنية عالية.

حسنًا ، ماذا بشأن الشابات والشبان الذين يرغبون في كتابة الأدب؟ كيف نعرف أن هذا الشاب أو الشابة لائق لكتابة الأدب؟ بمعنى ما هي الشروط المطلوبة من الفتى أو الفتاة ليكون مؤهلًا لكتابة الرواية والقصة القصيرة؟ هل ينبغي أن يقوم بتحضير معين؟ هل يلزم أن يعد نفسه إعدادًا خاصًا؟

ثمة من يقول إن القلم وورقة بيضاء يكفيان.. هذا يشبه الذي يظن أن الجندي يكفيه أن يحوز على بندقية وذخيرة ليصير جاهزًا لأداء واجبه ، ونسي أنه يلزمه أن يتعلم كيفية استخدام البندقية ، وتجاهل أن هذا الشاب بحاجة إلى تدريبات شاقة ليكون جنديًا كُفُؤًا.

نحن نفترض أن الذي يتطلع لكتابة الأدب قد التمس في نفسه الموهبة ، فلأجل هذا يسعى إلى السير الحثيث في هذا الدرب ، وتطوير أدواته الفنية.

لكن ماذا يلزم بالإضافة إلى التدريب اليومي على الكتابة وقراءة الكتب؟ الجواب أنه يلزمه أن يثقف نفسه ثقافة موسوعية.

إن الأديب وخصوصًا الروائي ، محتاج أن يكون على درجة عالية من اللياقة المعرفية؛ وأن يقرأ في مختلف فروع المعرفة ، لأن تناوله للمجتمع يتطلب معرفة موسوعية في السياسة والاقتصاد والأديان والقانون والإدارة وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا وسائر العلوم ، كما أن خلقه لعدد كبير من الشخصيات ذات الخلفيات المختلفة ، يتطلب معرفة معقولة بسائر المهن وأحوالها ، منها ما هو مكتسب من خلال الاحتكاك بأصحاب هذه المهن ، ومنها ما هو مكتسب من بطون الكتب.. فإذا ظهرت شخصية مقاول في الرواية ، فإن معرفة النزر بضعة تفاصيل عن هذه المهنة غير متيسر في المكتبة إذا لم أخطئ ، وليس أمام الروائي سوى تشغيل حاسة أنفه ليبحث في واقعه عن مقاول ويرى عن كثب كيف يدير مهنته. وغير هذا كثير.

في القرن الماضي كانت الموسوعات منتشرة ، وتحرص البيوت على اقتنائها ليطالعها الصغار والكبار ، فالتكوين الموسوعي للفرد كان أمرًا مستحبًا.

في أيامنا هذه يبدو أن المكتبات المنزلية تخلو من الموسوعات ، ربما لغلاء سعرها وتدني مستوى الدخل لدى عموم الناس.. وربما هناك أسباب أخرى ليس هنا المقام المناسب للنظر فيها ، ولكن المشاهد اليوم أن الجيل الشاب في عمومه ليس مولعًا بالموسوعات.

لا يحتاج الطبيب والمهندس ورجل الأعمال والمبرمج ونحوهم إلى ثقافة موسوعية ، ولكنه يحتاج بلا شك إلى أن يركز على القراءة في تخصصه ليبقى مواكبًا للجديد والأجد في مجاله. وأما الأديب فليس على مثالهم ، بل هو مطلوب منه أن يقرأ ما يقرؤنه كلهم ، وأن يبذل في القراءة أضعاف ما يبذلونه من وقت ، ليكون تحصيله المعرفي شاملا جميع المجالات ما أمكن.

أعرف أن هناك من الأدباء من يكتفي بقراءة الروايات وحسب ، ويظن أن هذا الغذاء المعرفي الفقير يكفيه ليكتب أعماله الروائية.

وقس على ذلك الشاعر الذي يكتفي بقراءة دواوين الشعر ، ويتجنب أن يخلط قراءاته بكتب من مجالات أخرى ، ليوجه قريحته باتجاه واحد؛ لكن نحن جميعًا نعلم مسبقًا ما الذي سينتجه شاعر اقتصر في تثقيف نفسه على مادة الشعر وحده.

ذكر الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز في سيرة حياته أنه كان يبيع الموسوعات في شبابه.. ويبدو أنه لم يفلح كثيرًا في بيع الكثير منها ، لكن المؤكد أن هذا البائع الجوال التهم كل ما وقع تحت يديه ، ولعل هذا نفعه لاحقًا في كتابة روائعه الأدبية.

ميرا جوبتا، وعالمها الفني الساحر

د. أشرف أبو اليزيد

تقف الفنانة والناقدة الهندية ميرا جوبتا بوصفها رؤية متفرّدة في عالم النسيج وإحياء التراث، تمزج بسلاسة بين ابتكار التصميم وصون الذاكرة الثقافية. وتمتد رحلتها الثرية عبر تنسيق الحِرف واستراتيجيات البيع المستدام، في انعكاسٍ لالتزام عميق بتقاليد الهند الحِرَفية الزاخرة. فمن تأسيسها لعلامةٍ رائدة في أزياء الأطفال، إلى إطلاقها أول قسم للإكسسوارات بمؤسسة كبرى، أعادت باستمرار صياغة التصميم المعاصر من خلال عدسة التراث.

وقد قادها حضورها الإبداعي في مؤسسة الأرض الطيبة إلى شراكات مؤثرة، أبرزها معرض منسوجات الهند Fabric of India مع متحف فيكتوريا وألبرت، ذلك الحدث المفصلي الذي احتفى بثراء وتنوّع المنسوجات الهندية على المسرح العالمي. كما أعادت إبراز الحِرف اليدوية إلى دائرة الضوء من خلال إشرافها على سوق سواديش Swadesh Bazaar في حفل زفاف أمباني، في مبادرة أنيقة ربطت بين أصالة التقاليد وحداثة الفخامة.

ومن خلال منصتها الرقمية المستمرة في السرد الحكائي، تضخّم ميرا أصوات الحرفيين، ناسجةً حكاياتهم في خيوط الحوار الثقافي المعاصر. وهكذا تواصل تشكيل المشهد الإبداعي في الهند، حيث يلتقي التصميم بالمعنى، ويجد التراث سُبلًا متجددة للتعبير.

(1) الكولاجات الزاهية لجودي بومان

وُلدت جودي بومان ونشأت في ديترويت بولاية ميشيغان، وهي فنانة وسائط متعددة بالقص واللصق والحياكة تُبدع كولاجات نابضة بالحياة تمثّل احتفاءً مبهجًا بثقافة الأميركيين السود. يتعمّد عملها الابتعاد عن السرديات التي تتمحور حول العنصرية المؤسسية أو الصور النمطية السلبية، مقدّمًا بدلًا من ذلك سردًا مضادًا غنيًا بالملمس والألوان، يحتفي بكمال التجربة السوداء وثرائها.

ومن خلال مزج طلاء الأكريليك بالأوراق الملمسية والألوان المتألقة، تُبرز بومان كرامة المجتمعات التي تنتمي إليها وثراءها. وتستمد إلهامها من نشأتها في أحياء إيستساید وبلاك بوتوم في ديترويت، متقمّصةً دور "الراوي البصري" الذي يحفظ نبض تراثه.

وتلتقط مشاهدها إيقاع المدينة وحميميتها:

- حيوية الشوارع: ليالٍ موسيقية مفعمة بالجاز، وأناقة الشباب، وانسيابية حضور الشابات.
- جذور العائلة: طقوس الأحد في الكنيسة، يعقبها دفء الموائد المشتركة والنزهات الجماعية.
- روح الصمود: تركيز على الحب والاعتزاز الثقافي ولحظات الحياة اليومية التي تُصاغ برشاقة.

(2) الرسّام النرويجي بيورن رونه لي - سلسلة "زهور متألقة"

يقيم بيورن رونه لي في فايف باسكتلندا، وهو رسّام نرويجي يعيش مع زوجته ليندسي وابنيه جود وآران، وقطتهم "مارجوت" ذات الطبع الحاد.

منذ تخرّجه عام 2001 من كلية فالماوث للفنون، صاغ بيورن لنفسه بصمة بصرية فريدة، تمزج بين الجرأة المرحة والملمس الدقيق، مدفوعةً بشغف التجريب ومتأثرةً بمصادر متعددة، من الفن الفطري إلى سينما النوار، وصولًا إلى غرائب الطبيعة.

ورغم أن أعماله تحمل أحيانًا مسحة من الغرابة أو السريالية، فإنها تظل متجذّرة في دفء بصري وجمالٍ أخّاذ.

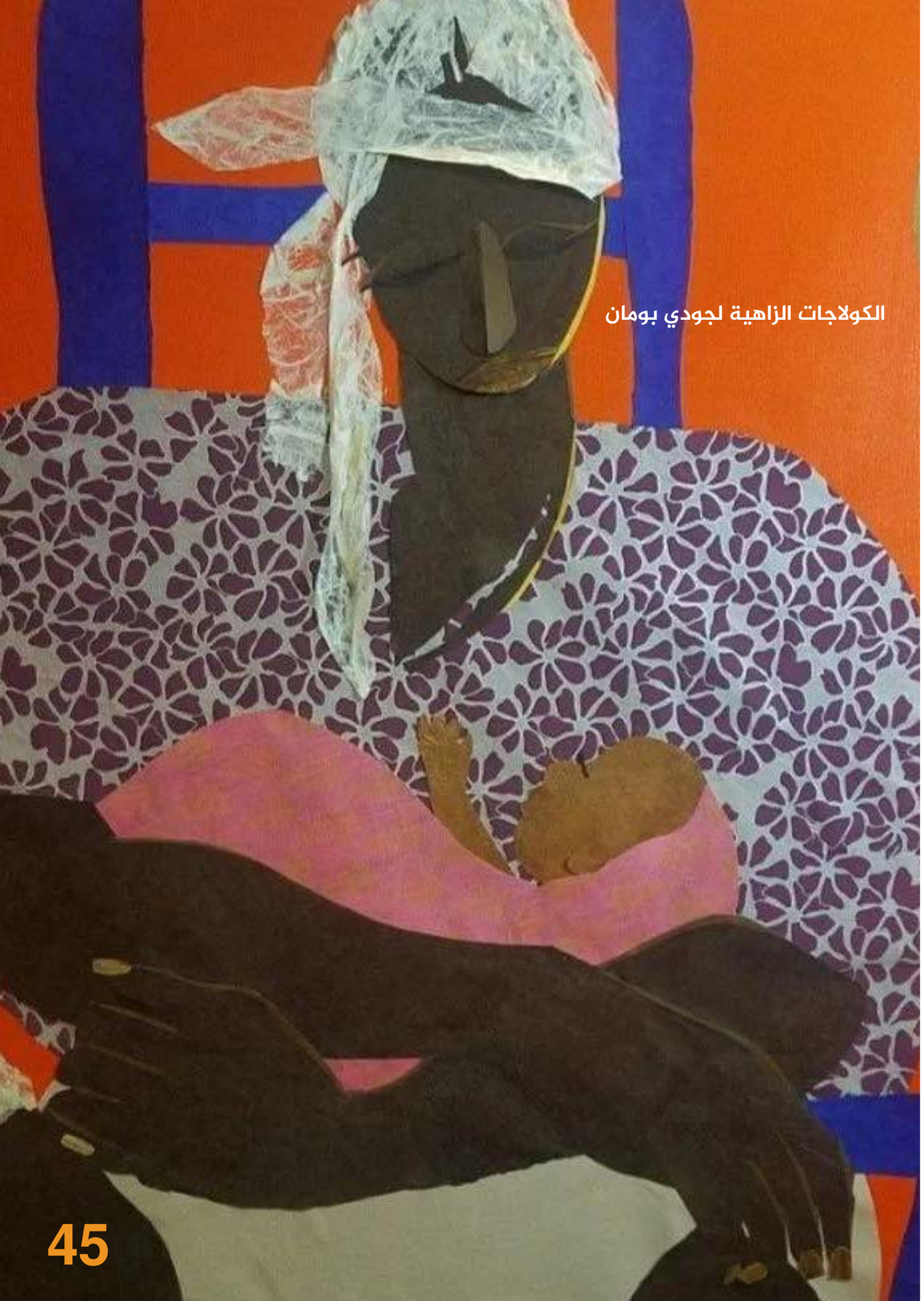

الكولاجات الزاهية لجودي بومان

(3) أعمال الخزف لدى تشيو-يي وو

في تايوان ، تبدع تشيو-يي وو أعمالًا خزفية تبدو كقصائد صغيرة مجسّدة. وتقوم ممارستها الفنية على توازن رقيق بين الحِرفة الوظيفية والخيال السردي الرقيق. وغالبًا ما تستخدم الخزف الحجري بألوان ترابية هادئة ، محوّلة الطين إلى عالم من التأمل الصامت والدهشة الهادئة.

وتظهر في أعمالها شخصيات متكررة- أفراد منفردون ، حيوانات ، وعناصر نباتية مُبسّطة- تبدو وكأنها عالقة في لحظات تأمل لطيف. أما أشكالها فتميل إلى النعومة وعدم الانتظام ، محتفظةً بحرارة يد الصانع وأثرها الحميم.

(4) الأعمال النسيجية لجاكي لا برون

تُعرف الفنانة الفرنسية جاكي لا برون على نطاق واسع بالقوة العاطفية الخام في لوحاتها ، غير أن ممارستها الفنية تكتسب بُعدًا ثلاثي الأبعاد من خلال أعمالها النحتية والنسيجية. إذ تتحول هذه القطع إلى تجسيد مادي للشخصيات التي تسكن لوحاتها ، جسرًا بين العوالم النفسية الداخلية والواقع الملموس.

وتؤدي منحوتاتها دور "جلد" موضوعاتها المرتبطة بالرغبة والاضطراب ، حيث تستخدم الأقمشة ووسائط متعددة لابتكار أشكال تعكس الأجساد المتحوّلة والمشحونة في لوحاتها. وغالبًا ما تأتي هذه الأعمال في صور متعددة:

• منحوتات لينة: توظف القماش لصياغة أشكال عضوية ، أحيانًا مقلقة ، تستحضر هشاشة إنسانية وألفة حسّية.

• الزي بوصفه نحتًا: حيث تسمح الأزياء المعقّدة لشخصياتها بمغادرة سطح اللوحة ، متجاوزةً الحدود بين العمل الفني الثابت والأداء الحي.

الأعمال الشبحية لجاكي لا برون

صـدام فـاضـل

مسلسل بريكينج باد
وخـيارات الـفضيلة المـدفوعـة

إلى حدٍّ بعيد ، يدشّن العمل الدرامي (Breaking Bad) أسئلته الفلسفية حول الخيط الرفيع الذي يفصل عادةً بين ثنائية الخير والشر ومتعلّقاتها ، وعن إذابة ذلك الخيط ، أو الحفاظ على شمعيّته الهشّة ، وإمكانية التمسك به.

ولأن الحاجة — بمعناها الحقيقي الواهن — تخترع للبشري مبرّرات مؤقتة حينما يجد نفسه مندفعًا في سلوكيات جديدة ، قاده إليها العجز ، أو النزق ، أو الطمع ، فذلك حال يمكن اعتباره الشرارة التي تصنع النار وتولد الحرائق الكبرى ، فتُنتج مأساةً مفتوحةً على المحيط والقريب والقادم.

طريق الخير يمكن أن تصل فيه الأقدام إلى مكانٍ مغلق ، فتعود من حيث أتت ، أو تبحث عن طرقٍ أخرى للاستمرار ، مع محاولة عدم التسبب في فوضى. وفي المقابل ، لا يمكن أن تتوقف أقدامُ الشر حين تنفتح الطريق على طرقٍ أخرى متفرّعة وممتدة؛ فانتشارُ الخطو في طرقاتٍ لم تكن في الحسبان هو بداية جديدة لخلق صراعات داخل الذات لا يمكن إخمادها ، أو التغلب عليها في وقتٍ قصير ، وربما تكون بداية لانعطاف خطير يغيّر مجرى حياةٍ كاملة ، يكبرُ فيه الثمن ويتوحّد فيه المصير الجماعي.

(والتر وايت) يصارع السرطان بصمت ، ويحلم طيلة الوقت بحياةٍ جديدة تليق بعائلته الصغيرة. يفكر في الطرق القصيرة التي تؤدي إلى ضماناتٍ عالية تمنحه الراحة والهدوء حتى بعد مماته ، خصوصًا أن زوجته الحامل بطفلة ، تركت عملها بسبب مديرها المتحرش. وهذا يعني أن (والتر) — الأب والزوج والأستاذ الكيميائي الذي يعمل في مدرسة حكومية — ليس بإمكان راتبه المحدود أن يوفّر له جزءًا بسيطًا من أحلام زوجته وابنه الوحيد الذي يعاني من إعاقة هو الآخر ، في حين أن الأب نفسه في حاجة ضرورية لجلسات علاج منتظمة كمحاولة لمكافحة السرطان ، وهو أمرٌ يحتاج أيضًا إلى مبالغ هائلة من المال ، قياسًا على محدودية دخل العائلة. وهذا تبريرٌ أوّلي يقود (والتر) إلى مجازفة رهيبة ، إذ يضطر أستاذ الكيمياء إلى خلق صداقة شراكة مع (جيسي) أحد طلابه القدامى ، وقد مرّ وقتٌ طويل على هروب الأخير من المدرسة والتحاقه بعصابات المتاجرة بالمخدرات ، وتدخينها في آنٍ واحد.

في البدايات الأولى لذلك التعاون بين والتر وجيسي ، كانت سيادة المعلم العالم في الصناعة هي المسيطرة على جو العلاقة. لكن (جيسي) ، الذي يتواجد في الهامش بشخصية التلميذ المتعلم ، استطاع أن يثبت نفسه في توزيع البضاعة والوصول إلى المستهلك عبر شبكة علاقاته التي تنتشر بذكاء في شوارع وملاهي (ألباكركي).
والتر المُصنِّع وجيسي الموزِّع ، لكن مع تجديفات الوقت وخوض تجارب كثيرة في طبخ (الميثا) اللعينة ، جاءت المعادلة عبر الأحداث ليفقد المعلم وايت سيطرته على المركز ، ويصبح شريكًا بل وندًّا لطالبه الذي سبقه إلى المجال منذ تسلّقه جدار المدرسة ذات يوم ، ومنذ تخلي والديه عنه بعد محاولات بائسة لاحتوائه ، ليصبح متصلا عن العائلة وبعيدا عن قيودها العاطفية.

قليلٌ من تصاعد الأحداث يمكن أن يصنع فارقًا هائلًا في ذلك التشارك بين الرجل المسؤول وشريكه المتحرر من قيود الحياة وهموم الالتزام ، فتقع المعادلة من عليائها ، ويتسيّد جيسي في المطبخ ، ويُعترف به صانعًا محترفًا لـ(الميث الأزرق) النقي ، ثم يصبح الحامي لشريكه الذي يتلقى التهديدات لعائلته من جهاتٍ خطيرة في عالم المخدرات الذي لا يرحم.

وإذا ما قادنا الحديث عن مركزية العائلة وما يترتب على قُدسيتها من روابط وضرورات ، تجلّت لنا سرديات كثيرة في العمل الدرامي ، وهي مشاهد تعبّر عن محاولاتٍ محفوفة بالمغامرة وربما بالخسارة.
ومن هنا كانت العائلة هيَ المبرر الأول لكل أفعال (وايت) غير المبرَّرة أحيانا. وهذه دالة واضحة على تلاعبات المخرج واستدراجه للمشاهد الجيد ، وإقناعه بأن الشغف العلمي يشكّل سببًا جديدًا ، بل وخفيًّا ، للاستمرار في جنون الكيميائي الذي اختبأ لفترةٍ طويلة تحت حجاب العائلة. وهذا يقود إلى تساؤلٍ جدّي:
هل يتفوّق الشغف على المسؤولية؟ أم أن الإحباط والخوف يقودان الإنسان إلى هاوية اللاجدوى؟

(وايت) يهرول بقلب الزوج المسؤول ، والأب الذي يجد نفسه محاصرًا بحيوات غيره ، والتفرغ لها ، والحرص على مرافقتها وإنجاحها ، دون التفكير في مسؤولياته الشخصية تجاه ذاته التي يجلدها بشكلٍ يومي ، وضميره الذي ينطق أحيانا ، وكل تلك البواعث المرافقة للندم لن تكون سببًا لوقف اندفاعاته الخطيرة والمجهولة.

كانت التناقضات تشير بأصابع كثيرة نحو (الأبوة) باعتبارها مهمةً صعبة ومربكة. فحين يتعلق الأمر بمسؤولية الأولاد والمتطلبات والمستقبل المفتوح على الحاجة وزيادة الأعباء ، وهي ضريبةٌ حتمية وقيدٌ لا خلاص منه ، بالرغم من أن المسؤولية بمعناها الحقيقي غير موجودة في سردية تجار المخدرات وسلوك العصابات التي تهدم قُدسية وأمان العائلة.

فكرة التناقض المهيب التي لعب عليها مخرج العمل كانت غامضة إلى حدٍّ كبير ، بين ما يريده الأب الطامح وما لا يريده الأب المسؤول ، وكلاهما يرى العائلة كلَّ العالم ، ويرى أن ذلك التورط كان — ولا يزال — لأجل العائلة ، بينما العائلة الآن تنتظر التنكيل في أقرب لحظة.
وأنت تشاهد (بريكنج باد) — أو بحسب ترجمة المصطلح للعربية (الانحراف الضال) — ستعتقد وحدك أن الإفراط في الحرية التي تتجاوز سور الذات يمكن أن يقود إلى وضع قدم واحدة على أرضية العبودية ، مع بقاء القدم الأخرى في بهو الحرية. ومع استمرار القدمين في الركض والتوغّل في المسافات ، ينبغي تقبّل النتائج كمن فقد قدميه تمامًا.

نعود إلى بيت والتر ، حيث يكذب الزوج على زوجته من أجل الحفاظ على الأمان المتوفر ، فيُخفي قلقه ومخاوفه وعمله في تصنيع (الميث) المخدر ، وسكوته على التهديدات بالتصفية وإلحاق الأذى بأفراد الأسرة.

بينما تتجلّى زوجته (سكايلر) وتُخبره بالحقيقة المرّة بأنها تخونه مع صديقها (تيد) ، وهنا تأتي المفاجأة المنتظرة ، إذ يتعامل والتر بصمت شديد بعد إجراء معادلة ذهنية حكيمة على ما يبدو ، فيتراءى للزوج أن فعل الخيانة في هذا التوقيت يمكن تجاوزه بسهولة ، دون أن يكون سببًا لدمار إمبراطورية العائلة. ومن يتتبّع الموضوع من زاوية أكثر تفلسفًا — وأعني مبدأ تمرير والتر الزوج لهذا الفعل الذي تعترف به زوجته — يتساءل: كيف لرجلٍ قاتلٍ وتاجر مخدرات أن يصبح إلهًا طارئًا ويشرع في محاسبة زوجته التي اعترفت بذنبها؟

تتسلحف الأحداث في خمسة أجزاء بنفس هدوء والتر ، ثم تتسارع بنفس سرعة بديهته في التعامل مع المواقف ، وأحيانًا أخرى تتأرجح كما هي مرونته في الخروج من مكايدات المافيا. العبقرية لا تحتاج إلى شهاداتٍ عليا ، ولا إلى إرثٍ جاهز ، بقدر ما تحتاج إلى عقلٍ حكيم ، وعيونٍ ترى نهاية الطريق ، وأقدامٍ تجيد العودة.
يفقد (والتر) عائلتهَ وثروته الهائلة وسمعته ، وتسقط كل أمجاده واحتياطاته ، ثم يموت بكمد الفشل ونجاح المحاولة التي استمرت طويلًا.

هذا المسلسل حاول البحث عن منطقة آمنة بين الخير والشر ، وبين التسيير والتخيير ، والفضيلة والذنب ، ثم وضع مناظرةً غامضة بين الثنائيات التي أنتجتها الحضارة الإنسانية وطوّرت مفاهيمها المتمثلة في: الحرية والعبودية ، والسلام والخوف ، والشغف والاستسلام ، والعطاء والعجز ، والذات والعائلة ، والعائلة والعالم الخارجي.

لكن كل تلك الأسئلة الفلسفية المتأرجحة لم تصمد طويلًا أمام فداحة الإجابة الوحيدة التي قدّمتها الحلقات الأخيرة من الجزء الخامس ، وكانت بلغةٍ واعية يمكن التعبير عنها بنصٍّ موازٍ ومشابه وجاهز في ثقافتنا العربية: (الوقاية خير من العلاج).

فالوقاية تمثل الخير والحق والفضيلة ، وفي معنى أكثر تفصيلًا تعني الصبر على أسوأ حالات الحاجة والفقر والشعور باللاأمل ، بينما العلاج يُمثّل الشرَّ في حالته اللامعة والتحفيزية. وهذا النوع من المقولات الجاهزة نوعٌ من التخدير الفكري والإرشادي الذي يأمرك بالصبر على الألم والحاجة ، والسكوت ، وعدم التفكير في التحسين ، إذا كانت الطريق غير معبّدةٍ بالفضيلة وسهولة الوصول.

رقصات جزيرة سقطري

علي المحمدي

عرفت جزيرة سقطري بعمق عراقتها المشهود لها عبر الأزمنة المنصرمة وهي عبارة عن أرخبيل ويعد هو شكل من أشكال سطح الأرض والذي يرمز لأي مجموعة متقاربة ومتجاورة من الجزر المكونة من ستة جزر من المحيط الهندي قُبالة سواحل القرن الإفريقي.

وتنقسم الجزيرة طبيعيًا إلي قسمان منطقة البادية ومنطقة الساحل البادية: ويشهد فيها الزائر جبال متوسطة مكانها من الجزيرة وتغطيها أحراش كثيفة .

الساحل: وتقع عليها مدن الجزيرة الصغيرة مثل

1) جزيرة حديبوه
2) جزيرة قلنسية
3) جزيرة قاضب
4) جزيرة درسة
5) جزيرة عبدو كوري

وتعتبر (سقطري) أكبر الجزر العربية واليمنية.

وبهذا يحق لنا القول بأن جزيرة سقطري اليمنية جنة الله على الأرض ومهما أسهبنا وتعمقنا في أسرار وبدائع جزيرة سقطري لن نستطيع أن نعطيها قدرها الكافي .

أما تاريخيًا تعود عصور ازدهارها منذ العصور الحجرية عبر طرق التجارة البحرية في ذلك الوقت من الزمن وكانت تعد السلع المتداولة من أنفس النفائس مثل النَد وهو صنف من أصناف البخور وكذلك الصبر السقطري وهو عبارة عن نبات متوطن في جزيرة سقطري اليمنية وللأسف صبح هذا النبات مهدد بالانقراض وفقًا للعديد من الأبحاث لكونه أجود أنواع الصبر ولهذا زاد أهميته وتردد ذكره إلي شعوب حضارات العالم القديم التي كانت تنظر للسلع المقدسة نظرة تقديس للبان والمر والصبر السقطري ومختلف الطيب وبهذا نستطيع القول بأن جزيرة سقطري استمدت تسميتها عبر ما تنتجه وتصدره أذ أنها حازت على تسميتها عند قدماء اليونان والرومان بجزيرة السعادة.

ولم تكن الجزيرة هذه مرمى للتجارة فقط فهي نتاج إنساني مجتمعي كبقية المجتمعات تحمل هويتها التاريخية المؤصلة ذات امتداد عريق عبر عصور شتي تحكي وتتحاكي عنها كتب التاريخ بمختلف مكوناتها ، وكأي مجتمع يمتلك تاريخ ضليع يمتلك أيضًا حصيلة من فنونه الشعبية التي لها الدور البارز في إظهار ما تمتلكه جزيرة سقطري من فن زاخر متفرد بها يظهر لهذا العالم ألقه وما تحويه في جنباتها من الفنون الشعبية.

ولأن تاريخ جزيرة سقطري الذي حوي العديد من التعاملات التجارية مع مختلف الأقطار المجاورة لها والبعيدة كذلك جعل منها أيضًا تبني علاقات اجتماعية امتدت لخلق بيئة مجتمعية جديدة عملت على إدخال طابع مجتمعي حضاري بمزج مكون جديد ، منها الحضارات الإفريقية

التي تداخلت مع الثقافة السقطرية مكونة بهذا مكون جديد لحضارة ثقافية متداخلة صبحت سمت للثقافة السقطرية العريقة.

سنذكر في مقالتنا هذه نوع من أنواع الفنون الشعبية المتداول في الجزيرة.

{ رقصة الزامل }

تستخدم الزوامل في الحروب كصيحات تستحث إلى مكان الصوت المستغيث وللزوامل أيضًا مدلول لغوي ومعناه في اللغة العربية الفصحي الصوت المختلط من عدة أصوات وهو أيضًا يحمل معني أخر أي العدو المتمايل والمعني الفعلي من كلمة الزامل أي أنه تعبير عن الحياة المباشرة من خلال الأصوات المتجاوبة وهو نتاج جماعي روتهُ أجيال متتالية وعرفهُ البعض بأنه بمعني الزامل أي تزامل الأصوات عند الأداء الشعري.

وتستخدم الزوامل عامة في الأعراس أو في استقبال أحد الضيوف القادمين من منطقة بعيدة جدًا وهنالك من يستخدم الزوامل للإجابة للصلح بين قبيلتين متنافرتين أو جماعة ما.

والتطرق لفن الزوامل الذي يعد بحر من بحور الشعر المستفيضة بحاجة لخوض مقال مستقل بحد ذاته.

تتخذ رقصتنا هذه رقصة الزامل السقطرية شكل الصفوف والجماعات المنتظمة حيث نشهد دخول جوقة من العازفين ويليهم الراقصين ويصاحب العزف الغناء بشكل منتظم على إيقاع الطبول المتناغمة ويتخذ الراقصين مواقعهم بالانقسام الي صفين متعادلين متوازيين متقابلي الأوجه ويقومون بالغناء الجماعي معًا وتظهر بيد كل راقص عصي من سعف النخيل ، ولوجود عصاة سعف النخيل دلالة على الخير وهي هنا تظهر طابع المجتمع السقطري المسالم . تعتبر رقصتنا هذه من أجمل الرقصات الشعبية اليمنية وأكثرها انسيابية ولا نشاهد في رقصة الزامل اعتلاء يد الراقصة الجمبية أو خنجر بل عصاة السعف سعف النخيل وهي هنا جزء لا يتجزأ من رقصة الزامل السقطرية.

وتبدو الرقصة مشابهة بشكل أو بأخر لرقصة البرع المهري ويظهر فيها أيضًا الإختلاف من ناحية الضُرُبْ الإيقاعية بدخول الراقصين بعدد غير معلوم من الأفراد إلي حلبة الرقص بشكل جماعي لتنقسم من ثم بعد ذلك لصفين متقابلين يتحرك الراقص بخطوات ثابتة يحرك فيها قدمه اليُمني بخفة لتتبعها بنفس اللحظة بخطوة للأمام القدم اليسرى وتليها حركة اليد القابضة بالعصى ترتفع بمسافة بسيطة من حركة الأقدام وكأنها تساير إيقاع الرقصة مع حركة القدمين للأمام تارتًا ويمينًا ويسارً حيث تشبه حركة الذراعين حركة بندول الساعة.

ومما لا بد الإشارة إليه بأن رقصتنا هذه رقصة رجالية تخلو من العنصر النسائي تمامًا.

وكما أسلفنا سابقًا فأن رقصة الزامل متعددة المناسبات في إقامتها منها الزواج والصلح والإجابة للحرب.

{رقصة قليل مزمار}

سُميت رقصتنا هذه بقليل مزمار نُسبةً إلي آلة المزمار أي أن العازف يستهل عزفُه على آلة المزمار متماشيًا مع عزف الطبول التي تقرع بشكل منتظم مصاحبة لعازف المزمار من مبتدأها حتى منتهاها.

ويجدر الإشارة للقارئ الكريم بأن إيقاعات رقصة قليل مزمار متقاربة إلى حد كبير لرقصة الغية الحضرمية من ناحية الضُروب الإيقاعية فقط.

تبتدأ رقصة قليل مزمار بتشكل صفين متوازيين متقابلين الأوجه للأمام وتكون هذه الصفوف مرتبة ومنتظمة الوقوف والحركة وهذه الأعداد في الغالب تكون غير محددة ومعلومة العدد.

نشاهد الصفوف تتحرك للأمام بحركة القدم اليُمني ويليها تصفيق موحد من جميع الراقصين بصفقة واحدة والعودة من ثم بعد ذلك للخلف بينما القدم اليسرى تعمل على الضرب من على الأرض والعودة للخلف تباعًا وبهذا نشهد خروج من كل صف راقص واحد إذ يظهر للمشاهد أحد الراقصان ذرعاه محلقة بتمايل في الهواء وكأنه يستعد للتحليق عاليًا وبينما هو على حركته هذه يقوم بالاقتراب نحو الصف المقابل له ليصحب معه أحد الراقصين للرقص وتتوجه أقدام الراقصين بضرب من على الأرض بشكل متجانب بتقدم نحو الأمام ثلاث خطوات متكررة وهي هنا تتخذ شكل النط الخفيف.

{رقصة السِيبْح }

بالبحث عن معني كلمة السِيبْح في المعني اللغوي للكلمة والتي تشتق من اللغة الحميرية في الأصل والتي تعني عملية سحب القدم من على الأرض وكانت تسمية الرقصة.

ورقصتنا من الرقصات المشتركة ما بين الرجال والنساء وكباقي الرقصات فأن رقصتنا تبتدئ متشكلة بصفوف متوازية من النساء ومن الرجال أيضًا ونشاهد كلًا منهما يقف متقابل الأوجه بأعداد متوازية من النساء ومن الرجال ، تستهل رقصتنا بالغناء المشترك من قبل الراقصين الواقفين بصفوفهم متجهين للأمام بسحب أقدام الأرجل من على الأرض بخفة واللف من ثم بعد ذلك للوراء بحركة دوران دون تحريك اذرع اليدين بل نلاحظها تبقي معلقة في مكانها غير أننا نشاهد حركة ليونة جسد الراقصات بشكل لا ينم على الابتذال أنما تبدو حركة انسيابية سلسة سهلة يتناسب مع الإيقاع تتخللها من ثم بعد هذا حركة التصفيق المتناغمة مع الإيقاع من الطرف الأخر حيث أنهم يشاركون بحركة التقدم للأمام بسحب أرجلهم من على الأرض والعودة بها من ثم بعد ذلك للخلف بحركة الالتفاف ، ويتوقفون من بعدها برهة من الزمن في أماكنهم تتقدم خلالها القدم اليُمني للأمام بينما تضرب القدم اليسرى من على قاع الأرض وهكذا حتي نشهد تقدم الصفوف النسائية نحو صفوف الرجال بحركة سحب الأقدام.

تتكرر الرقصة بشكلها هذا وتستمر بتشارك الغناء بين الراقصين

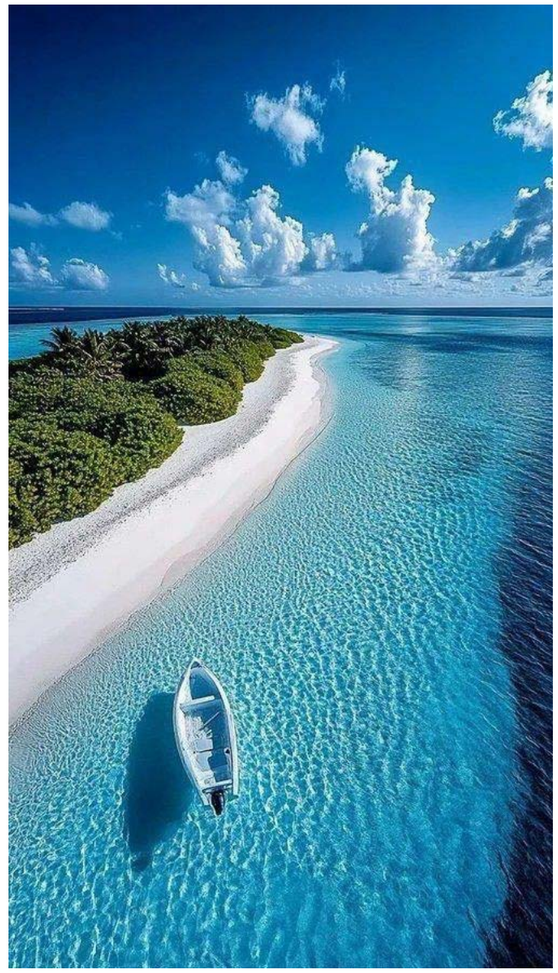

وأفرادها حتي تنتهي.

وكما هو معلوم فإن غالبية رقصات بلادنا ترقص لمختلف المناسبات الفرائحية منها وغيرها

{رقصة أندايه}

هنالك رقصات استمدت تسميتها من أسم القبيلة التي قدمت منها أو استوحت تسميتها من المنطقة التي قدمت منها وفي أحيان أخر قد لا نجد لها أي رديف في قاموس اللغة العربية وهو شكل من أشكال اللغة التي كانت تستخدم قديمًا في اليمن مثل اللغة الحميرية وغيرها من اللغات القديمة كذلك هو الأمر مع رقصتنا هذه {أندايه}

إذ يصعب معرفة المعني الفعلي لهذا الاسم لقدم المسمى.

تبتدأ رقصتنا هذه بانقسام الصفوف إلى صفين متقابلين ويكون التصفيق السمة المشتركة في أساس الرقصة المصاحبة للغناء.

رقصة أندايه شبيها إلى حد كبير برقصة الغية الحضرمية ، ولكن أوجه الاختلاف تكمن من ناحية الضروب الإيقاعية.

يبتدئ الراقصين أولي وصلاتهم الراقصة بتصفيق المنتظم مع الإيقاع على أن تتخذ الاقدام حركة خطواتها الأولي إلى الأمام بخطوة متلاحقة ويدخل الي حلبة الرقص ثلاثة راقصين يتزامنون مع راقص واحد أحدهم يتخذ موقعه متجانبًا منه أما الأخر فيكون أمامه طوال فترت الرقص وجه لوجه أذ أن الراقصين يعملون على الالتفاف بعمل دائرة مكتملة ويكون الراقصين يعملون خلال الرقصة على التصفيق المتناغم مع أيقاع الطبول المصاحبة للغناء وتسير عملية الرقص على هذا المنوال بخروج ودخول أفرادها بعمل نفس الحركة السابقة وتواليك.

{رقصة الشرح السقطري}

أمتلكه رقصة الشرح السقطري نفس المعني اللغوي الدال على الانشراح والانبساط لكونها رقصة فرائحية وهي أيضًا شرح الشيء أي حافظ عليه من الاعتداء وهو أيضًا شرح الحديث وبيانهُ وتفصيل معناه.

رقصة الشرح جاءت من إتقان الحركة أي أدائها الذي يظهر مرتبًا ومتقن وكأنما هنا يقوم الراقص بتفسير وشرح ما يرغب إيصاله من حركة فنية.

ولبد لنا هنا من إظهار ما هو وجه الاختلاف بين الرقصتين الشرح اللحجي والشرح السقطري يأتي الاختلاف في كون الحركات الراقصة لكلتا الرقصتين مختلف كل الاختلاف وكذلك هو الزمن الإيقاعي لها حيث تحتفظ رقصة الشرح السقطري بوزنها الإيقاعي المكون من 4/2 أما رقصة الشرح اللحجي المكون من زمن إيقاعي 8/6 أو 4/3.

لا تختلف رقصة الشرح السقطري عن سابقاتها من الرقصات اليمنية حيث أنها جملتًا وتفصيلًا تحمل نفس المحتوي من أعداد من الراقصين والصفوف منتظمة والحركة السلسة التي تظهر جمال ورونق أي رقصة.

وتبتدئ رقصتنا بصفوف المنتظمة المتقابلة الذي يحوي عدد غير محدود من الراقصين حيث يبدأ خروج بعض من الأفراد الراقصة راقصان أو أكثر كلًا بحسب المشاركين ، يكون الطابع السائد في رقصة الشرح السقطري الغناء المصاحب للأداء الإيقاعي وكأنها جوقة غنائية متناغمة الأداء يصحبها التصفيق المتواصل على الزمن الإيقاعي المصاحب للغناء الذي يتشاركه أيضًا الراقصين .

يعمل الراقصين في أدائهم على حركة النط على القدم من على الأرض وتكون بطريقة دائرية حركة النط وكأنه بهذا يدور في حلقة دائرية ويستمر الراقص ومن يقابله في الرقصة على هذا التكنيك من التصفيق النط الدائري بينما تظل أحدي قدمية معلقة في الهواء والثانية تعمل على النط ويستمر تكنيك الرقصة على هذا المنوال بخروج ودخول الراقصين الي ان تنتهي الرقصة .

رقصتنا هذه رقصة فرائحية ترقص لمناسبة الزواج وغيرها من المناسبات العامة.

• مدير عام الفنون الشعبية بوزارة الثقافة

رجاء حمود الإرياني

الهواتف الذكية: وسيلة تواصل أم سبب للعزلة الاجتماعية؟

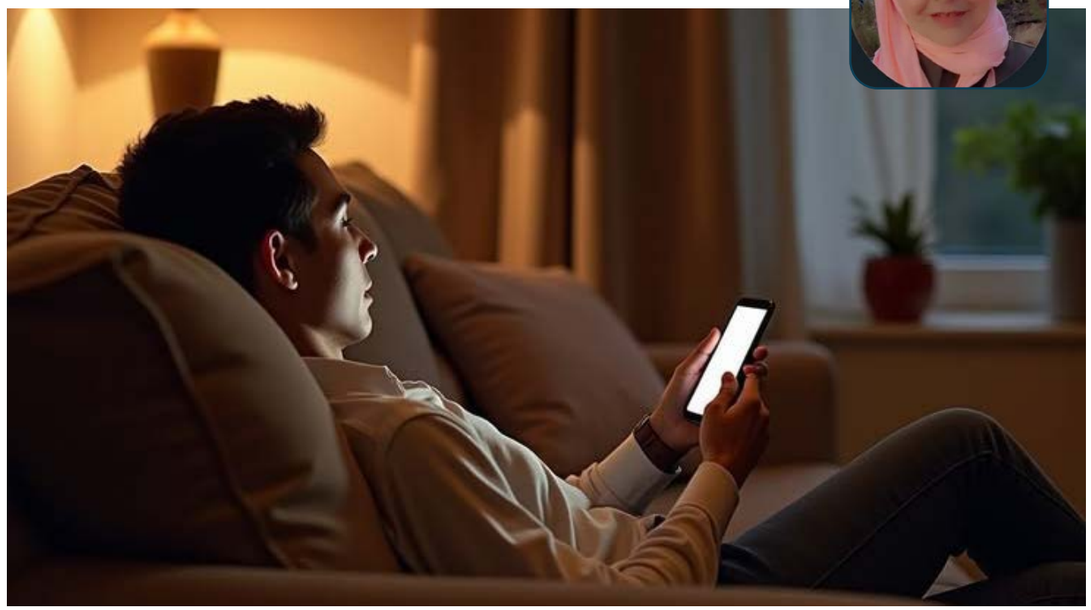

أصبحت الهواتف الذكية جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية ، إلى درجة أن أي بيت أو شارع لا يمكن أن يخلو من استخدامها ، فقد أحدثت هذه الأجهزة ثورة في طرق التواصل والوصول إلى المعلومات وجعلت العالم أقرب وأكثر ارتباطًا ، حتى أن الحدود الجغرافية لم تعد عقبة أمام التواصل بين الأفراد. غير أن هذا الانتشار الواسع أثار تساؤلات جدية حول تأثير الهواتف الذكية على العلاقات الاجتماعية ، وهل هي أداة لتعزيز التواصل أم أصبحت سببًا في العزلة الاجتماعية. من الجانب الإيجابي ، أسهمت الهواتف الذكية في تسهيل التواصل بين الأفراد بشكل غير مسبوق ، فلم يعد التواصل مقتصرًا على اللقاءات المباشرة أو المكالمات الهاتفية التقليدية ، فقد أصبح بإمكان الشخص إرسال الرسائل النصية ، الصور ، الفيديوهات ، وإجراء مكالمات فيديو عالية الجودة في أي وقت ومن أي مكان ، وهذا الأمر كان له أثر كبير في الحفاظ على الروابط الأسرية والعلاقات الشخصية ، خاصة في حالات السفر أو التباعد الجغرافي. كما لعبت الهواتف الذكية دورًا أساسيًا في التعليم والعمل ، فقد أتاح التعليم عن بعد والبرامج التعليمية التفاعلية للطلاب متابعة دراستهم بسهولة ، حتى في ظل الظروف الصعبة مثل الجائحة العالمية ، بينما مكنت التطبيقات المهنية العاملين من إنجاز مهامهم ومتابعة أعمالهم دون الحاجة للتواجد المادي في المكتب. وبفضل هذه المزايا ، أصبح الهاتف الذكي ليس مجرد وسيلة تواصل ، بل أداة لتنظيم الحياة اليومية ، وإدارة الوقت ، وتطوير المهارات الشخصية.

ومع ذلك ، هناك جانب سلبي لا يمكن تجاهله ، فالاستخدام المفرط للهواتف الذكية له آثار سلبية ملموسة على العلاقات الاجتماعية ، فقد أصبح كثير من الأفراد ، وخصوصًا الشباب ، يقضون ساعات طويلة على وسائل التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية ، مما أدى إلى تراجع اللقاءات المباشرة والجلسات العائلية التقليدية ، ونتيجة لذلك بدأت مهارات الحوار والتفاعل المباشر بالتراجع ، وشُوهدت علامات العزلة والانعزال ، حتى بين الأصدقاء الذين يتواصلون رقميًا أكثر من تواصلهم الشخصي. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الإفراط في استخدام الهواتف الذكية يرتبط بزيادة مستويات القلق والاكتئاب ، خاصة بين المراهقين والشباب ، فالمقارنة المستمرة مع حياة الآخرين عبر الصور ومقاطع الفيديو على الشبكات الاجتماعية قد تولد شعورًا بالنقص أو الإحباط ، بينما الانشغال المستمر بالشاشة يقلل من جودة النوم والتركيز الدراسي أو المهني ، مما ينعكس على الصحة النفسية والبدنية.

ويؤكد المختصون الاجتماعيون أن المشكلة لا تكمن في الهاتف الذكي

ذاته ، بل في الطريقة التي يستخدم بها ، فغياب التنظيم والوعي يحوّل هذه الوسيلة من أداة تواصل إلى عامل عزلة ، بينما الاستخدام المعتدل والمتوازن يعزز العلاقات الاجتماعية ويطور مهارات التواصل ، ومن هنا يبرز دور الأسرة والمدرسة والمجتمع المدني في توجيه الأفراد لاستخدام الهواتف بوعي ومسؤولية. فالأسرة تستطيع تحديد أوقات محددة لاستخدام الهاتف وتشجيع الأنشطة الجماعية بعيدًا عن الشاشات ، كما يمكن إشراك الأبناء في مبادرات تعليمية أو ترفيهية مشتركة تعزز التفاعل الواقعي ، بينما تقدم المدارس برامج توعية تهدف إلى تعليم الطلاب كيفية التوازن بين العالم الرقمي والواقع الاجتماعي ، وتوجيههم نحو استخدام التكنولوجيا بشكل إيجابي يرفع من إنتاجيتهم ويطور مهاراتهم الاجتماعية.

ويمكن للهاتف الذكي أن يكون أداة تمكين اجتماعي حقيقية إذا ما استُخدم بطريقة مدروسة ، فقد نشهد اليوم شبابًا يستخدمون التطبيقات الرقمية لتنظيم حملات توعية صحية ، أو لإطلاق مبادرات تعليمية ، أو لإدارة مشاريع صغيرة تخدم المجتمع ، فهذه الاستخدامات تحول الهاتف من مجرد وسيلة ترفيهية إلى أداة فاعلة في خدمة المجتمع ، وتطوير الفرد ، وبناء شبكة من العلاقات الإيجابية. فعلى سبيل المثال ، تستخدم بعض المبادرات الشبابية منصات التواصل الاجتماعي لنشر معلومات حول الصحة النفسية ، أو تنظيم حملات لتشجيع القراءة ، أو جمع التبرعات للمحتاجين ، كل ذلك عبر الهاتف الذكي ، وهذه الأمثلة توضح كيف يمكن للتحكم الواعي في استخدام التكنولوجيا أن يحوّلها إلى وسيلة تواصل فعالة تُثري المجتمع بدلًا من أن تُضعف الروابط الاجتماعية.

يبقى التحدي الأكبر في كيفية تحقيق توازن مستدام بين العالم الرقمي والواقعي ، إذ لا يمكن إنكار أهمية الهواتف الذكية في حياتنا اليومية ، لكن يجب أن يكون استخدامها في حدود تتيح للأفراد الاحتفاظ بعلاقاتهم الواقعية ، والحفاظ على وقت كاف للعائلة والأصدقاء ، والمشاركة في أنشطة المجتمع. ومن المهم أيضًا أن يعي المستخدمون أن التكنولوجيا هي وسيلة وليست غاية ، فالشخص الذي ينجح في إدارة وقته وتنظيم استخدامه للهاتف يستطيع الاستفادة من جميع مزاياه ، مع الحفاظ على التواصل المباشر والواقعي الذي يقوي الروابط الإنسانية.

وفي النهاية ، تبقى الهواتف الذكية أداة قوية ، تحمل في طياتها إمكانيات هائلة للتواصل والتعلم والإبداع ، لكنها أيضًا تحمل مخاطر العزلة الاجتماعية إذا أسيء استخدامها ، والوعي هو العامل الحاسم الذي يحدد ما إذا كانت هذه الأجهزة ستكون وسيلة لتقريب الناس من بعضهم ، أم أداة لفصلهم عن مجتمعهم ، وبالتالي يصبح التحدي الأكبر لكل فرد وأسرته ومجتمعه هو تحقيق التوازن الصحيح بين الاستفادة من مزايا التكنولوجيا والحفاظ على الترابط الاجتماعي والإنساني.

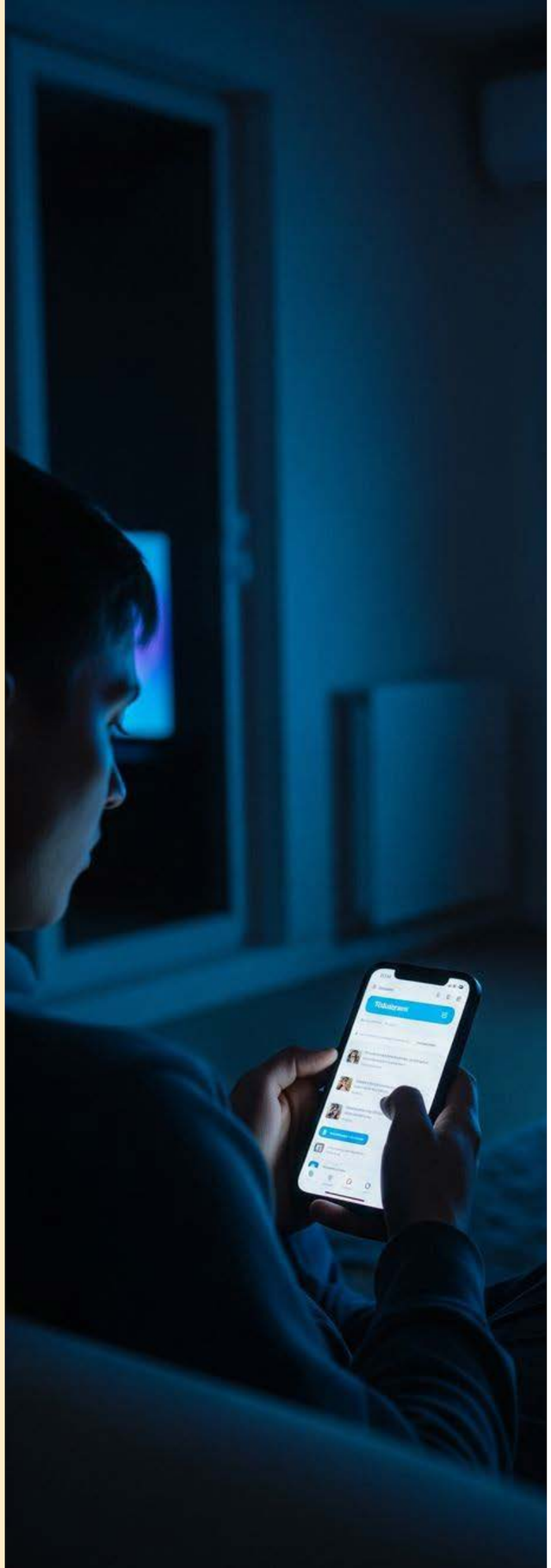

الدكتور عبدالكريم قاسم سعيد

المثقف الموقف

اعد الملف وحرره :

محمد صالح الجرادي

بلال قايد

الاخراج الفني : احمد سعيد محمد

يأتي هذا الملف المكرّس، متوالية لفعل اعتراف في الزمن الحي، وتأكيدا على أهمية أن يُمنح المبدعون ما يستحقونه من تقدير وهم في قلب عطائهم، حيث يكون للكلمة أثر، وللاحتفاء معنى، وللامتنان حضوره الكامل..

ومن هنا، تسلّط «سُلاف» الضوء على تجربة الدكتور عبدالكريم قاسم سعيد، أحد الأصوات الفكرية والثقافية البارزة في اليمن، على مدى الاربعة عقود الماضية. هذه التجربة التي نجحت في الجمع بين الصرامة الأكاديمية والانشغال النقدي والفلسفي بأسئلة الواقع، والالتحام بالقضايا الإنسانية.

انتمى عبدالكريم مبكرا إلى أفق الاشتغال الفكري المرتبط بالاشتراكية واليسار الماركسي، واشتغل باحثا في مركز الدراسات والبحوث اليمني، وأستاذا للفلسفة في جامعة صنعاء، فضلا عن حضوره الفاعل في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، حيث تولّى مواقع قيادية لعدة دورات، من بينها، حاليا، منصب نائب الأمين العام.

د. عبدالكريم قاسم الخطيب
شغف ثقافي وفلسفي كبير

د. علي محمد زيد

فقد كان واحدا من جيل أرَّقه الشوق للخروج من العزلة المكانية والمعرفية في يمن كان وما يزال يكافح للتحرر موروث الفقر والتخلف ، في وقت لم تكن فيه هجرة المتعلمين قد سادت ، فكان كل من يخرج لطلب العلم والمعرفة ينتظر بشوق اليوم الذي يعود فيه ليسهم في بناء بلاده وفي تنميتها وتقدمها. كان التَّوق لمغادرة العزلة والرغبة في معرفة العالم المحيط باليمن قبل الانترنت يدفع الكثير من الطلبة اليمنيين للمغامرة ومعانقة العالم الحديث من خلال الترحُّل بالمواصلات العامة من سوريا لزيارة بلدان المشرق العربي ومصر وأوروبا ، وبخاصة أوروبا الشرقية. وكان الطلبة اليمنيون المنتشرون في تلك البلدان يتمتعون بروح تضامن عالية تجعلهم يستقبلون من يصل إليهم من زملائهم سواء أعرفوهم سابقا أم لم يعرفوا ، ويقدمون لهم عن طيب خاطر استضافة شبه كاملة ويسهلون إقامتهم وتنقلاتهم ويعرِّفونهم بالبلد الذي يزورن. وكان هذا التضامن والتعاون النموذجيين يشجعان الكثيرين على الحركة والتنقل بهدف التعرف على العالم الحديث. فقدَّمت تلك الزيارات للكثيرين دروسا لا تقدمها الدراسة النظامية في المدارس والجامعات ، عن التقدم الحضاري والتكنولوجي ، وعن دقة نظام وسائل النقل ، وعن المجتمعات الأخرى وما فيها من عمران ، وتعطيهم فكرة عامة عن ثقافات البلدان التي يزورن وعن تنوعها وثرائها المادي والمعنوي ، وهي معارف يصعب الإلمام بها عن غير التجربة العملية والمشاهدات المباشرة وصهرها في عملية التفكير بتلك التجارب العملية وآثارها وإمكان استيحائها في بناء يمن متقدم يوفر أوسع الفرص لأبنائه ويكافح الفقر والتخلف الجاثم على صدره.

"برز عبدالكريم قاسم كأحد أبرز الشباب اليمني الذين نضج وعيهم الثقافي والفلسفي في دمشق ، مستفيدًا من زخمها الثقافي الذي امتد من إرث بيروت"

وقد كان عبدالكريم قاسم من أبرز الشباب اليمني الذين تعمَّق تكوينهم الثقافي والفلسفي في مرحلة الدراسة في دمشق ، في مرحلة شهدت فيها هذه المدينة خلال النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين ومطلع الثمانينات ازدهارا ثقافيا انتقل إليها من بيروت التي عصفت بها الحرب الأهلية اللبنانية ودمرت غناها الثقافي الذي جعل من تلك المدينة العريقة والمتفتِّحة على العالم المتقدِّم مختبرا للنهضة الثقافية العربية.

بدأت معرفتي بعبد الكريم خلال هذه الفترة حين كنت طالبا في الجامعة الأمريكية في بيروت يحرِّكه رغبة كبيرة للاستفادة من بيروت التي كانت بمثابة مكتبة العرب ونموذجهم الثقافي الذي يطمحون للاستفادة منه في البناء الثقافي في كل بلد عربي ولتحقيق نهضة الثقافة العربية عموما ، وملجأ عرب لا ملجأ لهم من التضييق عليهم في بلدانهم فاستهوتهم وأسَرَتهم وتركت فيهم أثرا لا يُمحى. وحين اشتد استعار الحرب اللبنانية أصبحت دمشق ، التي لا تبعد عن بيروت أكثر من المسافة بين صنعاء وذمار ، متنفسنا الوحيد ، نحن الذين أصررنا على مواصلة دراستنا وتأهيلنا في بيروت على الرغم من تلك الحرب المدمِّرة ، وبخاصة بعد أن نُصبت الحدود بوضوح بين المعسكرين المتحاربين بما يسمح بالابتعاد عن بؤرها المشتعلة للمشاركة في الحياة الهادئة والاستفادة من التفتح الثقافي الملحوظ الذي شهدته دمشق في تلك الفترة ، حيث تعددت المنتديات الثقافية ، وعُقد فيها مهرجان دوري للمسرح العربي اجتذب عروضا مسرحية من مختلف البلدان العربية ، ونُظِّمت ندوات نقدية تناولت تلك العروض بما يوسِّع من دائرة الوعي الثقافي. وهي فترة بدأت فيها وأنا ما أزال طالبا الكتابة والعمل مراسِلا ثقافيا متطوِّعا للصحف اليمنية ، وبالتحديد مجلَّة الحكمة وصحيفة الثورة.

ولا أزال أتذكر كأنه اليوم لقاءاتٍ ثقافيةً وفنية جمعتني بعبد الكريم وبزملاء يبحثون مثلي عن اغتناء

> **يعدُّ الدكتور عبدالكريم قاسم الخطيب أحد أعلام جيل جمهوري ثابر بجد وبذل الكثير من الجهود لاكتساب المعرفة، ممسكا بالفرصة التي أتاحتها له الجمهورية خلال سبعينات القرن العشرين، في تكوينه الذاتي وتأهيله الثقافي في داخل اليمن وخارجها حتى عاد من دراسته الأكاديمية في الخارج ليسهم في نشر المعرفة والوعي في بلاده.**

ثقافي وتأهيل حضاري وتذوق موسيقي ، استمعنا خلالها للعزف على العود وغناء زميلنا جابر علي أحمد ، طالب الفلسفة حينذاك ، لأجمل القصائد التي ساهمت في تأهيلنا الثقافي وتعميق وعينا الفني وصنع طموحاتنا المستقبلية وعمَّقت في وجداننا التمسك بالقيم الوطنية والإنسانية النبيلة ، مثل قصيدة عبدالله البردوني التي يتغنَّى فيها بعيني "أم بلقيس" الرمز ومنها:

لعيني أم بلقيس — فتوحاتي ورياتي
وأنقاضي وأجنحتي — وأقماري وغَيماتي
لها تلويح توديعي — لها أشواق أوباتي
أشرِّق وهي قُدَّامي — أغرِّب وهي مِرآتي
إليها ينتهي روحي — ومنها تبتدي ذاتي
أغني وهي أنفاسي — وأسكتُ وهي إنصاتي
وأظمأ وهي إحراقي — وأحسو وهي كاساتي
أموت وحبها موتي — وأحيا وهي مأساتي

★ وقصيدة محمود درويش "لا تنامي حبيبتي" ومنها:

عندما يسقط القمر — كالمرايا المحطمة
يكبر الظل بيننا — والأساطير تحتضر
لا تنامي حبيبتي — جرحنا صار أوسمة
صار وردا على قمر

خلف شباكنا نهار — وذراع من الرضا
عندما لَفَّني وطار
خِلتُ أني فراشةٌ
في قناديل جُلَّنار
وشفاهٌ من الندى
حاورتني بلا حوار
لا تنامي حبيبتي — خلف شباكنا نهار
سقط الورد من يدي
لا عبير ولا خَدَر
لا تنامي حبيبتي
العصافير تنتحر
ورموشي سنابِلٌ
تشرب الليل والقدر

صوتك الحلو قبلةٌ
وجناح على وَتَر
غصن زيتونة بكَى
في المنافي على حَجَر
باحثا عن أصوله
وعن الشمس والمطر
لا تنامي حبيبتي
العصافير تنتحر

عندما يسقط القمر
كالمرايا المحطمة
يشرب الظل عارَنا
ونداري فِرارَنا

عندما يسقط القمر
يصبح الحُب ملحمة
لا تنامي حبيبتي
جرحنا صار أوسمة
ويدانا على الدُّجَى
عندليب على وَتَر

★ ومن تلك القصائد "بطاقة إليها" لعبدالعزيز المقالح التي تصور مأساة الوطن:

أنا من بلاد القات مأ — ساتي تضج بها الحقب
أنا من هناك قصيدةٌ — عصماء وحرف مغترب
غادرت سجن الأمس ملـــتحفا براكين الغضب
لا عطر لا بترول أحـــمله وليس معي ذهب
ما زلت أغسل في مياه — البحر أشرب في القرَب
قدماي حافيتان عا — ري الرأس موصول السَّغَب
وسفينة الصحراء طا — ئرتي وقصري من خشب
إن دندن الموال في الأغوار يقتلني الطرب
ويشدُّني ناي الحقول — أذوب إن ناح القصَب
لكنني في الحب مو — صول العراقة والنسب
مجنون ليلى في دمي — وجميل موصول اللهب
أنا والهوى جئنا شببت — بظله حلما وشب
هل تقبليني بعدُ هل — ترضين بي شمس العرب؟
أنا فيك مجنون تحيـــر سير عمري واضطرب
لما تلاقى المعجبو — ن أمام موكبك العجب
قالوا ومات اللفظ مشـــنوقا على شفتي التهب
هزتك ثرثرة الشفاه — وخاب صمتي وانتحَب
وذهبت تقتاتين تغـــــتسلين في موج الصَّخَب
والصَّمتُ لو تدرين أبـــلغ من ملايين الخُطَب

وقد أسعدني الحظ في تلك الأيام بالتعرف على مجموعة من الشباب الطموحين الذين تحركهم إرادة قوية للاستفادة من هذا الازدهار الثقافي في دمشق في تكوين أنفسهم وبناء مستقبلهم ، ومن أبرزهم الدكتور عبدالكريم الذي كان شعلة استحقَّت الإعجاب

بقدراته المميَّزة وبامتلاكه منذ البداية لموهبة كبيرة في الإدراك والاستيعاب والتأمل والتحليل في سياق من الشغف الثقافي والفلسفي الذي كان لا بد أن يعطي فيما بعد نتائجه من خلال الإسهام في تطوير الحركة الثقافية في اليمن. ومَن تكون هذه مؤهلاته وقدراته لا بد له أن يمتلك ، إن آجلا أم عاجلا ، القدرة على الكتابة والبحث والنقد الفلسفي والأدبي والثقافي عموما ، وهذا ما تحقق فعلا.

" تجلّت قدراته البحثية ، اجتماعيا وسياسيا ، في اهتمامه بالمذكرات والوثائق النادرة ، إدراكا منه لقيمتها في فهم التحولات التاريخية وكشف ما خفي من وقائعها"

فقد بدأت تباشير التفتُّح الثقافي الذي شهدته اليمن في النصف الثاني من القرن العشرين في ثلاثة مراكز ثقافية عربية هي القاهرة ودمشق وبيروت ، وحتى المثقفين اليمنيين المرموقين الذين برزوا بعد دراستهم في موسكو وفي أوروبا ، كانوا قد بدأوا تكوينهم الثقافي في القاهرة وبيروت مثل محمد عبدالولي وأبو بكر السقاف وعمر الجاوي ويوسف محمد عبدالله وغيرهم ، ولم تزدهم دراستهم خارج الوطن العربي سوى مزيدا من العُمق والاغتناء الثقافي. أما أدواتهم الأدبية والفكرية والفنية فكانوا قد اكتسبوها قبل ذهابهم للدراسة في بلدان أوروبا. وقد تميز عبدالكريم بمعايشة التجارب الثقافية والفكرية في مركزين عربيين ازدهرت فيهما الثقافة العربية وانفتحت على الثقافات العالمية هما دمشق في مرحلة الدراسة الجامعية والقاهرة في مرحلة الماجستير. ولذلك كان من الطبيعي والمتوقع أن يصبح من أهم أساتذة الفلسفة في الجامعة ، وأن يواصل السير على الطريق الذي اختطه في الجامعات اليمنية أكاديميون كبار مثل الفيلسوف المُتَمَيِّز أبو بكر السقاف وعالم الآثار يوسف محمد عبدالله وعالم الاجتماع عبده علي عثمان والمؤرخ حسين العمري وأمثالهم. فبِهِ وأمثاله ترسَّخ مكان الفلسفة في الجامعات اليمنية.

ولم يكن عبد الكريم وحده من استفاد من النمو الثقافي والفني الذي شهدته دمشق في تلك الفترة بما وفرت من انفتاح مستنير على الثقافة العربية والثقافات العالمية ، بل يمكن القول إن بعضا ممَّن أسهموا في الازدهار الثقافي في اليمن في الثمانينات وما بعدها قد تكوَّنوا في هذه المدينة العريقة التي تعد من أقدم مدن العالم. وقد كان من حسن حظي أنني عرفتُ في تلك الفترة وتأثرت بعدد من الشباب اليمني الحريص على تقوية تكوينهم المعرفي وتوسيع مداركهم ووعيهم على أمل أن يعودوا للمساهمة في بناء بلدهم وتحقيق نهضته وتحريره من الفقر والتخلف الموروث في جميع المجالات ، في مرحلة لم تكن فيها هجرة المتعلمين اليمنيين تخطر على بال ذلك الجيل.

ومن باب الوفاء لهذه النخبة من الشباب المثقف ولطموحاتهم النبيلة أن أتذكر مَن لا أنساهم ، إلى جانب عبدالكريم ، مثل الفنان والناقد الموسيقي الكبير جابر علي أحمد وزميله الأستاذ علي مكنون ، والفنان التشكيلي المعروف عبدالله المجاهد ، والأستاذ متعدد المواهب محمود صغيري ، والمهندس الفنان أحمد الإبِّي الذي اخترمه الأجل في حادث أليم ، فقد كان يساهم في إغناء لقاءاتنا بثقافته وتهذيبه وعزفه على الجيتار ، والدكتور الشاعر عبدالكريم دماج الذي درس خلال فترة قصيرة في دمشق قبل أن يذهب إلى بلد آخر لمواصلة تأهيله الطبي ، والمهندسَين علي علي جباري وعبدالكريم الجبري ، والدكتور إسماعيل النجار ، والشاعر منصور راجح ، مع الاعتذار لمن لم أذكرهم.

" لا يزال يواصل الحلم رغم انكسارات الواقع ويقدم أنموذجا للمثابرة في بناء المعرفة وخدمة المجتمع"

ومع أن ظروف التأهيل الأكاديمي والعمل قد باعدت بيننا بذهابي للدراسة في باريس وما ترتب عليه من بُعد المسافات وسير كل منا على طريق لا نلتقي فيه إلا نادرا ، فقد تجلت نتائج التأهيل الثقافي لعبدالكريم ، وتفتحه على الثقافات العالمية وشغفه الكبير في اكتساب المعارف والخبرات ، في عمله الأكاديمي كأستاذ فلسفة متميِّز وفي حياته اللاحقة كمثقف كبير وكاتب وباحث وناقد. .كما شارك في نشاطات اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الذي كان واحة يلتقي تحت ظلها المبدعون اليمنيون ويساهمون في صناعة حلم اليمن الموحد الناهض العامل للتحرر من الفقر والجهل والتخلف ، قبل انشار قتامة النكوص عن المباديء الموحِّدة للنخبة الثقافية اليمنية بحيث تجسَّد فشل النخب السياسية والاجتماعية والثقافية وعجزها عن بناء بلد ناهض متقدم ، بالتحاق البعض بالدعوات المناطقية والقبلية غير الجمهورية ومناصرة تشظِّي اليمن وتمزيق نسيجه الاجتماعي. والواقع أن عبدالكريم كان من أبرز من أغنى تجربة الاتحاد بمحاضراته ومشاركاته ، بما عرف عنه من قدرة على النقد العميق والتحليل المتمكِّن والعرض الجذاب والرؤية الثاقبة. وتجلت قدراته على البحث والنقد حتى حين تولَّى تدوين مذكرات شخصية اجتماعية وسياسية برزت في ستينات وسبعينات القرن العشرين ، من خلال تركيز تدوين تلك المذكرات على نشر الوثائق النادرة بحس الباحث المدرِك لأهمية الوثيقة في البحث التاريخي والسياسي ، وما تكشِف من خبايا وأسرار لا غنى عن معرفتها لتكوين فكرة عامة عن تلك الفترة التاريخية.

والحق أن عبد الكريم وأمثاله يقدمون قدوة لشباب اليوم من خلال المثابرة لاكتساب المعارف وبناء الذات بناء عميقا يسمح بإغناء تجربتهم المعرفية والعملية والمساهمة في السعي لبناء يمن قادر على تجاوز الهامشية في الحياة العربية والعالمية والخروج من دوامة الفقر والتخلف وتقديم أوسع الفرص أمام أبنائه ليحققوا لأنفسهم ولبلدهم عيشا كريما ومستقبلا آمنا مطمئنا ومتقدما.

ملف العدد
عبدالكريم قاسم سعيد
المثقف الموقف

شيء قليل عن إنسان كثير

جميل مفـرِّح *

فهو الأكاديمي الفيلسوف المنتمي حقًا لتخصصه ، والذي لو تخيلت نفسك طالبا لديه لما شعرت للحظة واحدة إلا بالرغبة في استمرار الإنصات إليه والاستفادة مما يقدمه من معلومات قيمة ، وتبادل مثالي في التعامل والاحترام..

وهو الكاتب القدير والأديب اللبيب الذي تشع حروفه بكل مكنوناته الإنسانية الجميلة والنبيلة..

كما أنه القيادي والنقابي الذي تستطيع معه الشعور بالأمان على أية مؤسسة يعمل بها أو ينتمي إليها ، وقد لمسنا ذلك منه في كثير من المراحل خلال العمل المشترك معه في قيادة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، فغالبا ما كانت مواقفه مشرفة ومتوازنة ومخلصة للاتحاد ومصالحه ، ومصالح كل المنتمين إليه..

أضف إلى هذا وذاك فإن الدكتور عبدالكريم رجل ودود ومتصالح مع الوجود برمته ، ما يعكس تصالحه مع نفسه بدرجة كبيرة ، ولا يحتاج إلى الوقت والعناء ليقنعك بالقبول به واحترام شخصيته ، فسرعان ما تجد نفسك ، من أول مقابلة معه ، تشعر وكأنه صديقك منذ الأزل..

ومما يذكر ويحسب للدكتور أيضًا أنه نموذج مميز في بناء الصداقات والزمالات وتنويعها وتدعيمها ، فهو صديق رائع ، يتميز بالوفاء والإخلاص والتفاني في تعامله مع كل أصدقائه.. ولا ينقصه شيء ليكون إنسانا اجتماعيًا من الطراز الأرفع والأجمل..

«ينعدم أن تجد له مواقف وآراء تتعارض مع القيم الراقية والمواقف المشرفة»

وفي كل هذه الصفات النبيلة والعلاقات المتعددة ومنها ، نجد أن للدكتور قاسم مكانته الكبيرة والرفيعة في قلوب كل من يتصل بهم أو يتقابل معهم ، في كل تفاصيل الحياة العامة والعمل المشترك والعلاقات العامة..

إنسان يحظى بالمحبة والاحترام والتقدير لدى الجميع ، وندر إن لم نقل انعدم أن تجد له خصومات أو اختلافات مع الآخرين ، انعدام أن تجد له مواقف وآراء تتعارض مع القيم الراقية والمواقف المشرفة..

فتحية كبيرة للدكتور عبدالكريم قاسم أستاذًا وزميلًا وصديقًا لا يمكن الاستغناء عن أستاذيته وزمالته وصداقته أبدًا.. وشكرًا لكم على إعداد هذا الملف عنه ، والذي يعد لفتة كريمة أكثر من مستحقة لهذا الأكاديمي ، والنقابي والإنسان النبيل والمبدع.

> **عندما نرغب في الحديث عن الدكتور عبدالكريم قاسم بإنصاف يستحقه، لا تحضر في أذهاننا شخصية عادية أو حتى شخصية واحدة.. فنحن إزاء إنسان حضر ويحضر بشخصيته المتميزة في كل مكان يمكن أن يحبه ويجله الآخرون..**

★ شاعر وكاتب.. نائب رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بصنعاء

التفكير المادي في الكتابات الميتافيزيقية

مقاربة في دراسات الدكتور عبد الكريم قاسم للعقل المستقيل

د. محمد مرشد الكميم

(1)

إن من يعرف الدكتور عبد الكريم قاسم ، ويعرف ما كتب من مؤلفات وأبحاث ومقالات ، وما حرر منذ مذكرات سياسية [1] ، وما شارك فيه من مؤتمرات وندوات وفعاليات ، يدرك إلى أي حد بلغ لديه الالتزام الصادق تجاه تطوير مجتمعه والسعي إلى حل إشكالاته عن طريق المساهمات الفكرية والمشاركات الميدانية الفعلية والفاعلة؛ فقد كان وما يزال مناضلاً سياسيًا بالقول والفعل والنزول الميداني ، وكان عضوًا فاعلاً في حزب يساري لفترة طويلة من الزمن ، ولكنه اختلف مع أعضائه؛ لأنه كان يقدم فعل النقد الذاتي للحزب على الولاء المطلق لمبادئه التي يرى أنه من اللازم إعادة النظر فيها بما يتوافق مع التحولات والتغيرات الطارئة على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، كما أنه كان أحد الأعضاء البارزين والفاعلين في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الذي وصل فيه إلى منصب الأمين العام. والذي عرفه -آنذاك- يعي أنه كان يؤمن بفكرة المثقف العضوي المشارك بالثقافة في خدمة المجتمع الذي ينتمي إليه ، ولم يكن يؤمن بثقافة الأبراج العاجية المتعالية على واقع الناس وحياتهم.

> **يعد الأستاذ الدكتور عبد الكريم قاسم واحدًا من أهم المشتغلين بالفكر اليمني والعربي والإسلامي في بلدنا؛ فهو إلى جانب كونه أستاذا مختصًا في الفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة صنعاء، تراه مثقفا عضويًا عامًا مهمومًا -غالبًا- بالقضايا السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والأدبية الحديثة والمعاصرة في اليمن والعالم العربي من جهة، ومهمومًا -أحيانًا- بدراسة ثنائية التراث والتحديث من جهة أخرى.**

(2)

معرفة أستاذنا الدكتور عبد الكريم قاسم من خلال ما ذكرناه عنه ، تؤكد أن ما سيصدر عنه من أفكار أو كتابات لن يتصل إلا بما هو مادي علمي ملموس ، وربما تجعل العارف له يستبعد أن يكون له اتصال أو إيمان بالمعارف الميتافيزيقية أو المندرجة في أتون العقل المستقيل بحسب مصطلحات الجابري ، وهذا ما حاولنا الإيحاء به من خلال العنوان الرئيس لهذا المقال ، دون أن يغيب عنا ما يمكن أن يقع في ذهن القاريء من حيرة تجاه التناقض الذي قد يراه نتيجة الجمع بين لفظي (مادي) و(ميتافيزيقي) فيه؛ لأننا نعرف أن التفكير في الميتافيزيقا استعان بالمنطق العقلي والجدل اللغوي والبلاغي ، والتفكير المادي اتجه إلى الطبيعة مستعينًا بالمنطق العقلي والرياضي وبمناهج التجريب العلمي؛ لذا فإننا لا نقصد من وراء العنوان التفكير المادي في الميتافيزيقا ، وإنما نقصد التفكير المادي فيما كتب عن الميتافيزيقا؛ فما الذي دعانا إلى اقتراح الكتابة في هذا الموضوع عن الدكتور عبد الكريم قاسم يا ترى؟

(3)

إذا كنا قد خمنا آنفًا أن طبيعة تفكير الدكتور عبد الكريم تتجه نحو المادية من خلال المؤشرات الأولى لمسيرته الحياتية والحزبية والعلمية والثقافية ، فإننا بتقليب ما له من كتابات قد نصل إلى نتائج تقطع الشك باليقين تجاه طبيعة تفكيره تلك.

إن المطلع على بعض ما صدر له من كتابات سيجد ما يؤكد أن دراساته للمجتمع اليمني وقضاياه تمثل الرصيد الأكبر من إنتاجه الفكري. وحضور المجتمع اليمني وقضاياه بهذه الكثافة فيها يدل دلالة قاطعة على التأثير الكبير للفكر المادي التاريخي ، وربما الجدلي ، فيما درسه من موضوعات وفي طريقة تفكيره فيها ، وللقاريء أن يستشف ذلك من بعض عناوين ما وقع له بين أيدينا [2] ، ولكن المفاجيء للمطلع على دراساته أن يجد له دراستين تخرجان عن هذا التصور لتفكيره المعرفي؛ فإذا كان ملتزمًا بمعالجة قضايا المجتمع اليمني المعاصر ، فيما أحلنا إليه من دراسات وأبحاث في هامش الورقة ، بطريقة التفكير المادي ، والمادي التاريخي والجدلي بالتحديد ، فهو كذلك ملتزم بقضايا الفكر اليمني في دراسته عن المتصوف أحمد بن علوان وعن إخوان الصفا من جهة اتصال رسائلهم بالطوائف الإسماعيلية في اليمن ، وهذا يكشف من طرف خفي انهمامه بمجتمعه حتى إن كان يمكن تصور هذا

الهم بأنه أيديولوجي ، ولكن الإشكال يتعلق فيما يتعرض له من موضوعات في هاتين الدراستين اللتين هما -في الأصل- رسالتان أكاديميتان للماجستير والدكتوراه؛ فما تعرض له في كثير من صفحاتهما متصل بموضوعات وقضايا ميتافيزيقية أكثر من اتصاله بموضوعات وقضايا مادية أو فيزيقية؛ لأنه في رسالته الأولى تناول بالتفصيل فلسفة أحمد بن علوان الصوفية ، وفي رسالته الثانية تناول فلسفة إخوان الصفا الإسماعيلية الشيعية في الميتافيزيقا ، وهذا الخروج في هاتين الدراستين عن نسق موضوعاته المادية يدعو للاستغراب ويطرح علينا التساؤل عن سر هذا الخروج ، وعن مدى ابتعادهما ، فعليًا ، عن نسقه الفكري المادي.

(4)

نعم ، لن يخرج المصنف لكتاباته عن تأطيرها في مسارين اثنين يشملان اشتغالاته الفكرية تلك ، وربما التي لم نطلع عليها. هذان المساران سنوصف أولهما -تعميمًا- بالمادي في مفهومه الشامل المتضمن للطبيعي والتجريبي والميكانيكي والجدلي والتاريخي [3] ، وسنوصف الآخر بالميتافيزيقي الشامل لدراسة الموجود بما هو موجود ، ولدراسة الوجود اللامادي الذهني والمجرد والكلي والمطلق والمستقل عن الوجود المادي [4]؛ فإذا كنا سنضرب صفحًا عن دراساته التي تنتمي إلى المسار المادي؛ لوضوحها واتساقها مع ما عرفناه عنه وعن المنحى البارز لتفكيره ، وبالتحديد المادي التاريخي والجدلي ، فإن دراساته التي يظهر أنها تنتمي إلى المسار الميتافيزيقي الذي تمثله رسالة الماجستير التي أصدرها في كتاب جاء تحت عنوان: "قضايا وإشكالات التصوف عند أحمد بن علوان" [5] ، ورسالة الدكتوراه التي أخرجها في كتاب عنونه بـ: "إخوان الصفا وفلسفتهم في الألوهية والوجود" [6] -ستحتم علينا البحث عن تفسير مقنع ومعقول لكسره ذاك الانسجام الذي لمسناه في دراساته ذات النسق التفكيري المادي؛ لعلنا نخرج بنتائج تعيد هاتين الدراستين إلى أفق التوقع الذي كوناه عن نسق تفكيره المادي بدلًا من الانسياق وراء ظاهر ما يشير إليه عنواناهما والحكم المستعجل عليهما بأنهما كسرتا أفق توقعنا عن نسق تفكيره.

(5)

لكي نخرج بتصور معقول يثبت أو ينفي هذا الخروج والكسر لأفق توقعنا عن نسق تفكيره المادي ، سنعرض للاحتمالات الممكنة التي تعلل هذا الخروج عن النسق أو تعلل نفيه ، وللقاريء أن يتخير منها الأكثر مقبولية والأشد معقولية والأقرب إلى الإقناع ، بل ربما لن يجد القارئ إمكانية أخرى لإيجاد احتمال آخر يضاف إلى ما اقترحناه من الاحتمالات التفسيرية الآتية:

أ-يمكن أن يفسر هذا الخروج من زاوية ما حتمه عليه اختصاصه في الفلسفة الإسلامية من اهتمام بموضوعات فلسفية إسلامية تراثية تخارج أو تداخل فيها اللاهوتي بمبحث الوجود الميتافيزيقي الفلسفي ، والعرفان الصوفي والشيعي بالبرهان العقلي ، والتصور العرفاني المتصل بالغنوصية أو الهرمسية أو الأفلاطونية أو الأفلوطينية الجديدة بعلم الكلام وعلم أصول الفقه اللذين يمثلان منطق العقل الإسلامي.

ولكن قد يطرح على الدكتور عبد الكريم سؤال فحواه يتلخص في: لماذا لم يختر من موضوعات الفلسفة الإسلامية ما يتوافق مع نسق التفكير المادي الذي عرفناه عنه وفي دراساته الأخرى كما فعل حسين مروة في كتابه "النزعات المادية في الإسلام" ، أو كما فعل محمود إسماعيل في كتابه "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي"؟ ربما نجد في الاحتمالات الأخرى ما يبرر هذا الاختيار دون غيره.

ب-يمكن أن يلمس في الدراستين بعد أيديولوجي يكشف عن اعتداد بالذات اليمنية ، وسعي إلى البحث عن هوية وطنية جامعة من خلال التنقيب عما لليمنيين من مآثر ومفاخر فكرية موجودة في تراثهم وإبرازها والتنويه بأعلامها الذين يشكلون مع أفكارهم رأسمَال رمزيًا يضاف إلى الرصيد الثقافي الذي به تتشكل هويةٌ ما لليمن واليمنيين؛ فابن علوان بانتمائه مع فكره إلى الصوفية والتصوف في اليمن ، وإخوان الصفا بوصفهم المصدر المؤسس لطوائف الإسماعيلية في اليمن ، يعدان مع ما ينتمون إليهم من جماعات وما أنتجوه من أفكار جزءًا لا يتجزأ من الخيوط المتعددة والمتشابكة والمشكلة لنسيج الهوية اليمنية التي لم يعد بالإمكان إعادتها إلى تفسير واحد نقي ومفرد كالتفسير العرقي مثلًا.

ومهما كان في هذا الاحتمال من أبعاد أيديولوجية تقرب تفكيره بهذه الطريقة إلى التفكير الميتافيزيقي عن الجماعات والهويات المتخيلة ، فإنه لا يخلو من نزعة مادية تاريخية أو جدلية تحاول بطريقة ما أن تكشف عن شكل للمجتمع اليمني ولنظام العلاقات القائمة بين مختلف طبقاته وطوائفه التي تَكَوَّنَ بها تصور عن هويته.

ت-الاحتمال الثالث يمكن الدخول إليه من باب التفريق بين موضوع ميتافيزيقي الطرح وبين موضوع يدرس موضوعًا ميتافيزيقيًا؛ فالأول سيصنف في دائرة التفكير الميتافيزيقي ، بينما الثاني سيصنف في دائرة التفكير العلمي أو المادي الذي يدرس ما خلفه المدروسون من أفكار مثبتة ماديًا باللغة التي لن يكون الاختلاف فيها دائرًا إلا حول دقة تأويل المقصود عندهم. ومن هنا سيجد القاريء مدخلًا ماديًا علميًا لدراسته التي اعتمد فيهما مناهج تحليل علمية كالمنهج التاريخي أو التحليلي أو المقارن [7] ، وهو بذلك لن يكون فيهما ميتافيزيقيًا حتى وإن كانت طريقة تفكير الموضوعات التي يدرسها ميتافيزيقية أو تعتمد على المنطق العقلي الذي كان أداة تفكير الفلسفة القديمة فيها وفي الفيزيقا؛ لأنه حين عالج تلك الموضوعات وأصحابها لم يهمل دراسة العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية [8] التي زامنت ابن علوان وإخوان الصفا وأسهمت في تشكيل ما أنتجه وأنتجوه من أفكار أو فسر كثير منها ومن حياتهم في ضوء تلك العوامل أو وفق بعض تصورات المادية الجدلية وبعض تصورات المادية التاريخية.

ث-يرجح أن الهم الوطني لدراسة فكر الأقليات في اليمن هو الباعث لاختيار تصوف ابن علوان وفلسفة إخوان الصفا في الألوهيات والوجود؛ فإذا كان ارتباط تصوف ابن علوان ببعض الجماعات الصوفية المتمركزة في مناطق من تعز وبعض المناطق الغربية والجنوبية والشرقية من اليمن ، فارتباط فكر إخوان الصفا بجماعتي البهرة والمكارمة الإسماعيليتين المتمركزتين في بعض المناطق الغربية والوسطى من اليمن لا يخفى على المطلع على مصادر تفكيرهما؛ لأن أعلامها يصرحون أن رسائل إخوان الصفا تعد من أهم مصادر فكرهم الشيعي الباطني.

ومعنى هذا أن الدكتور عبد الكريم كان مهتمًا بدراسة فكر أقليات المجتمع اليمني التي ما زال لها وجود فيه إلى اليوم ، وهذا يجعل دراسته مهمومتين بفهم الجماعات المشكلة لمجتمعنا ومعنية بالبحث عما يخلفه وجود هاتين الأقليتين وفكرهما المختلفين عن وجود غيرهما من الجماعات الأخرى وأفكارها -أقلية كانت أو أغلبية- من إشكالات وصراعات نفوذ أو وجود فيما بينها؛ عله يجد لها حلولًا من الداخل دون أن يسقط عليها حلولًا من خارجها أو يفرض الإقصاء والإلغاء لبعضها والإبقاء والاستمرار لبعضها الآخر بطريقة تصورية مثالية. وهو بهذا التناول يصبح في قلب اشتغاله بنسقه الفكري المادي الجدلي التاريخي الذي أشرنا إليه سلفًا ، ولا يجعله بعيدًا عنه أو يضعه على التخوم منه.

ج-يمكن حمل اشتغاله في دراسته على أنه يدخل في مشاريع إعادة قراءة التراث الذي يمكن أن نتواصل معه اليوم؛ لأن فيه ما يمكن أن يوجد حلولًا لبعض مشكلاتنا المعاصرة ، ولعل أهم المشاكل التي تواجهنا في يمننا وفي بلداننا العربية تحدد فيما يتعلق بالصراعات والتمزقات الدينية والمذهبية والطائفية والحزبية والطبقية والعرقية التي حولت حياتنا إلى جحيم ، وكأنما كانت عودته إلى التراث الفلسفي العربي الإسلامي عودة الباحث فيه عن مقترحات فلسفية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية من شأنها أن تحدث رأبًا للتمزقات وقبولًا للتعايش بين الجماعات المختلفة فكريًا أو دينيًا أو مذهبيًا أو طائفيًا أو قبليًا أو غير ذلك مما نعرفه منها في اليمن أو في بقية بلداننا العربية اليوم. ولعل ما يثبت هذا التوجه أنه خصص مبحثًا لتأثر فلسفة ابن علوان بفلسفة ابن عربي الذي أكد فيها على مبدأ التسامح عمومًا ، والتسامح الديني منه على وجه الخصوص ، في هذا المقطع الشعري الذي يقول فيه:

لقد صار قلبي قابلًا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان ، وكعبة طائفوألواح توراة ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه؛ فالحب ديني وإيماني

وإذا كان التأثر بهذا المبدأ لم يذكر في جملة ما ذكره من مؤثرات ابن عربي على ابن علوان ، ففي ظني أنه لم يكن همه في دراسته تقصي كل المؤثرات ، ولو تحرى غيره التقصي لهذه المؤثرات ، فقد يجد في آثار ابن علوان أصداء لمبدأ التسامح هذا ، ولكننا لا نستطيع الجزم بذلك إلا بعد أن نؤيد ظننا بالإثبات.

أما عن بروز هذا التوجه التسامحي أو التعايشي في دراسته عن إخوان الصفا ، فأكثر ما يتضح مقصوده الرامي به إلى إيجاد صيغة تسامح أو تعايش بين المختلف مما تقدم ذكره ، وإن لم يصرح به ، حينما وجدناه يعالج منهج رسائل إخوان الصفا ويقدم وجهة نظره عن موسوعية رسائلهم؛ ففي ذلك نجد له نصًا يقول فيه: "إنها [أي رسائل إخوان الصفا] موسوعة للعلوم والمعارف الفلسفية المعروفة في عصرهم ، ولا يقلل من قيمتها الموسوعية أن تكون إلى جانب هدفها العلمي المحض غايات عملية لجماعة ذات أغراض سياسية" [9] ، وهذه الغايات والأغراض المعماة تتضح أكثر حينما نجده يحفر وراء مذهب إخوان الصفاء ويوضح معالمه في قوله عنه: "والباحث يرى أن وصف مذهب إخوان الصفا بالمذهب الانتقائي أو الاختياري فيه إجحاف إلى حد كبير؛ لأن رسائلهم هي عمل موسوعي جمعت المعارف البشرية حتى عصرهم ، والنزعة الشمولية للعلوم والمعارف هي مبدأ أساس في مذهبهم... فوحدة المبدأ يؤدي إلى القول بوحدة الأديان والشرائع والمذاهب ، وهذا ما أخذ به -أيضًا- بعض الصوفية مثل ابن عربي" [10].

والمتتبع لمعرفة هذه الغايات والأغراض في تحليله يجدها تبلغ الحد الأقصى من الجلاء والوضوح حين قدم رأيه عن الهدف من وراء وضع

"إن المطلع على بعض ما صدر له من كتابات سيجد ما يؤكد أن دراساته للمجتمع اليمني وقضاياه تمثل الرصيد الأكبر من إنتاجه الفكري."

إخوان الصفا لرسائلهم قائلًا فيه بالنص: "ويعتقد الباحث أن إخوان الصفا يهدفون من وضع رسائلهم ليس إلى تأسيس مذهب لجماعة معينة في مواجهة المذاهب الأخرى ، ولكنهم هدفوا إلى إيجاد تصور لدولة تتعايش فيها جميع المذاهب ، يحكمها إخوان الصفا الذين يحترمون جميع المذاهب ولا يعادون أي منها أو يتعصبون لأية ملة ، وهذا طرح شبيه بالطرح العلماني الليبرالي"[11].

لا يهم ، هنا ، الاختلاف مع الدكتور عبد الكريم فيما توصل إليه في معالجته؛ فإن رأى أحد ما أنه لم ينجح في تحديد أهداف إخوان الصفا من الجمع الموسوعي التوفيقي أو التلفيقي لآراء مدارس فلسفية أو منطقية أو كلامية أو مذهبية أو طائفية مختلفة المشارب والاتجاهات ، فإن ما يهمنا هنا أنه أوحى لنا بتصور طامح إلى الانطلاق من فلسفة إخوان الصفا التصالحية أو التسامحية أو التعايشية بين مختلف تلك الاتجاهات الفكرية؛ لكي تكون مصدرًا ملهمًا لنا لإيجاد صيغة أكثر تطورًا للتعايش والتآلف بين مختلف الجماعات التي تحدثنا عنها سلفًا.

ولكن قد يقول قائل إن طريقته الاستدعائية للتاريخ المجتمعي والفكري إلى حاضرنا ستخرجه عن تفكيره النسقي المادي الذي كان فيه المجتمع المعاصر في مركز الانهمام البحثي المادي في دراساته الأخرى وتدخله في أتون التفكير الميتافيزيقي القائم على إحداث المشابهة بين مجتمعي وفكري مرحلتين متباعدتين زمنيًا دون مراعاة لحتمية التحولات التاريخية التي تفرض تغيرات على المجتمعات التي توجد في أزمنة متغيرة وعلى ما تنتجه من أفكار ، وهذه الحجة صحيحة إذا لم نراع أنه درس ابن علوان وإخوان الصفا في سياقهما وفسر نسقهما الفكري انطلاقًا من محددات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية كانت هي المشكلة لبنيتهما الفكرية.

أما القول بإمكانية استدعاء الماضي وفرضه على الحاضر بالقياس التشابهي مع مذهب إخوان الصفاء أو مع العلمانية الليبرالية ، فلم يقل به بتاتًا ، وإنما هو تأويل منا اعتمد على افتراض أن ما يُختار من التراث للدراسة لا يمكن أن ينفك من إسار أسئلة الحاضر التي تحاصر الباحث في واقعه المعاش؛ فإذا كان الماضي هو المدروس ، فالغاية المرتجاة هي ما يمكن أن يتحقق من تلك الدراسة الفلسفية في الحاضر ، ولكن مع مراعاة ما طرأ على مجتمعنا المعاصر وفكره من تغيرات تفرض إعادة دراستهما لا مطابقتهما بالمجتمع والفكر المدروسين في الماضي؛ فالتوافق في الاختلافات الواقعة بين مكونات المجتمعين القديم والحديث ، والتوافق في اقتراح وعي ممكن تصالحي أو تسامحي أو تعايشي ، لا يعني القول بتطابق أو تشابه المجتمعين أو الوعيين الممكنين المقترحين للتعايش ، بل يعني ضرورة معاينة الاختلافات بين المجتمعين وفكرهما وإعادة مفهمة مصطلحات التعايش أو التصالح أو التسامح بما يجعلها متوافقة مع ما يتطلبه ذلك الاختلاف الاجتماعي والفكري في الزمنين المتغايرين ، وبهذا سيكون وعيه ماديًا من زاوية ما إذا ما كان قاصدًا ، ولو بطريقة ضمنية غير مصرح بها وتقع على الهامش الخفي لما كتب ، تبيين التصاديات والاختلافات بين ماضي مجتمعنا العربي الإسلامي وحاضره ، أما إن كان قاصدًا ، ولو بالطريقة نفسها ، إنزال الماضي على الحاضر دون مراعاة الفروق والاختلافات ، فتصوره التاريخي سيكون تصورًا دائريًا تكراريًا فيه شبهة ميتافيزيقا ابن خلدون التعميمية في تفسيره لتاريخ الحضارات والمجتمعات.

بهذا الاحتمال الأخير المؤسس على نصوص مقتبسه من دراسته الخارجتين عن النسق في الظاهر ، نكون قد أوجدنا لهما صلة بنسق تفكيره المادي الذي حكم اشتغالاته في بقية الأبحاث والدراسات التي أدرجناها في المسار الأول؛ لأن المجتمع والانهمام بقضاياه وإشكالاته هما

المحصلة النهائية من دراستيه اللتين قد يراهما قاصر النظر بعيدتين عن نسق تفكيره المادي ، والمادي الجدلي التاريخي تحديدًا.

* الهوامش:

(1) لقد تكفل بتحرير مذكرات الشيخ سنان أبو لحوم التي أصدرتها مؤسسة العفيف في أربعة أجزاء جاءت تحت عنوان: اليمن: حقائق ووثائق عشتها.

(2) (يمكن ملاحظة هذا الملمح من خلال عناوين دراساته الآتية:

أ-الإخوان المسلمون والحركة الأصولية في اليمن.

ب-دور المجتمع المدني في بناء السلام في اليمن.

ت-واقع المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص في اليمن.

ث-المساءلة المجتمعية في اليمن.

(3) لمعرفة تفاصيل الفوارق بين اتجاهات المذهب المادي في التفكير ، يمكن العودة إلى كتاب: أسس الفلسفة ، توفيق الطويل ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ط ، د.تا ، ص: 240-246؛ وإلى مواضع متفرقة من كتاب: مدخل إلى المادية الجدلية ، موريس كوزنفورث ، تر: محمد مستجير مصطفى ، دار الفارابي ، بيروت ، ط.3-1990م.

(4) للتدقيق أكثر في مفاهيم الميتافيزيقا وطرائق التفكير فيها ، يمكن العودة إلى الفصل الأول من الباب الثاني في الكتاب السابق ذكره لتوفيق الطويل ، وإلى مواطن متفرقة من كتاب موريس كوزنفورث السابق ذكره ، وبالتحديد فيما جاء في المجلد الثاني منه.

(5) الكتاب حمل عنوان: قضايا وإشكالات التصوف عند أحمد بن علوان ، وهو صادر عن: مكتبة مراد ، صنعاء ، ط.1-1997م.

(6) الكتاب صادر عن: اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، صنعاء ، د.ط ، د.تا.

(7) سيجد القاريء لمقدمتي الكتابين تصريحًا بتبنيه لبعض ما ذكرنا من مناهج أو لها كلها في دراسته لموضوعي الكتابين.

(8) لتأكيد ذلك يمكن للقارئ أن يعود إلى الفصل الأول من كلا الكتابين ، وإلى كثير من القضايا والموضوعات في الفصول التالية التي فسرها في ضوء تلك العوامل بطريقة المادية الجدلية أو التاريخية.

(9) إخوان الصفا وفلسفتهم في الألوهية والوجود ، ص: 39.

(10) المصدر نفسه ، ص: 36.

(11) المصدر نفسه ، ص: 36.

حة ضوئيا بـ CamScanner

الباحث المفكر المجدد

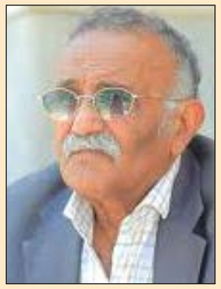

عبدالباري طاهر

أستاذ أكاديمي جاد ومجتهد. نابغة من النوابغ. متعدد مغاير ومختلف. قرأ الفلسفة بتياراتها ومناهجها المختلفة، وتخصص فيها. محب للفلسفة، وباحث فيها. أعد دراسته للماجستير عن الصوفية، ومعروف أن الصوفية أجمل وأروع وأغنى ما في الفكر العربي والإسلامي والإنساني.

شهد القرن التاسع الهجري صراعًا في اليمن بين الفقهاء والصوفية؛ فانتصر الفقهاء تيار التحريم والتجريم ضد تيار الصوفية الرائي أن الطرائق بعدد الخلائق؛ فلكل مخلوق عقيدته ومذهبه ، وحتى فلسفته في الحياة.

واصل الدكتور المجتهد النابغة ، المتفتح الذهن دراساته الأكاديمية ، فاختار رسالته للدكتوراه عن «إخوان الصفا وفلسفتهم في الألوهية والوجود» ، وهي التيار العقلاني ذو الجذور العلمية والمعرفية. لقد كان هذا الاختيار لأهم تيار فكري شهده الفكر الإسلامي في أزهى عصوره.

إبان دراسته في الحديدة مطلع السبعينات كان كثير التردد مع أخيه عبد السلام قاسم على مقر مجلة «الكلمة» لزيارة قريبهم محمد عبد الجبار — رئيس التحرير ، وكانت ملامح الذكاء لا تخفى. انتسابه لليسار الماركسي قد أكسبه أداة تحليل متينة وعميقة ، ولكن انفتاحه على مدارس وتيارات الفكر الإنساني أكسبه مقدرة فائقة على تقديم زاد معرفي وعلمي متفتح وعقلاني متجدد.

المجتهد المحتفي بالحريات والحقوق ، واللصيق بالمجتمع المدني ، وبالنشاط الإنساني ، وبالتيارات المدنية والسياسية جعل منه واحدًا من أهم المدافعين عن الحريات والحقوق. انتمى باكرًا لدعوة الاشتراكية واليسار الماركسي ، وهو باحث مهم بمركز الدراسات والبحوث اليمني ، ومن أساتذة جامعة صنعاء المرموقين ، وفي قيادة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنية لأكثر من دورة.

قدم الباحث العديد من الأبحاث والدراسات في مجالات مختلفة تتسم بالجدية والتأصيل والنكهة الديمقراطية والبعد الإنساني المفتوح.

التقينا في دمشق لأكثر من عامين مطلع الثمانينات ، وكان من أكثر الطلاب نشاطًا في الحركة الطلابية والمجالات السياسية والفكرية.

له العديد من الأعمال والمؤلفات والبحوث والدراسات والمساهمات في الندوات يمنيًا وعربيًا ودوليًا.

ومثل هذا الباحث المفكر المجدد والمجتهد جدير بالتكريم والاحتفاء والتبجيل.

الدكتور عبدالكريم قاسم سعيد في حوار موسع لـ « سؤال الثقافية »:

التصـــــوف هو الوجه المتسامح للإسلام مقابل تيارات الأدلجة والعنـــــف

- ازدهار التصوف في اليمن تاريخيًا جاء في لحظة تراجع في بقية العالم الإسلامي ما يكشف خصوصية التجربة اليمنية وتفردها الثقافي والمعرفي
- العلاقة بين الدين والدولة في الفكر الإسلامي ما تزال إشكالية مفتوحة وتحتاج إلى مقاربات جديدة تتجاوز النماذج الجاهزة
- أعمل حاليًا على تجهيز كتابين حول الإسلاميين الغرب والهجرات الجهادية الى اليمن، وثالث حول إشكالية حقوق الإنسان بين المطلق والتاريخي

في هذا الحوار، يُقدّم الدكتور عبدالكريم قاسم سعيد، أستاذ الفلسفة بجامعة صنعاء، وأمين عام اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بالإنابة، والباحث في قضايا الفكر الإسلامي وحقوق الإنسان والحريات، قراءة عميقة لتقاطعات الفكر والسياسة في اليمن والعالم العربي، مستندا إلى خبرة أكاديمية وبحثية تمتد لعقود في الفلسفة والتصوف والفكر الإسلامي.

ينشغل الرجل بأسئلة كبرى تتعلق ببناء السلام، وأزمة التعددية والديمقراطية، وتحولات الخطاب السياسي، كاشفا في الوقت ذاته عن مشاريعه الفكرية الجديدة التي تتناول الإسلام السياسي، وهجرة الجماعات الجهادية، وإشكالية حقوق الإنسان بين المطلق والتاريخي.

الحوار يفتح ملفات شائكة، من إخفاق الأحزاب إلى مخاطر الخطاب المعادي للديمقراطية، ويستعيد نماذج فكرية من التراث مثل إخوان الصفاء وابن علوان، بوصفها إمكانات معرفية لمواجهة أزمات الحاضر، في زمن تتراجع فيه القيم الإنسانية أمام صعود العنف والتشظي، بالإضافة الى ايضاح موقف وموقع اتحاد الأدباء من الحرب المستمرة والاستقطابات الحادة.. ❖

حوار: محمد صالح الجرادي

* بداية، نرحب بك، وسعداء في مجلة سلاف بالاحتفاء بك، سيرة وتجربة في الحياة الثقافية والفكرية وفي العمل الأكاديمي أيضا، ونود أن نعرف في مفتتح هذا الحوار ما الذي يشغل حيز الكتابة لديك حاليا، من جملة اهتماماتك الفكرية والثقافية أو ما يرتبط باهتماماتك بقضايا المجتمع المدني؟

** مرحبا بك وبفريق مجلة سلاف ، وأشكر لكم من ناحيتي هذه الشكل من التقدير والاحتفاء الذي تقدمونه للرموز الأدبية والثقافية والفكرية ، وآمل أن يستمر ليشمل الكثيرين منهم أحياء أو راحلين.

بطبيعة الحال ، الحرب المستمرة في بلادنا منذ عشر سنوات أثرت في كل تفاصيل حياتنا ، وألقت بظلها على جل اهتماماتنا السياسية والفكرية والثقافية. وبالتالي أخذت موضوعات بناء السلام وحقوق الإنسان والعدالة والعمل الإنساني ، وقضايا المجتمع المدني الحيز الأكبر في كتاباتي وانشغالاتي البحثية والأكاديمية والمدنية.

ومن خلال مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الأكاديمية ، ساهمت في إنجاز العديد من الدراسات والأبحاث الأكاديمية والأوراق العلمية. على سبيل المثال في مجال النزاعات وبناء السلام ، قمت بإعداد كتابين أكاديميين هما: استراتيجيات بناء السلام ، ومقدمة في دراسات النزاع وبناء السلام. بالإضافة إلى دراسة معمقة حول (تأثير الحرب على مقومات السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي في اليمن) وتناولت دور الفاعلين الاجتماعيين في بناء السلام في اليمن ، في ثلاث دراسات: الأولى بحث أكاديمي مشترك بعنوان (دور المجتمع المدني في بناء السلام في اليمن) وبحث ميداني حول (دور الشباب والمنظمات الشبابية في بناء السلام) وأوراق بحثية حول دور القطاع الخاص والأعراف القبلية في الحفاظ على السلم والتماسك الاجتماعي.

ومن أهم أعمالي في مجال حقوق الإنسان: (دراسة سياق حقوق الإنسان في اليمن) ، قدمت فيها إطارا تحليليا لحقوق الإنسان في السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والقانونية. ودراسة بعنوان (التحول/الانتقال الديمقراطي في اليمن- التحديات والمعالجات) وهي دراسة استشرافية لعملية الانتقال السلمي الديمقراطي في مرحلة بناء السلام بعد الحرب ، استنادا إلى تقييم التجارب الانتقالية السابقة ، حيث شهدت اليمن فرصتين ضائعتين للانتقال/ التحول الديمقراطي السلمي ، الأولى المرحلة الانتقالية بعد تحقيق الوحدة ، من النظام الاستبدادي الشمولي إلى الديمقراطية التعددية ، والمرحلة الانتقالية بعد أحداث 2011. ودراسة أخرى ذات صلة بآليات التحول السلمي الديمقراطي ، تناولت (الممارسات المحلية للمساءلة الاجتماعية في اليمن).

وفي مجال العمل الإنساني دراستين: الأولى (تقييم واقع المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص اليمني ودوره في العمل الإنساني) والثانية (توطين العمل الإنساني في اليمن) ، وهذه الأخيرة تضع خط أساس لقياس مدى التزام المانحين والمنظمات الدولية بإطار معايير توطين الاستجابة الإنسانية: التمويل ، الشراكة الاستراتيجية ، المشاركة ، القيادة المحلية/ الوطنية للعمل الإنساني ، التنسيق والتكامل.

في الوقت الحالي أنا أعكف على تجهيز الكتب المؤجلة ، التي وضعت مسوداتها الأولى في فترات سابقة ، وهي بحاجة إلى مزيد من الإثراء والتنقيح. ، الأول يبحث ويناقش طبيعة العلاقة بين الغرب وجماعات الإسلام السياسي في الوطن العربي ، مع التركيز على الحالة اليمنية ، وأزعم أن هذا العمل يكشف لأول مرة ، وثائق ومعلومات جديدة تكشف جوانب غير معروفة ومطروقة من قبل . بينما يبحث ويتتبع العمل الثاني هجرة الجماعات الجهادية وموجات انتقالها إلى اليمن ، وكيف تحولت البلاد إلى ساحة لنشاط هذه التنظيمات. وكتاب ثالث يناقش مشكلة حقوق الإنسان بين المتعالي والتاريخي ، بالتطبيق على نموذج الأنسنة في الفكر الإسلامي.

*حدثنا عن علاقتك بالكتابة وتشكلاتها كمشروع فكري في مسيرتك؟

** علاقتي بالكتابة وتشكلاتها في مشروعي الفكري ، محكومة بتخصصي الأكاديمي في مجال الفلسفة وانشغالاتها الواسعة ، وبتخصصي الدقيق في التصوف والفلسفة الإسلامية ، مع التركيز أكثر على إسهامات اليمن في الفلسفة والفكر العربي الإسلامي. حيث تفردت اليمن في تاريخها الإسلامي بأنها كانت موئلا لكل التيارات الفكرية الإسلامية ، ومكانا آمنا لممارسة نشاطها ، وبخاصة تلك التيارات والحركات التي كان نشاطها محظورا في عواصم الخلافة. يضاف إلى هذا ميزة أخرى وهي أن التيارات الوافدة تعرضت لتحولات بنيوية في صميم آرائها ومعتقداتها ، وشكلت إضافات نوعية في الفكر العربي الإسلامي ، في مجالات الفلسفة والتصوف وعلم الكلام ، والعلوم الأخرى. في إسهامات اليمن في رفد الفلسفة والفكر العربي الإسلامي ، يعد أبو محمد الحسن الهمداني أول فيلسوف عربي ظهر قبل الكندي ، وكتابه (صفة جزيرة العرب) يعده المستشرقون من أوائل الأدبيات الجغرافية في العالم ، إن لم يكن الأول في مجاله.

واحتفظ زيدية اليمن بآخر ما تبقى من تراث المعتزلة (رسائل العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار) ، وتعتبر (المطرفية) في اليمن امتداد متطورا لفكر المعتزلة. وترد أول إشارة لرسائل إخوان الصفا في الأدبيات الإسماعيلية في كتاب (كنز الولد) ، للفيلسوف إبراهيم الحامدي ، من إسماعيلية اليمن. ويرجع الفضل في طباعة الرسائل لإسماعيلية اليمن المهاجرين إلى الهند.

وفي حين كان التصوف يشهد جمودا وتراجعا إبان القرن الثامن الهجري في الأقطار الإسلامية الأخرى ، كان التصوف في اليمن في قمة الازدهار في فترة الدولة الرسولية ، خصوصا التصوف الفلسفي ، مثلا من تلاميذ مدرسة الصوفي الشهير إسماعيل الجبرتي بمدينة زبيد ، تخرج فيلسوف الصوفية المعروف عالميا ، عبد الكريم الجيلي صاحب كتاب (الإنسان الكامل).

وسجل علماء اليمن حضورا رائدا واسبقية في العلوم الإسلامية الأخرى ، في التاريخ ، واللغة ، والتفسير والفقه. وقد وفد إلى اليمن أشهر أئمة المذاهب ، مثل الإمام أحمد ابن حنبل ، والإمام الشافعي وهو القائل: "لابد من صنعاء وإن طال السفر".

* ماذا عن الفكر؟

** في الجانب الفكري ، تتناول كتاباتي اتجاهين في الفكر العربي الإسلامي ، الأول يمثل الانفتاح والتسامح ، كما يتجلى في التصوف ، بالإضافة إلى فكرة الأنسنة والاعتراف بالتنوع وحرية المعتقد ، كما تتبدى عند إخوان الصفاء والفلاسفة كالفارابي وابن سيناء والتوحيد. وهذا الاتجاه يسهم في بناء نموذج معرفي منفتح ومتسامح ، يرفد الأسس الفلسفية لحقوق الإنسان. وفي هذا السياق كتبت عدد الدراسات عن حقوق الإنسان ، ذكرت بعضها سابقا ، ويدخل في هذا الموضوع كتاب (المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي).

أما الاتجاه الثاني ، وهو يجنح إلى الأدلجة المتطرفة والعنف ، ولهذا تناولت كتاباتي حركات الإسلام السياسي. وكثيرا ما أحرص على أن أكتب في موضوعات لم يُكتب عنها من قبل ، أو لم تُعالج معالجة علمية جادة. إذا لم أقدّم إضافة حقيقية من خلال ما أكتبه ، أشعر أنني أضيّع وقتي ووقت القارىء. وعموما ، الكتابة بالنسبة إليّ فعل إنتاج معرفة ، وإسهام في النقاش العام بأفكار وآراء جديدة. وحتى إذا كان الموضوع مطروقا ، أحاول تناوله بطريقة مختلفة ، وبأسلوب تحليلي جديد ، يستند إلى تفكير نقدي.

حصار صنعاء.. مغامرة مبكرة

*ماذا لو عدنا معك إلى البدايات، وأبرز أعمالك المبكرة على طريق مشروعك الكتابي الفكري الذي بدأته في النصف الثاني من عقد الثمانينيات من القرن الماضي؟

** كان العمل حول (حصار السبعين يوما) ، ولم يكن قد جرى عمليا الاقتراب بعمق من هذا الموضوع من قبل الباحثين والكُتّاب. وبالمصادفة أقيمت ، حول الموضوع ، ندوة موسعة في مركز الدراسات والبحوث اليمني ، وتزامن انعقادها مع بداية عملي في المركز بين عامي 1988 و1989. هذا حفزني إلى إعداد كتاب توثيقي في جزءين بعنوان (حصار صنعاء شهادات للتاريخ) يوثق ويحلل مختلف الآراء والأفكار التي قدمتها القوى والأطراف المشاركة في الندوة المشار إليها وندوات أخرى. بالإضافة إلى وثائق وأجراء حوارات ومقابلات مع أبرز الشخصيات السياسية المشاركة في أحداث حصار السبعين. يعد الكتاب بجزئيه ، أول عمل توثيقي موسع حول أحد أهم الأحداث بعد الثورة؛ بكونه يتناول واحدا من أكثر الموضوعات حساسية في التاريخ السياسي اليمني. إذ كانت الكتابة فيه ، إلى ذلك الحين ، أقرب إلى مغامرة محفوفة بالعواقب.

* لم تكن هناك كتابات سابقة في هذا السياق؟

** كتابات صحفية محدودة نشرت في الشطر الجنوبي ، أهمها كتيب صغير بعنوان (حصار صنعاء : ريبورتاج صحفي) ، للأستاذ الراحل عمر الجاوي ، كتبه كشاهد عيان ، يحمل وجهة نظر يسارية ، حيث كان من قيادات (المقاومة الشعبية) التي أسهمت في فك حصار السبعين ، لكن الجهد التوثيقي الأكاديمي كان غائبا تقريبا.

*نلاحظ تأكيدك على أن الكتابة عن حصار صنعاء كانت محظورة وأقرب إلى مغامرة.. لماذا هذا الحظر؟

** كانت محظورة ، لأن الذي قاد الانتصار في تلك الأحداث هو التيار الجمهوري الراديكالي ممثلًا بالقوى والأحزاب السياسية الجديدة ، مما مكنها من موقع المنافس للقوى التقليدية في التطلع إلى الحكم. وبالتالي تعرضت القوى الجديدة إلى التصفية ، تحت شعار محاربة الحزبية منذ أحداث مارس 1968 في الحديدة ، ثم أحداث أغسطس 1969 في صنعاء. الى جانب ما نتج عن تلك المرحلة من تصفيات واعتقالات وتشريد طالت قوى وطنية مختلفة ، ولذلك ظل الحديث عن حصار صنعاء موضوعا حساسا وخطرا.

* لكن ما كان يمكنك أن تصدر كتابك، وما كان لندوة أن تقام حول موضوع الحصار لولا ما نفترضه من تراجع الى حدما، حصل ربما في موقف المنع أو الحظر؟

** نعم ، كانت هناك بداية انفراجة للحديث عن حصار صنعاء ، الأمر الذي دفع إلى إقامة ندوة في مركز الدراسات. لكن حتى بعد إقامة الندوة ظلت بعض المخاوف ، وكأن الجميع يخشى الاستمرار في فتح الملف.

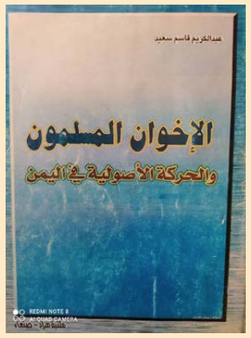

- بدأت مشروعي الكتابي من مناطق شائكة حين اقتربت من حصار صنعاء في وقت كان الحديث عنه مغامرة محفوفة بالمخاطر السياسية

"

قمت بإعداد الجزء الأول من الكتاب بتكليف شفوي من رئيس المركز الدكتور عبد العزيز المقالح ، بناء على طلبي للقيام بالمهمة ، استلمت اشرطة تسجيل الندوة من قسم التوثيق في المركز ، فوجدت أنها ناقصة ، هناك من اخفى بعض الأشرطة ، وهي التي تحتوي على شهادات شخصيات مهمة لعبت دورا محوريا في تلك المرحلة بعضهم كانوا وزراء مثل الدكتور حسن مكي وزير الخارجية ، والدكتور محمد سعيد العطار وزير الاقتصاد ، وبعضهم من قادة المقاومة الشعبية مثل الأستاذ عبده علي عثمان.

من هذه الأسماء ، نلاحظ ، تم إخفاء الأشرطة التي تحمل وجهة نظر تيار معين ، أو شخصيات غير مرضي عنها من قبل القوى التقليدية ، طرحت الأمر مع رئيس المركز ليكون لديه علم ، وقمت بإجراء مقابلات مع الأشخاص المستبعدين ، عملت بصمت ، ولما انتهيت من إعداد الكتاب ، تفاجأ رئيس المركز ، كان يعتقد أنني لن اكمل المهمة ، وبعد مشاورات طرح مقترح أن يتضمن الكتاب مقدمة باسم رئيس الجمهورية ، تفاديا لأي ردود فعل ، تم إرسال المقدمة المقترحة مع مسودة الكتاب إلى مكتب الرئاسة ، وبسرعة جاءت الموافقة.

*هل واجهت أي نوع من الضغط أثناء النشر؟

** كلفت بالسفر إلى دمشق للإشراف على طباعة الكتاب ، وبرغم موافقة رئاسة الجمهورية ، كانت تصلني اتصالات تحذيرية ، مفادها أنني سأتحمل المسؤولية إذا حدثت أية مشكلة ، وبعد صدور الجزء الأول ، جاء بعض المسؤولين يعترضون على نشر بعض الشهادات والآراء. وحينها أوضحت لهم أن من حق كل شخص أن يعبّر عن رأيه ، وأن بإمكان المعترضين تقديم ردودهم في الجزء الثاني.

عملي في هذا الكتاب أرشدني إلى أهمية توثيق شهادات الفاعلين السياسيين ، باعتبارها المصادر الأولية للمؤرخين والمهتمين بتاريخ اليمن المعاصر ، ولي في هذا المجال ، وساهمت في إعداد وتحرير عدد من المذكرات والسير لشخصيات سياسية واجتماعية بارزة ، ومن أهم الأعمال في هذا الجانب ، إعداد مذكرات الشيخ سنان أبو لحوم ، في أربع مجلدات ، وتتميز بأنها أكثرها جرأة ، ووفرة في الوثائق المعلومات ، من أي مذكرات أخرى.

من الحصار إلى حركات الإسلام السياسي

*من حصار صنعاء إلى كتابك "إخوان الصفا"، وكذلك كتاب " الإخوان المسلمون والحركات الأصولية في اليمن" وغيرها من أعمالك. هل كان ذلك امتدادا لمنهجك نفسه مع الكتابة، كما تقول، في موضوعات غير مطروقة، أو إعادة فتح ملفات أغلقت سياسيا؟

** بالتأكيد ، كتاب (الإخوان المسلمين والحركة الأصولية في اليمن) ، يعتبر أول إصدار يتناول تاريخ تنظيم الإخوان في اليمن ، وتكمن أهميته وجدته أيضا على مستوى (حركات الإسلام السياسي) المعاصرة في العالم العربي عموما ، باعتبار أن اليمن شهدت أول محاولة انقلابية في فبراير عام 1948 ، شارك في التخطيط لها المرشد العام حسن البنا. وكذلك كتاب (قضايا واشكاليات التصوف عند أحمد بن علون) ، يضم أول دراسة أكاديمية حول فلسفة التصوف عند ابن علوان.

ومن الدراسات والأبحاث المنشورة في المجلات العلمية ، مثلا دراسة (الفلسفة الطبيعية عند الهمداني) ، كشفت جانبا مهما في أعمال أبو محمد الحسن الهمداني لم يتطرق إليه البحث من قبل. .أما بالنسبة لكتبي الأخرى التي تناولت موضوعات متداولة في البحوث والدراسات ، مثل كتاب (إخوان الصفا وفلسفتهم في الألوهية والوجود) وكتاب (المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي) ، في الكتاب الأول ، قدمت مقترحات وتأويلات مغايرة للسائد والمكرر في الكتابات حول جماعة إخوان الصفا ، سواء فيما يتعلق بطبيعتها ، والتحقيق في مكانها وزمانها وأعضائها واتجاهاتها الفلسفية والسياسية ، أو فيما يتعلق بأطروحاتها الميتافيزيقية. وتشتمل اجتهاداتي على جوانب تفصيلية دقيقة لا يتسع المجال لشرحها. .وفي كتاب (المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي ، استخدمت مقاربة تحليلية مختلفة نوعا ما للعلاقة بين الدين والدولة ، من شأن هذه المقاربة المساهمة في حل الاشتباك بين الانتماء السياسي للدولة والولاء الديني في الفكر الإسلامي ، كما استخدمت مقاربة نقدية لتنميط فكرة الدولة على شاكلة النمط الغربي للدولة القومية الحديثة ، والعلمانية في نسختها الغربية.

*كيف تبلورت فكرة كتاب الإخوان المسلمين والحركة الأصولية في اليمن؟

** كان المشروع عبارة عن دراسة في الكتاب الدوري السنوي (قضايا فكرية) الذي كان يصدر في القاهرة ، ضمن عدد خاص حول الجماعات الأصولية ، بطلب من رئيس التحرير الأستاذ محمود أمين العالم. ثم عملت على تطويرها وإنجازها في كتاب مستقل.

صدر الكتاب في طبعتين الأولى عام 1994 ، عن مكتبة مدبولي ، وكنت حينها أعد رسالة الماجستير في جامعة عين شمس ، وصدرت الطبعة الثانية في عام 1997 ، وهي طبعة مزيدة ومنقحة ، ألغيت فيها بعض التنظيمات التي شملها الكتاب في طبعته الأولى بعد أن ثبت توقف نشاطها ، واختفت عن المشهد.

* برأيك لماذا اختفت؟

** أعتقد أن ذلك كان مرتبطا بضعف البنية التنظيمية ، وغياب الامتداد الاجتماعي ، إضافة إلى السماح بالتعددية و التحولات السياسية التي أعادت تشكيل الخريطة الحزبية بعد عام 1990.

*أشرت في بداية اللقاء الى اعتزامك إصدار عملين جديدين، أحدهما عن هجرة الجماعات الإسلامية إلى اليمن. ما الذي يمكن أن يميز هذا العمل عن كتابك السابق عن "الإخوان المسلمين والحركات الأصولية"؟

**كما أسلفت ، فإن كتاب الإخوان المسلمون والحركة الأصولية ، كان جهدا محدودا ، بينما العمل الجديد يبحث بشكل معمق ، في موضوعه ، ويقدم وثائق كاشفة عن أبعاد وزاويا لم تكن متاحة في زمن صدور كتابي السابق.

معاداة الديمقراطية !!

*اسمح لي يا دكتور، ربما يبدو السؤال هنا مناسبا، في سياق الإشارة إلى موضوع التعددية السياسية والحزبية والتجربة الديمقراطية التي كانت أهم صنائع الوحدة، عن دوافع ظهور الخطاب المعادي للتعددية السياسية، والتذمر من الأحزاب والعمل السياسي، خلال السنوات العشر الأخيرة. الخطاب يحمّل العمل السياسي والديمقراطي مسؤولية كل ما لحق وبلحق بالبلاد، إلى الآن، من تدمير وتشظي وحروب ودمار.. ما تعليقك؟

** شخصيا ، أرى أن المشهد الراهن ، يتداخل فيه موقفان يصعب الفصل بينهما. هناك موقف ناتج عن الإحباط العام ، خاصة لدى الشباب ، بعد إخفاقات المرحلة التي أعقبت انتفاضة 11 فبراير. كثيرون شعروا بأن الأحزاب لم ترتقِ إلى مستوى التحديات ، وأنها اختزلت العمل السياسي في قيادات محدودة ، بينما تُركت القواعد مهمشة. في المقابل ، هناك أيضا من يستثمر هذا الإحباط لتكريس خطاب معاد للأحزاب وللتعددية السياسية برمتها ، ويصوّر الأحزاب باعتبارها أصل المأساة.

*من وجهة نظرك، هل يبدو الخطاب بريئا؟

** لا ،ليس بريئا في معظم ما يطرحه؛ فهو في المحصلة ، قد يُستخدم تمهيدا لإعادة إنتاج صيغ سياسية مغلقة ، أو لتعزيز حضور قوى لا تؤمن بالديمقراطية ولا بحقوق الإنسان ولا بحرية التعبير. ولعل خطورته تكمن في أن يتحول النقد المشروع للأداء الحزبي إلى ذريعة لمحاصرة النشاط السياسي والحزبي. المشكلة ليست في التعددية بوصفها مبدأ ، بل في كيفية ممارستها ، وفي بنية الأحزاب ، وفي قدرتها على تجديد خطابها وأدواتها.

إخوان الصفاء..

* بالعودة إلى كتابك عن إخوان الصفا، وهو أطروحتك لنيل الدكتوراه كما أظن، ما المقاربة الفارقة التي حاولت تقديمها فيه؟

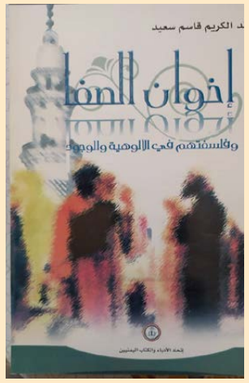

إخوان الصفاء قدّموا نموذجًا مختلفًا لمواجهة الانحلال السياسي والثقافي عبر مشروع معرفي شامل يراهن على العقل لا على الصراع

"

**** في الحقيقة ، كتبتُ عن إخوان الصفا لاعتبارين رئيسيين: الأول يتصل بسياق الفكر في اليمن؛ إذ تنظر إليهم "الإسماعيلية" بوصفهم جزءا من مرجعيتها الفكرية ، وهذا ما أثار اهتمامي بدراسة حضورهم في البنية الفكرية المحلية وعلاقتهم بتاريخ الفكر الإسلامي عموما. أما الاعتبار الثاني فهو أن إخوان الصفا يمثلون ظاهرة استثنائية في تاريخ الفكر العربي والإنساني. ففي الوقت الذي كانت فيه الدولة الإسلامية تشهد حالة من التفكك السياسي في القرن الرابع الهجري ، كان المجال الثقافي يشهد ازدهارا لافتا. وهذا يعاكس النمط الغالب في التاريخ البشري ، حيث يقود الانحطاط السياسي عادة إلى انحطاط ثقافي موازٍ.**

***كيف تفسّر هذا التناقض بين الانحلال السياسي والازدهار الثقافي؟**

**** في العالم الإسلامي آنذاك ، تشكّلت طبقة من العلماء والمثقفين مثّلت سلطة معرفية موازية للسلطة السياسية. كانت هناك نخب فكرية من انتماءات قومية ومذهبية متعددة ، شعرت بانتمائها إلى حضارة عربية إسلامية آخذة في التفكك السياسي ، لكنها لم ترغب في العودة إلى مكوناتها السابقة أو الانكفاء على هويات جزئية. هؤلاء العلماء والمثقفون ، نظروا إلى المستقبل ، لا إلى الماضي ، فصاغوا مشروعا معرفيا يسعى إلى إعادة بناء الدولة والأمة على أساس التنوع والتعدد والاعتراف بحق الاختلاف وحرية المعتقد.**

*** (مقاطعا) أسأل هنا عن طبيعة مشروع إخوان الصفا؟**

**** مشروعهم تجسد في مجموعة رسائل بلغ عددها نحو 52 رسالة ، شكّلت منهجا تعليميا متكاملا يهدف إلى تبسيط العلوم ونشرها بين الناس. لم تكن الرسائل مجرد تأملات فلسفية ، بل محاولة لبناء رؤية كونية تعتبر الدولة إطارا أخلاقيًا وسياسيا جامعا للبشرية. كما سعى إخوان الصفا إلى صياغة أيديولوجيا توفيقية تجمع بين المذاهب والأديان والمعتقدات المختلفة. ويكفي أن نعرف دعوتهم إلى نبذ التعصب ، وإلى أن يبدأ الإنسان بمراجعة معتقده قبل أن ينتقد معتقدات الآخرين. أعتقد أن هذا الموقف النقدي المبكر يُعدّ من الأفكار المتقدمة في تاريخ الفكر الإنساني ، لأنه يؤسس لوعي يقوم على الحوار والمراجعة الذاتية.**

***قياسا بالراهن، هل ترى أنه من الأهمية مناسبة هذه التجربة للدراسة وتكريس الوعي بمفرداتها؟**

**** نعم ،هذه التجربة ، كما أشرت في إجابة سابقة ، تكشف عن مسار مهم في تاريخ الفكر الإسلامي ،مسار يقوم على الانفتاح والتوفيق بين العقل والنقل ، وبين الدين والفلسفة ، وبين المذاهب المختلفة. وهي أيضا دليل على أن تاريخ الفكر الإسلامي لم يكن مسارا واحدا مغلقا ، بل احتوى تيارات عقلانية وإنسانية قدّمت إسهامات نوعية للثقافة العالمية. يجب أن نعلم أن إخوان الصفا جاءت في لحظة سياسية مضطربة ، وقدّمت نموذجا لمقاومة الانحلال عبر المعرفة ، لا عبر العنف أو الانكفاء. وهذا في تقديري ، ما يجعل دراستهم اليوم ذات أهمية خاصة.**

ابن علوان.. المفكر والمثقف

*** اذا ما انتقلنا إلى كتابك عن العارف الشيخ "أحمد بن علوان". نريد أن نعرف دوافعك العلمية والبحثية للكتابة عن هذه الشخصية، ثم ما الفكرة التي تعتقد أنك حاولت المقاربة بشأنها ولم تتطرق إليها مجهودات سبقتك في هذا الاتجاه؟**

**** أولا لا بد أن أؤكد في سياق تجربتي مع النشاط البحثي والعلمي ، أن كتابي عن أحمد بن علوان ، جاء امتدادا لهاجسي الدائم بالكتابة في قضايا جديدة لم تُدرس دراسة علمية معمقة من قبل. وعمليا ، فقد كان هذا العمل أول دراسة أكاديمية متكاملة تتناول شخصيته من منظور تحليلي منهجي ، لا من زاوية المناقب والسرد الشعبي.**

ومن جهة ثانية ، فإن اهتمامي بالفكر العربي الإسلامي ، وباليمن على وجه الخصوص ، جعلني ألتفت إلى هذه الشخصية التي تمثل علامة فارقة في التاريخ الروحي والثقافي لليمن. أحمد بن علوان ليس مجرد اسم في سجل المتصوفة ، بل هو شخصية جامعة لطرق واتجاهات التصوف في اليمن ، وله حضور واسع في الذاكرة الشعبية ، حيث تحوّل إلى رمز أسطوري لدى العامة ، بينما هو في حقيقته عالم ومفكر كبير. والأهم من ذلك أنني سعيت إلى تقديمه بوصفه نموذجا للمثقف في أزهى عصور اليمن ، أي في عصر الدولة الرسولية ، وهي مرحلة عُرفت بازدهارها الفكري والتعليمي ، وبالتسامح وتعدد المدارس وانتعاش

الحركة العلمية ، إلى جانب الاستقرار السياسي النسبي.

*** لكن ابن علوان غاب عن المذاهب الفقهية الرسمية، رغم حضوره الشعبي الغزير. كيف تفسر ذلك؟**

**** في الواقع ، هناك فصل منهجي تاريخي وقع بين التصوف والفقه منذ مرحلة مبكرة ، حيث اعتُبر التصوف "علم الباطن" في مقابل الفقه بوصفه "علم الظاهر". هذا الفصل المنهجي أنتج نوعًا من التوتر بين المدرستين ، وهو ما تناوله عدد من الباحثين في دراساتهم عن الصراع المنهجي بين الفقهاء والصوفية.**

***هذا يعني أن "ابن علوان" خارج السياق الفقهي؟**

**** لا. لم يكن خارج السياق الفقهي بقدر ما كان يمثل منهجا مختلفا. التصوف عنده تجربة ذوقية مباشرة ، لا تقوم على التمذهب التقليدي. لذلك لم يُصنف ضمن مذهب فقهي محدد.**

***(مقاطعا)كان واضحا في دراستك لشخصيته اتكائك على حضوره القوي...؟**

**** ليس فقط لأنه الأشهر والأكثر تداولا في الوجدان اليمني ، لكنني في الوقت ذاته وجدت فيه نموذجا مختلفا للتصوف ، وأبرزت تمرده داخل الحقل الصوفي نفسه. فهو لم يلتزم بالطرائق الاتباعية التقليدية في العلاقة بين الشيخ والمريد ، بل تجاوزها ، وانتقد مظاهر الدروشة التي بدأت تتسلل إلى التصوف ، خاصة في عصور الانحطاط. وإذا ما فهمنا أن التصوف في أصله إنتاج فكري وتجربة روحية عميقة ، فإنه تحوّل لاحقا — لدى بعض التيارات — إلى طقوس فولكلورية. وابن علوان كان ناقدا لهذا الانحراف. كما انتقد جميع نماذج عصر ، الحكام ، الفقهاء القضاة.**

*** يؤخذ على التصوف غياب الموقف من السلطة أو من الواقع السياسي، ما هو موقف ابن علوان؟**

**** من غير الصواب النظرة إلى التصوف كحركة سلبية أو انعزالية؛ ينبغي معرفة أن التصوف أضاف إلى الفكر الإنساني إسهامات عميقة على مستوى اللغة والرؤية والاحتجاج الأخلاقي أيضا.**

لقد قدم أحمد بن علوان نموذجا مختلفا للمثقف. كان والده كاتب ديوان السلطان الرسولي ، لكنه رفض أن يرث المنصب ، وفضّل الاستقلال. ولم يقبل أن يكون جزءا من البلاط. التصوف عنده كان تحررا من كل سلطة: سلطة السياسة ، وسلطة الشهوة ، وسلطة الطمع والخوف. في أشعاره عبارات صريحة في مواجهة الظلم ، وتذكير للحاكم بمعاناة الرعية. ورغم أن عصر الدولة الرسولية كان من أكثر العصور عدلا وازدهارا في تاريخ اليمن ، فإن ابن علوان ظل يطالب بمزيد من العدل والمساواة ، وكان مدافعا صريحا عن الفقراء. وهذا أحد أسباب شهرته الواسعة بين العامة.

*** لم تكن شهرته بسبب طرائقه الصوفية فقط؟**

**** إلى حد كبير ، نعم. لكن ما قدمه من رؤى صوفية أكسبه مكانة لدى النخبة من العلماء والفقهاء ، أما شهرته الشعبية الواسعة**

فكانت كما أسلفتُ ، نتيجة دفاعه عن الفقراء ومواقفه الجريئة تجاه الحاكم. أشعاره حملت نقدًا مباشرا للظلم ، وكشفت معاناة الناس ، وهذا ما جعل صورته تتجاوز الإطار النخبوي إلى الوجدان العام.

***هناك من يقول إنه كان يمكن لتجربة ابن علوان أن تنتج مشروعا أخلاقيا معاصرا لو قُرئت خارج إطار المناقب؟**

**** أرى أن التصوف ذاته مشروع أخلاقي ، بل يمكن اعتباره علم الأخلاق في الإسلام. وأعتقد أن أحمد بن علوان قدّم بالفعل مشروعا أخلاقيا قائما على تحرير الإنسان من الطمع والخوف ، وعلى ترسيخ قيم العدل والدفاع عن المظلوم.**

لكن قراءته على المستوى الشعبي تفصح عن تحوّله إلى وليّ صاحب كرامات تُطلب منه الحظوظ ودفع البلاء؟!

**** صحيح. وهنا كان الانقطاع عن الجهد الفكري العميق الذي شكّل جوهر تجربته الصوفية. لذلك كان هدفي في الكتاب إعادة الاعتبار لابن علوان بوصفه مفكرا ومثقفا ، لا مجرد شخصية منقبية.**

الفلسفة والتحولات الهائلة

*** أنت أستاذ فلسفة في جامعة صنعاء. كيف تقيّم وضع العمل الأكاديمي في اليمن اليوم في ظل ما يجري راهنا؟**

**** المؤكد أن العمل الأكاديمي في اليمن يمر بانتكاسة حادة ، شأنه**

ملف العدد
عبدالكريم قاسم سعيد
المثقف الموقف

"الخطاب المعادي للديمقراطية ليس بريئًا، بل يتغذى على الإحباط العام، وقد يتحول إلى مدخل خطير لإعادة إنتاج أنماط سلطوية مغلقة

ابن علوان لم يصنع مكانته من التصوف فقط، بل من انحيازه الأخلاقي للفقراء ومواجهته الجريئة للسلطة

شأن منظومة التعليم بأكملها في مختلف المناطق. ولأن الحروب لا تُنتج سوى الدمار ، فإن أول ما يُدمَّر فيها هو الإنسان ومقومات وجوده ، وفي مقدمتها التعليم..ما حدث ويحدث ليس مقتصرا على تراجع إداري أو مالي ، بل مسّ البنية المعرفية نفسها: هجرة الكفاءات ، تراجع البحث العلمي ، ضعف البيئة الجامعية. هناك آلاف الأسر اليمنية تلمس هذا التراجع مباشرة عبر أبنائها في الجامعات والمعاهد.

*أين تقف الفلسفة اليوم بوصفها أحد العلوم الإنسانية؟

** في الحقيقة ، أرى أن الفلسفة استعادت حضورها عالميا. حتى في بعض البلدان العربية والإسلامية التي كانت ترفض أو تُضيّق على تدريسها ، ومن خلال متابعتي أجد عودة للاهتمام بها ، وهي اليوم مطلوبة في مختلف التخصصات ، لأنها تؤسس لمنهجية البحث ، وتغذّي القدرة على التحليل والتفكير النقدي. اليوم ، هناك كثير من الأنظمة التعليمية المتقدمة تُدرَّس الفلسفة كمادة أساسية ، بوصفها ركيزة في تكوين العقل.

صحيح ، أن العقود الماضية شهدت هيمنة للبحث التجريبي في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، لكن هناك عودة واضحة للاعتبار النظري وللتفكير الفلسفي ، إدراكا بأن الإنسان ليس مجرد موضوع قياس في معمل ، بل كائن له وعي وخيال ومشاعر ورغبات وقيم.

*لكن السؤال الأكثر شيوعا، في ظل التحولات التكنولوجية والرقمية، هو عن جدوى دراسة العلوم الإنسانية عموما، ومن بينها الفلسفة، مقارنة بتخصصات سوق العمل؟

** الوعي العام ليس دائما معيارا للحكم على القضايا المعرفية. يمكن تعبئة الجماهير خلف أفكار سطحية ، لكن النقاش الحقيقي حول موقع العلوم الإنسانية ينبغي أن يجري على مستوى النخبة الفكرية وصنّاع القرار. المشكلة ليست في تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ولكن في سوق العمل في بلداننا العربية ، حيث لا توجد تنمية بشرية حقيقية ، فالتنمية الحقيقية تستدعي المزيد من خريجي الجامعات في هذه التخصصات.

صحيح ، التقدم التقني هائل بلا شك ، لكن يقابله تراجع مقلق في الاهتمام بالإنسان ذاته. كثير من الابتكارات وُلدت في سياقات عسكرية أو استخباراتية ، لا في سياق خدمة الإنسان. ولهذا نلاحظ مفارقة لافتة: قفزات نوعية في تقنيات المعلومات ، مقابل اختلالات عميقة في مجالات إنسانية أساسية. هناك شعور عالمي بتراجع الخطاب الحقوقي والإنساني ، وتآكل دور مؤسسات الدفاع عن الحقوق والحريات. في ظل هذا المناخ ، تصبح الفلسفة أكثر إلحاحًا ، لأنها تضع الإنسان في المركز ، وتعيد طرح الأسئلة الكبرى حول الحرية والعدالة والكرامة. إذن الفلسفة ، في جوهرها ، مشروع ارتقاء بوعي الإنسان ، وتحصين لعقله ضد الاختزال. وفي عالم تتسارع فيه التكنولوجيا وتتباطأ فيه القيم ، تزداد الحاجة إلى هذا الدور لا العكس.

الأدباء.. في زمن الحرب

* بصفتك نائبا للأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، تقرر إغلاق الاتحاد في ظل الحرب المستمرة منذ عشر سنوات، وطرأت مواقف وأفعال خلافية ومتناقضة، إلى درجة ظهور نزعات التشطيرية وخطوات مغايرة للخطاب الوحدوي للاتحاد.. فهل ما تقرر من إغلاق وانكفاء عن كل ما يجري، يمكن اعتباره وضعا طبيعيا ؟

**دعني أقول لك ، إن ما حدث هو في جوهره نتيجة مباشرة للحرب ، وليس قرارا معزولا أو موقفا إداريا صرفا. لقد أدت الحرب إلى تشتت قيادات الاتحاد في المجلس التنفيذي والأمانة العامة وحتى أمانات الفروع في المحافظة ؛ تشتتوا في محافظات مختلفة ، وبعضهم خارج اليمن ، وأصبح من المتعذر عقد اجتماعات منت أو ممارسة العمل المؤسسي. ولا ننسى أن ممتلكات ومقرات الاتحاد تعرضت إلى التدمير والنهب. كما حدث لمبنى الاتحاد في عدن ، وكان المشروع الاستثماري الوحيد للاتحاد ، الذي يغطي نفقاته. وبالتالي في ظل هذه الظروف ، يصبح الحديث عن أداء اعتيادي للاتحاد أمرًا غير واقعي.

*لكن هناك كيانات نقابية لا تزال تتحرك، مثل نقابة الصحفيين ونقابة المحامين. لماذا لم يتمكن الاتحاد من أداء دور مماثل؟

** أعتقد أن الحرب لم تشلّ حركة الاتحاد وحده ، بل أصاب هذا الشلل معظم المنظمات المدنية والنقابات. نقابات العمال مثلًا تلاشت ، ولأنها مرتبطة مباشرة بقطاعات اجتماعية واقتصادية تضررت بشدة..بعض النقابات ، مثل نقابة الصحفيين أو نقابة المحامين ، حافظت على قدر من الحضور الشكلي ، بحكم طبيعة عملها ، مرتبطة بمنظمات مانحة ، ولديها أعضاء في الخارج قادرون على الحركة والتواصل. هذا منحها هامشا من الفاعلية. أما اتحاد الأدباء والكتاب فهو كيان إبداعي بالدرجة الأولى ، يعتمد على نشاط ثقافي تطوعي ، وحاليا لا يمتلك موارد مستقلة تمكّنه من الحركة في بيئة حرب منقسمة سياسيا ومكانيا.

*ألم يكن ممكنا على الأقل تبني مواقف حقوقية تجاه أعضائه، إن لم نقل اتخاذه مواقف علنية ضد الحرب وانتهاكاتها؟

** ليس من السهل تبني هكذا مواقف في بيئة منقسمة. ، وأي موقف يمكن أن يُقرأ باعتباره انحيازا لهذا الطرف أو ذاك ، ويجري استخدامه لإقحام الاتحاد في صراعات سياسية لا طاقة له بها. في سياق الحرب ، حين تتفكك الدولة وتُشلّ مؤسساتها ، من الطبيعي أن تتأثر الكيانات الثقافية والنقابية ، وكل جمعيات المجتمع المدني.

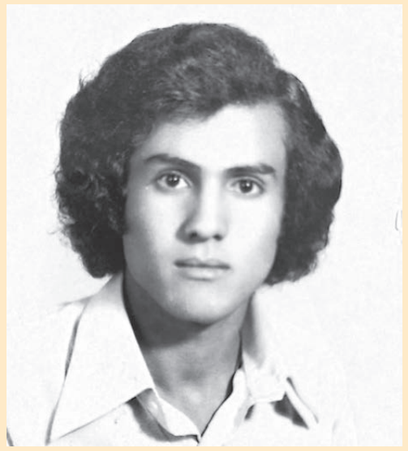

الدكتور عبد الكريم قاسم: العقل النابغ والإنسانية الرفيعة

فتحي أبو النصر

فمنذ أن كان أستاذًا للفلسفة في جامعة صنعاء ، أضفى على محاضراته طابعًا خاصًا من العمق العقلي والحكمة التي نابعة من تجربته الحياتية الغنية في مجال المعرفة والبحث.

وُلد الدكتور عبد الكريم في زمن كان الفكر الفلسفي والفكر السياسي يتداخلان بشكل كبير ، ولذلك لم يكن غريبًا أن ينجذب إلى دراسة الفلسفة في دمشق والتي فتحت أمامه آفاقًا واسعة لفهم الحياة ومفارقاتها.

في أواخر التسعينيات من القرن الماضي ، بدأ العديد من طلابه في جامعة صنعاء يُشيدون بأسلوبه الفريد في تدريس الفلسفة ، الذي كان يعكس قدرته الاستثنائية على مزج الجوانب النظرية مع التطبيقات العملية في الحياة اليومية. ولا يزال العديد من طلابه يذكرون كيف كان يطرح أفكارًا فلسفية معقدة بطريقة مبسطة تجعلها قريبة إلى الفهم ، حتى لأولئك الذين لم يكونوا على دراية واسعة بالفلسفة.

لكن إلى جانب كونه أكاديميًا بارزًا ، فإن الدكتور عبد الكريم من الأشخاص الذين يتسمون بحس فكاهي عال.

كانت لقاءاتنا لا تخلو من النكتة التي تساهم في تخفيف حدة النقاشات والجدل والحشوش الطري.

والواقع أن الدكتور عبد الكريم قاسم من قلة دكاترة أحبهم الطلاب وأفراد المجتمع الثقافي اليمني على حد سواء.

"دراسته حول" إخوان الصفا" أعادت الاعتبار لمدرسة مهمّشة وفتحت أفقًا جديدا أمام الباحثين "

ذلك أنه كان يتقن فن النقاش والحوار ، كما كان يطرح الأفكار بمرونة ، ويراعي في حديثه احترام آراء الآخرين ، مما أكسبه احترام الجميع من مختلف التوجهات الفكرية والسياسية.

على أن الدكتور عبد الكريم لم يقتصر اهتمامه على الفلسفة العامة وحسب ، بل اتخذ من دراسة الجملة الدينية في الخطاب السياسي محورًا رئيسيًا في تفكيره.

وفي هذا المجال ، كان له العديد من الدراسات النقدية التي تناولت كيفية تأثير الدين في السياسة وكيفية استخدام الخطاب الديني في حشد الجماهير.

ففي تلك الدراسات ، لم يكن الدكتور عبد الكريم مجرد ناقد للأفكار السياسية ، بل كان يُظهر قدرته الفائقة على التوازن بين التحليل الفكري والنقد الجاد للظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشها المجتمع اليمني خلال مراحله المختلفة.

ولكن إحدى أبرز إسهاماته الفكرية هي دراسته المتعمقة في "رسائل إخوان الصفا" ، وهو مشروع فكري مهم يتعامل مع إحدى المدارس الفلسفية التاريخية التي جمع فيها العديد من العلوم المختلفة ، بدءًا من الفلسفة ووصولًا إلى التصوف.

فمن خلال كتابه "إخوان الصفا وفلسفتهم في الألوهية والوجود" ، استطاع الدكتور عبد الكريم أن يقدم تحليلا معمقا لفلسفة إخوان الصفا ، وعلاقتها بمفهوم الألوهية والوجود ، وأثر هذه الفلسفة على الفكر الإسلامي والعالمي.

بل لقد كانت دراساته حول إخوان الصفا بمثابة المجال المختلف حيث أتاح للجيل الجديد من الباحثين

> **في تاريخ الجامعات والأكاديميات اليمنية، هناك شخصيات لا يمكن أن تُمحى من ذاكرة الطلاب والمجتمع الثقافي. الدكتور عبد الكريم قاسم سعيد الخطيب هو أحد هذه الشخصيات الاستثنائية التي تركت بصمة واضحة في ميدان الفلسفة والتصوف، وحققت تأثيرًا كبيرًا في الأوساط الأكاديمية والفكرية.**

والمتخصصين في الفلسفة فهم أعمق للجذور الفلسفية للتصوف والفكر الديني.

كما قدم من خلال دراساته قراءة جديدة لهذه المدرسة الفلسفية التي غالبًا ما يتم تهميشها في الدراسات التقليدية.

"هو صاحب الضحكة التي لا تخطئها الذاكرة ، والإنسان الذي يترك أثره أينما مرّ "

وبالرغم من مكانته العلمية والفكرية الكبيرة ، إلا أن الدكتور عبد الكريم من الأشخاص الذين يتسمون بالتواضع الشديد ، الأمر الذي جعله محبوبًا لدى الجميع.

كان يُعدّ العلم وسيلة للتواصل مع الآخرين وليس أداة للتفاخر. فقد أسهم علمه ومعرفته ليس فقط في نشر الوعي الفلسفي والفكري ، بل أيضًا في تعزيز القيم الإنسانية مثل الصدق والاحترام المتبادل. ولم يكن هناك شك في أن الدكتور عبد الكريم من الأساتذة الذين لا يفرضون احترامهم بالقوة ، بل بالتواضع الذي رافقهم طوال مسيرتهم.

من بين أكثر اللحظات التي لا يُمكن نسيانها هي تلك اللحظات التي جمعتني به مع عدد من طلابه وأصدقائه في مدينة القاهرة ، حيث كان يتلقى العلاج.

هناك ، في شوارع القاهرة ، لم يكن الناس يعرفون عن الدكتور عبد الكريم إلا أنه الرجل صاحب الضحكة الجميلة والعقل اللامع.

على أنني اتذكره وهو يمر في إحدى الشوارع بحي الدقي ثم بصوته المميز يناديني يافتحي لألتفت ونتعانق حد الدمع.

طبعا من المؤسف أن الدكتور عبد الكريم قد عانى في السنوات الأخيرة من تدهور حالته الصحية ، وهو أمر أثر في محبيه وزملائه الأكاديميين بشكل عميق.

ومع ذلك ، فإن تأثيره على المجتمع الأكاديمي والثقافي لا يزال مستمرا ، وذلك بفضل أعماله ومؤلفاته التي تُعد منارات فكرية لا يُمكن تجاوزها.

وأنا أعلم أن مثل هذا الرجل العظيم ، الذي نذر نفسه للعلم والفكر ، لن تقتصر بصمته على الجوانب الأكاديمية فحسب ، بل ستظل أفكاره حية في قلوب أولئك الذين تعلموا منه.

والحال أن الدكتور عبد الكريم قاسم سعيد الخطيب يبقى أحد الأعلام الذين استطاعوا أن يحققوا توازنا نادرا بين الفكر والفلسفة والتواضع الإنساني.

وبالنسبة لكل من عرفه ، سيظل ذكره مرتبطا بعقله اللامع وحكمته العميقة ، ولن تتوقف الدعوات له بالعافية والسعادة من أصدقائه وطلابه ومحبيه الذين يتذكرونه بقلوب ملؤها الاحترام والتقدير.

يقول أستاذ الأجيال عبد الباري طاهر عنه: "إبان دراسته في الحديدة مطلع السبعينات كان كثير التردد مع أخيه عبد السلام قاسم الخطيب على مقر مجلة «الكلمة» لزيارة قريبهم محمد عبد الجبار — رئيس التحرير ، وكانت ملامح الذكاء لا تخفى. انتسابه لليسار الماركسي قد أكسبه أداة تحليل متينة وعميقة ، ولكن انفتاحه على مدارس وتيارات الفكر الإنساني أكسبه مقدرة فائقة على تقديم زاد معرفي وعلمي متفتح وعقلاني متجدد.

المجتهد المحتفي بالحريات والحقوق ، واللصيق بالمجتمع المدني ، وبالنشاط الإنساني ، وبالتيارات المدنية والسياسية جعل منه واحدًا من أهم المدافعين عن الحريات والحقوق. انتمى باكرًا لدعوة الاشتراكية واليسار الماركسي ، وهو باحث مهم بمركز الدراسات والبحوث اليمني ، ومن أساتذة جامعة صنعاء المرموقين ، وفي قيادة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين لأكثر من دورة..."

في الحقيقة عرفت الدكتور عبد الكريم قاسم الخطيب كشخصية مسيسة حاذقة وداهية ، إذ استطاع مثلا أن يحصد أكبر عدد من الأصوات في انتخابات اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الأخيرة رغم عدم دعم أي حزب له! هذه القوة السياسية والفكرية تؤكد عزيمته وجرأته.. ندعو له أن ينهض ويقاوم التحديات التي يواجهها من أجلنا ، ففكره وعطاءه لا يزالان بحاجة إلى نور يعم به أرجاء اليمن..

عبد الكريم قاسم سعيد .. الصورة بدون مجمِّلات

محمد عبد الوهاب الشيباني

وكانت لنا أحلامنا التي لاتحد في تغيير العالم. وكنا نرى في المؤسسات التقليدية الثقافية بما فيها اتحاد الأدباء والكتاب كابحا أمام رغباتنا في العبور ، فذهبنا إلى إنشاء جمعيات أدبية للتعبير عنا وعن أمزجتنا في الكتابة ، ومنها جمعية أدبية أسميناها "جمعية الغد الأدبية" للدلالة على مغزى الغد ومرموزه في أذهاننا الطرية.

في تلك الفترة كان عبدالكريم قاسم عضوا في الهيئة الإدارية لفرع الأدباء في صنعاء وربما عضوا في المجلس التنفيذي للاتحاد أيضا ، وكنا نراه قريبا جدا منا بأفكاره ومزاجه الفكه ، وسلاسة تعامله معنا. وفي أكثر من جلسة معه استطاع هدم صورة الاتحاد البائسة التي تضخمت في أذهاننا ، فصار الاتحاد ، بحديثه المقنع ، بهيا وأكثر إشراقا ، باعتباره الفكرة النبيلة والحاضن الأهم لكل الأفكار والمشارب الثقافية والأدبية المتنوعة في اليمن الطبيعي غير المشطور سياسيا ، حتى أنه مع أعضاء آخرين أذكر منهم عبد الفتاح عبد الولي ولاحقا على المقري عملوا على منحنا عضويات عاملة في الفرع بدون المرور بالإجراءات الإدارية المنمطة. حتى أنه عمل في أواخر العام 89م على الدفع بالكثيرين على تعبئة استمارات الانتساب للحزب الوليد " حزب التجمع الوحدوي اليمني" الذي أسسه ، مع توقيع اتفاقية نوفمبر1989 ، الأستاذان عمر الجاوي ومحمد عبده نعمان ، باعتباره القيمة التبشيرية للتعدد وفكر اليسار المتجدد غير المتحوصل في رحم السلطة والحكم.

" قبل (39) عاما ، كانت معرفتي به ، كنا شبانًا في بداية الطريق ، نحمل الأمل ونحلم بتغيير العالم... قبل أن تنهدم خياراتنا واحدة تلو أخرى"!

مضت الأشهر و الأيام ويُبتعث صديقنا كريم في العام 1991 إلى القاهرة لاستكمال رسالة الماجيستر ، التي كان يتمحور موضوعها حول قضايا التصوف وإشكالياته عند العارف الأكبر أحمد بن علوان وصادف إن كنت هناك برفقة والدتي للعلاج ، وكنت التقي به و استضاف لديه في شقته في مصر الجديدة فازداد قربي منه ، و حينما عاد لحضور فعالية المؤتمر العام السادس للاتحاد في نوفمبر 1993م أي عشية حرب صيف 1994 ، بوصفه عضوا في المجلس التنفيذي كان يرى في الحفاظ على تماسك هذا الصرح هدفا نبيلا في لحظة الاستقطاب الحاد لطرفي التحشيد للحرب.

> **قبل تسع وثلاثين سنة تعرفت على عبد الكريم قاسم سعيد، كان شابا بكامل حضوره وحيويته، ولم يمض زمن طويل على عودته من دمشق حاملا إجازة الفلسفة من جامعتها الأم. كنا شبانا في بداية الطريق وبكامل الأمل، حين لم تكن قد انهدمت كامل خياراتنا في الحياة.**

عاد من القاهرة بشكل نهائي في العام 1995 ، وكانت البلاد قد دخلت منعطفا مغايرًا ، بعد أن عبرت سلطة الحرب بحذائها الخشن على حلم اليمنيين في الوحدة والتعايش والشراكة ، كانت لكريم هذه المرة حساباته الخاصة في التموضع السياسي ، فاختار العمل في إطار بنية الحزب الحاكم ، حيث تولى رئاسة القسم الثقافي في صحيفة الشعبي العام المركزية "الميثاق" وعمل من خلالها على إعادة الاعتبار للفعل الثقافي ومنتوجه الأدبي على وجه الخصوص في صفحاتها والذي كان مهملا تماما ، من خلال استقطاب الكثير من الأدباء و الكتاب للكتابة فيها ، وكان كثير من الزملاء ينشرون نصوصهم فيها تقديرا لشخص صديقنا ، وليس حبا في الصحيفة ولا الخط السياسي الذي تعبِّر عنه.

في منتصف 1996م كان هناك مشروعا لإصدار صحيفة تحمل اسم " الشعبية" بواسطة حزب اتحاد القوى الشعبية وكان كريم ضمن طاقم التحرير فاقترح علي تولي رئاسة القسم الثقافي ، غير أن هذا المشروع انتهى باكرا وبصدور عدد يتيم منها بعد أن سوى المتنافسون والمنتفعون الحزبيون خلافاتهم المالية مع ملاك الحزب.

ومع ربيع العام 1997م انعقد المؤتمر العام السابع للاتحاد ، في ظرف شديد التعقيد وبعد أن ظهرت بوادر الانقسام الواضح في قيادة الاتحاد واللجنة التحضيرية للمؤتمر خطا خطوة غير متوقعة

مع المرحوم عدنان أبو شادي وعبد الله عوبل وآخرين بإقناع الأستاذ عمر الجاوي بالعودة بالانخراط في أعمال المؤتمر فقبل أن يترشح ضمن الهيئات ، ليحصد كل أصوات المؤتمرين وانُتخب رئيسا للهيئة الاستشارية ، قبل أن يعاجله الموت في ديسمبر من ذات العام ، فعد بعض خصوم الجاوي في الاتحاد مثل هذه الخطوة تنسيقا غير محمود ، فعملوا على إبطالها بشتى الوسائل دون فائدة.

في العام 1998 تولى إدارة تحرير مجلة الثقافة التي تصدرها وزارة الثقافة ، فعمل على إحداث نقلة في عملها ، ومنها إصدار كتب مصاحبة لها على نحو ديوان المرحوم نبيل السروري المعنون بـ "زرياب" وكتاب عن المرحوم الجاوي "نبراس الحرية" وثالث للناقد محمد علي اللوزي قبل أن يتركها ويلتحق ، كمسؤول أكاديمي ، في المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار ، وفي تلك الفترة أو بعدها بقليل.

منذ العام 2000 عمل ضمن طاقم تحرير الموسوعة اليمنية في طبعتيها الثانية الموسَّعة ، والتي أصدرتها مؤسسة العفيف الثقافية ، وساهم في تحرير ما يتصل بالدويلات والحركات الإسلامية ومدارس التصوف وقضاياه ورموزه عبر التاريخ الوسيط والحديث في اليمن.

" ظلت الثقافة أكثر خياراته وضوحا ، وحين اختار موقعه داخل بنية " المؤتمر الشعبي العام" فتح صفحات "الميثاق" لكتاباتنا قبل أن يسجل بصماته متميزة في إدارة مجلة الثقافة آواخر التسعينيات"

وكان في ذات الوقت يتهيأ للدفاع عن أطروحة الدكتورة التي اشتغل فيها هذه المرة على موضوع "إخوان الصفاء وفلسفتهم في الألوهية والوجود" والتي سجلها في كلية الآداب بجامعة صنعاء.

في المؤتمر العام التاسع للاتحاد الذي انعقد في ربيع 2005 صعد ضمن القيادة الجديدة المحسوبة على الشعبي العام الحاكم بعد إزاحة الأسماء التي حسبت على اليسار عموما ، وتسنم موقع الأمين المالي ، لكنه سرعان ما ترك هذا الموقع بعد أن دخل في خلافات مع بقية أعضاء الأمانة العامة حول تسيير الجانب المالي في الاتحاد ، إذ كان يرى في الإنفاق على المنتوج الثقافي ، وكذا الاستثمار في المشاريع الاستراتيجية مثل شراء وتشغيل مطبعة وتملك عقارات للفروع أهم من الإنفاق على المساعدات السيارة والصرف السائل ، لكنه عاد في المؤتمر العام العاشر الذي انعقد في ربيع العام 2010 ليشغل موقع نائب الأمين العام في ظرف قاس ، أقله كان التعبير عن ثلمة الانقسام في جسم المؤسسة الرائدة ، ومع ذلك ظل ولم يزل رهانه على دور الاتحاد التنويري في الحياة العامة أكثر وضوحا.

في مسيرته الثقافية والأكاديمية والبحثية الطويلة أصدر كريم أربعة مؤلفات شخصية ومنفردة تنصب كلها تقريبا داخل انشغاله الرئيس في مقاربة قضايا الفكر الإسلامي ومدارس التصوف والحركات الأصولية المعاصرة ، وابتدأها في منتصف التسعينات حينما أصدر كتابه الرائد " الإخوان المسلمون والحركات الأصولية في اليمن" في طبعته الأولى" قبل أن يعود ويصدره في العام 1998 في طبعة مصححة ومستوفاة البيانات والمعلومات ، وتكمن أهمية هذا الإصدار في أنه أول كتاب يقارب حركة الإخوان في اليمن منذ اهتمام مركز الحركة في القاهرة بموضوع اليمن في مطلع أربعينيات حتى تشكيل حزب التجمع اليمني للإصلاح في سبتمبر 1990 باعتباره الوعاء السياسي للحركة في إطار التعددية السياسية التي شهدتها اليمن مع دخول شطريها في وحدة اندماجية فورية ، انقلبت إلى مشكلة حقيقية ، وإلى جانب حركة الإخوان قارب وباقتضاب حالات الأحزاب والحركات ذات المنزع الديني والتوجهات الأصولية مثل اتحاد القوى الشعبية وحزب الحق واتحاد القوى الإسلامية الثورية وحزب العمل الإسلامي.

وثاني إصداراته كان في العام 1998 ومتصل بدرجة رئيسية برسالة الماجستير التي نالها عن دراسته لقضايا التصوف وإشكالياته عند أحمد بن علوان وأصدرها بكتاب حمل عنوان " قضايا وإشكاليات التصوف عند أحمد بن علوان" بعد تطويعه للقراءة العامة وتخليصه من المستحكمات الأكاديمية الصرفة ، وتطرق فيه لسيرة ابن علوان ومؤلفاته وعصره والأطر التي توزعتها آراءه في قضايا التصوف "مصادره واتجاهاته" وعلم الكلام "التوحيد" والمعرفة والوجود وغيرها من المباحث المتصلة بالنفس والأخلاق.

الإصدار الثالث كان في العام 2006 وعنوانه " إخوان الصفا وفلسفتهم في الألوهية والوجود" وهو أطروحة الدكتوراه التي قاربت هذا الموضوع بإشكالياته المتعددة ومنها البيئة التي نشؤوا فيها ورسائلهم ومؤلفوها ومصادر فلسفتهم والألوهية في فكرهم والعلاقة بين الله والعالم ، والمشكلات الميتافيزيقية للوجود الطبيعي وغيرها من المباحث المتصلة بأفكار واحدة من أهم مدارس علم الكلام في التاريخ الإسلامي.

الكتاب الرابع عنوانه " المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي" وصدر في العام 2008 عن ملتقى المرأة للدراسات والتدريب في تعز وفيه قارب الباحث مفهوم المواطنة ، والمواطنة والهوية وحقوق المواطنة والمواطنة والتمييز ضد المرأة والمشاركة السياسية إلى جانب موضوعات الدولة ومشكلة تنميط المفاهيم ، والخلافة بين الوازع الديني والوازع السلطاني ، والدولة في فكر ابن خلدون ، والدولة في

الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر.

وإلى جانب هذه الإصدارات قام بإعداد كتاب حصار صنعاء شهادات للتاريخ في جزءين ، وإعداد وتحقيق سيرة "سنان أبو لحوم - اليمن حقائق ووثائق عشتها " أربعة أجزاء ، وصدر له بالتشارك مع آخرين خمسة كتب مختلفة ، وله من غير المنشور كتابان جاهزان للنشر عنوان الأول فيهما التحول الديموقراطي وإعادة بناء الهوية الوطنية في اليمن ، وتصورات حقوق الإنسان بين المتعالي والتاريخي.. دراسة في نموذج الفكر الإسلامي.

هذه هي صورة عبد الكريم قاسم سعيد الخطيب التي أبصرتها بدون مجملات إلا من تلك التحايا العطرة التي أوجهها لصديق لم يزل يقدم خلاصة تجربته وعلمه لطلابه وقرائه رغم متاعبه الصحية الكبيرة.

اتفقنا في أشياء عديدة واختلفنا أيضا في قضايا تتصل في وجهات النظر ، لكنها لم تقطع أبدا خيوط الود التي قوتها الأيام خلال أربعة عقود.

عبد الكريم قاسم فيلسوفًا ومدرسًا ومتصوفا ومثقفا

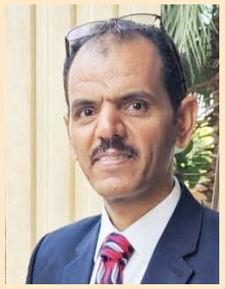

محمد عبده الشجاع ✍

عبد الكريم قاسم الأكاديمي والأديب والفيلسوف عرفته في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، كنت طالب فلسفة ، تعلمت على يديه ، سحر الأفكار وسحر اللغة وسحر التعبير ، وعيت نظرية الفيض ، وسيرة الشيخ الرئيس الفيلسوف والطبيب أبو علي الحسين بن عبدالله ابن سيناء.

حدثنا عن رسائل (إخوان الصفا) وعددهن 52 رسالة ، وكيف أنها شملت جميع العلوم والمعارف ، وأين تكمن أهميتها ، والأهداف التي حملتها وسعت لتحقيقها.

لم ينحصر اهتمامه في الفلسفة كمنهج ودروس ، وإنما خلق روحا جديدة لطلابه ، بأسلوب علمي ولغة واضحة حصيفة ، متكئا على قدراته في تطويع الكلمة والحديث العذب ، يصوب المعنى ويلفت الأنظار لأغوار عميقة ذات فهم واسع.

كنت من أشد المعجبين بشرحه وتلقائيته التي لا تجد فيها أي تكلف ، ناهيك عن أنه موسوعي ولديه مكتبة زاخرة ، حدثني عنها ذات يوم ، سواء الكتب الورقية أو الإلكترونية التي كان حريصا على أرشفتها ، وهذا يعكس شغفه كباحث نهم ، جعل من القراءة وجبة يومية ومن المعرفة طريقا لا حياد عنه.

" لم ينحصر اهتمامه في الفلسفة كمنهج ودروس ، وإنما خلق روحا جديدة لطلابه ، بأسلوب علمي ولغة حصيفة ، يصوب المعنى ويلفت الأنظار لأغوار عميقة ذات فهم واسع"

لا يحضرني الكثير من حياة الرجل أثناء التدريس في كلية الآداب ، نتيجة مرور السنين وتدافع الأحداث وتدفق الخطوب وإنهاك الذاكرة بالحروب والصراعات ، لكن يظل الدكتور عبد الكريم قاسم واحد من أهم أعمدة الثقافة والتثقيف والمعرفة ، صاحب رؤية علمية ، متواضع في علاقاته ، بسيط في تبليغ المعرفة ، صاحب رؤى ذات قيمة.

ومثلما كان في الجامعة صاحب حضور استثنائي فقد كان في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بمثابة الضوء ، أديب وقيادي في هذا الكيان العظيم الذي شكل يوما رافدًا قويًا في تعزيز الروابط بين أبناء المجتمع واليمن الواحد.

في سياق الحديث لا يمكن تجاوز مسألة السلام النفسي فالرجل وهو الباحث المتصوف لا يعلي من شأن العنف في آرائه ، نبرة السلام ولغة المحبة تطغيان على نقاشاته وفلسفته.

عانى كثيرا بسبب الأسقام التي أنهكته ، واجهها بصلابة وجأش ، محاولا التغلب عليها رغم تمكنها منه ، ورغم الظروف التي تعيشها البلاد والتي تركت أثرًا في كل فرد ، إلا أن الدكتور عبدالكريم يظل قيمة عظيمة بصبره وحكمته وروحه وعلمه وفلسفته وصوفيته ونقائه.

هذه خواطر وانطباعات سريعة عن المفكر والفيلسوف الأديب عبد الكريم قاسم ، الداعي دوما إلى منح الحرية الكاملة للمثقف وإعطائه فرصة للعمل من أجل واقع مختلف ومجتمع ناضج.

أعتز بأنني كنت أحد تلامذته المحبين ، وإن صح التعبير أحد مريدي فلسفته ، فهو واحد من الذين تركوا بصمة في كلية الآداب وجامعة صنعاء واتحاد الأدباء وكثيرا من جوانب الحياة الثقافية.

★بكالوريوس فلسفة كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

> **قليلون من يحملون هَمَّ المجتمعات والنهوض بها بعيدًا عن الشعارات، يقفون على شرفات الأفكار كما لو أنهم يصنعون قوارب للنجاة؛ من فخاخ الكلمة، وانحراف المثقف نحو المجهول، يشكلون تجربة عظيمة في معركة الحياة وانموذجا فريدا في العطاء والمعرفة.**

سطور عن أحبهم إلى القلب

أحمد الشرعبي

وفي أحوال شائعة وربما غدت من ظواهر حيواتنا أن يطري الناس ويتذكرون مناقب موتاهم فتدبج المراثي وتصول الأقلام وتجول أحياء لذكري قائد وطني أو أديب محترم ورمز مرموق ، ويحار المرء تجاه هذا السخاء الذي كان الراحلون أحوج ما يكون لسماعه في حياتهم ، بل أن بعضهم عانى الإهمال وتوارى خلف مقصورة الغياب ولم تسعفه كلمة منصفة أو يدركه القادرون على النجدة وبل الشفاه.

" في مختلف المحطات التي جمعتنا ، ظل ثابتا على مبادئه ، متشبثا بقيمه الوطنية والجمهورية ، ومؤمنا بالحرية والعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان ، دون أن يحيد عن نهجه أو يتنازل عن قناعاته"

بيد أننا اليوم ومن حديثنا عن الصديق الأديب الناقد الدكتور عبدالكريم قاسم نفتتح سجلا جديدًا ونجترح مأثرة غير مسبوقة على حد علمي إذ نسعى للاقتراب من دوحته الفكرية ومدونته الكفاحية التي عهدناه بها سهما يمرق من بين صخور الحياة وجدبها لينفذ إلى هدفه في تحقيق الغايات النبيلة وخدمة الأهداف السامية.

عبدالكريم قاسم ومن مثل عبدالكريم في نبله وصدق مشاعره ونقاء مواقفه الوطنية حيثما حل وألغى أين ما رحل.

رافقته أوائل الثمانينات من القرن الماضي خلال تجربتنا النقابية والإبداعية المشتركة وعملنا معًا على رأس الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فكان أكثرنا عطاء وأشدنا التزاما تجاه القيم النضالية التي ميزت الاتحاد بوصفه المؤسسة الوحدوية التي تجابه نظامي حكم انفصاليين وتستحثهما على التقارب وتقدم لهما نموذجًا حيًا يعكس قناعات ومسلمات شريحة طليعية من شرائح المجتمع اليمني الذي تتعسفه الأيدلوجيا وخيارات الآخرين وتجبره على البقاء ضمن شرنقة الصراع والتربص والاقتتال.

كان اتحاد الأدباء فرع صنعاء بفعالياته اليومية وأنشطته السياسية والإبداعية يؤدي دورًا يفوق ذلك الذي تقوم به وزارة الثقافة ، ولم يكن ذلك ليحدث لولا عبدالكريم ونخبة من رفاقه في قيادة الفرع.

دارت الأيام وتحقق الحلم وخرج عبدالكريم مع الشعب ونحن معهم خرجنا نحتفل بحلمنا الكبير حلمنا الجميل نصرنا المبهج عيد أعيادنا عيد ال٢٢ مايو ٩٠ عيد الوحدة اليمنية.

وكنت وعبدالكريم نكابد وندفع ثمن شغفنا بترانيم الوحدة وشعارها الملتهب الذي يحمله الحزب الاشتراكي ويبشر به قادة الحزب التاريخيين والحديث عن هذا يطول لكن من ذا يترك اليمن وحاله ومن يسمح لليمنيين أن يشقوا طريقهم بمعزل عن مكائده إذ ما كدنا نتنفس أنسام الوحدة حتى هبت عاصفة التآمر الخارجي وأمراض التخلف الضارب جذوره في قلب قوى الرجعية والاستئثار وحدث ما أدمى عبدالكريم وأبكاني والحديث حول هذا هو الآخر يطول.

ليس في حياة عبدالكريم وقتا يضيعه مثل حالي وكثر مثلي فكل حياته دأب ومثابرة وتحقيق تطلعات..

وبينما اغوتنا دوامات الصراع كان عبدالكريم يشق طريقه إلى الدكتوراة ويفاجئنا بانموذجه الذي يستحق الثناء ، فقد وصل إلى هدفه وصار واحدا من الأكاديميين الذين يهبون المعرفة وينورون

> **جرت العادة أن يكتب الناس في إطراء نافذ يبتغون نفعه أو شرير يدفعون عن أنفسهم شره، وصار هذا الدأب ديدن بعض الكتاب وجل الشعراء ولهذا لا يكتب لما يكتب غير نزر من العمر يسير ثم يذهب مع الريح هباءً منثورا.**

طريق الأجيال.

"أسهم عبد الكريم قاسم في ترسيخ دور اتحاد الأدباء كمؤسسة وحدوية تتجاوز الانقسامات السياسية وتدعو إلى التقارب الوطني"

في محطات أخرى التقيت وعبدالكريم سواء حين عملي في صحيفة المجالس أو في تجربتي على رأس المركز العام للدراسات والبحوث ، وفي كل محطة التقيت فيها هذا الصديق العامر بالود لم أجد فيه شيئاً يخل بقيمه أو ينال من مبادئه ، فهو الوطني الجمهوري الوحدوي المؤمن بالحرية والعدالة والديمقراطية والمساواة والسيادة الوطنية وحقوق الإنسان.

تلك مبادئه وما من عمل يقوم به إلا وكان انعكاسا لها وتعبير ا عنها أطال الله في عمرك ومنحك القوة على مواجهة طوفان النكوث أيها الصديق العزيز والأخ النبيل الدكتور عبدالكريم قاسم وشكرا من الأعماق لكل من يسهم في تكريس هذا التقليد الحميد ويجعل تكريم الأحياء أمثال الدكتور عبدالكريم روضة من رياض الإنصاف والرعاية والتبجيل.

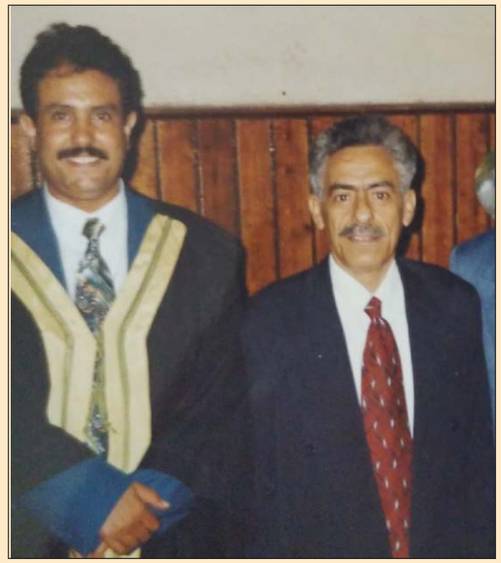

عن مستقبل الثقافة اليمنية وسؤال الهوية

وضاح عبد الباري طاهر

> قُدِّرَ لي أن أقرأ لأستاذنا الجليل الدكتور عبد الكريم قاسم موضوعًا عن العولمة والأسئلة التي أثارتها -ولا تزال- عن الهوية، وعلاقتها بالثقافات المحلية ذوات الخصوصية. والدكتور عبد الكريم قاسم، تربطنا به وبأسرته الكريمة علاقات متينة تزيد على أكثر من أربعة عقود. فزوجته الأستاذة خديجة الصغيري- أخت العم العزيز أستاذنا محمود الصغيري- معلمتي وأستاذتي.

والأستاذ عبد الكريم ، أحد الأستاذة المرموقين بكلية الآداب- قسم الفلسفة (فلسفة إسلامية).

كَانت رسالته للماجستير عن الصوفي الشهير ابن علوان ، أمَّا أطروحته للدكتوراه ، فعن الفكر السياسي عند إخوان الصَّفَا.

كَثيرًا مَا جَلست مع الدكتور عبد الكريم ، أيام سُكناه بجوارنا بالمدينة السكنية ، بصحبة صهره الصديق العزيز المهندس محمد الصغيري ، وابن عمتي الراحل عن دنيانا قبل شَهر تَقريبًا محمد عبد الله إبراهيم.

وَظَلَّ الدكتور عبد الكريم وَفيًّا لأصدقائه ، خاصة الأخ محمد -رحمه الله-؛ فعندما كنت ألتقي به بالجامعة ، ونذكر الأيام الخوالي ، وبعض مواقف الأخ محمد ، يُبَادر بالاتصال به والسؤال عنه.

لا تجلس مع الأستاذ عبد الكريم ، إلا وتشعر بالارتياح والفائدة والثراء المعرفي الذي يَغمركَ به ، سَواءٌ في حديثه عن التصوف وأعلامه كابن علوان ، والغزالي ، وابن عربي ، وأبو الغيث بن جميل ، أو أعلام الفلسفة ورموزه المشهورين كابن رشد وإخوان الصفا؛ وهو لا يتردد في إفادة كُلَّ من يقصده أو يسأله ، حتى أنَّ بعض الروائيين الذين كتبوا عن ابن علوان ، أفادَ منه بما كَتبَ هذه الشخصية العظيمة وعلومه وتصوفه.

كَتبَ أستاذنا ، ومنذ وقت مبكر ، مَبحثًا في غاية الأهمية عن العولمة وتحدياتها التي تعصف بعالمنا العربي الهشِّ والضعيف؛ والذي صَارَ مُنذ أمد بعيد ، إمَّا متلقيًّا سلبيًا لكل ما يُلقى إليه ، أو أصوليًا مَتعصبًا متطرفًا يُعاند كُلَّ حديث ، ويرفض كُلَّ جديد ، وَلَو كَانَ نافعًا ومُفيدًا.

وَددتُ لو أنَّ هذه الورقة التي كتبها ، اهتمَّ بها القائمون على التعليم في الجامعة ، وقاموا بطباعتها ، وتوزيعها على طلاب الجامعة؛ لتثقفيهم وتفتيق أذهانهم عن العولمة وأبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية ، والتي يراها بعض الباحثين أنها المجلى الأحدث والتطور الأخير الذي بلغته الرأسمالية ، تتوسل بواسطتها إلى فرض نَمط واحد للاقتصاد والصناعة ووسائل الإنتاج.

والدكتور ، وإن ذكر مساوئ هذه الظاهرة ، وأنها ترمي إلى هيمنة القطب الواحد (الولايات المتحدة الأمريكية) ، بِمَا تُبشرُ به من قِيَم استهلاكية ، وَنَمط حياة وثقافة ، يرى دعاتها والمروجون لها -من منظور مركزي وعنصري واستعماري- أنَّها الأجدر بالعيش ، والأولى بأن تسود في مختلف بقاع العالم ، وأنَّ النظام الذي تدعو إليه هو أرقى ما وصلت إليه البشرية = إلا أنَّه ، مع ذلك ، لا يتردد عن ذكر محاسن هذه الظاهرة ، بما تمثلَ في حقوق الإنسان ، والحركات الدَّاعية للسلام ، ومناهضة العنف على أيٍّ بقعة من بقاع الأرض ، والدعوة إلى حماية البيئة ، والديمقراطية ، وحوار الحضارات.

وبرأيي أنَّ جوابه على سؤال الهوية -وهو سؤال إشكالي- من أهمَّ ما جاء في ورقته. فالهوية -بحسب رأيه- ليست كُتلة صَمَّاء ثابتة ، مغلقة وأحادية ومنتهية ، لا يمكن الإضافة عليها أو تعديلها.

وهو إذ لم ينفِ الأصول الاجتماعية والتاريخية والثقافية واللغوية للهوية ، لكنه يؤكد أنَّ هذه الرموز ليست خارجة عن حَرَكة التاريخ؛ وبالتالي ستظل مفتوحة ومتطورة ومرنة قابلة لإعادة التشكل والصِّياغَة ، كما أنَّها في الوقت نفسه لن تفقد ثباتها ، ولن تخسر قيمها في إطارٍ متوازن لمفهومي الثابت ، والمتحول.

وهو بهذه الرؤية يتوافق مع مفكرين كبار كأمين معلوف في كتابه «الهويات القاتلة» ، فقد وَجَّهَ

معلوف نقده لطرفين:

الأول: الدُّول الأوروبية التي تحتضن على أراضيها جاليات من مختلف الأديان والثقافات ، وتظن أنَّ ثقافتها وقيمها قيم نهائية غير قابلة للإضافة؛ فاقتصرت عليها ، وحرمت نفسها من الانتفاع بعدم انفتاحها على هذه الثقافات المتنوعة والثرية التي جاءت مع الوافدين.

أمَّا الطرف الثاني ، فقد وَجَّهَ نقده إلى أبناء الجاليات العربية الذين حبسوا أنفسهم ، وتقوقعوا على ذواتهم ، ولم يفكروا بالتخلي عن قُشور حملوها معهم من بلدانهم ليست من جوهر الدين ، أو مِمَّا يمت إلى الإنسانية بصلة.

إنَّ ظاهرة العولمة التي اكتسحت العالم ، فجعلت منه قرية كونية واحدة ، لا مناص عنها إلا بأخذ ثمارها النافعة ، والتصدي لأضرارها؛ بالدعوة إلى تعزيز قيم الاختلاف ، والإعلاء من شأن التنوع الذي يزخر بها عالمنا؛ وهو ما قامت به مجموعة من دول العالم الثالث من خلال «منظمة اليونسكو» بإصدار كتاب عن «التنوع البشري الخلاق».

وَأخيرًا:

قَالَ غاندي: «إنَّني على أتمِّ الاستعداد على أن أفتحَ نوافذَ بيتي ، لتهُبَّ عَليهَا الرِّيَاح من كُلِّ اتجاه؛ شَريطةَ الا تعصفَ هذه الرياح ببيتي؛ فتهدمه».

فللدكتور عبد الكريم قاسم ، بِمَا كَتبَ ويكتب ، خالص الشكر والتقدير ، لِمَا يسهم به كأستاذ فلسفة همه ينصب على التنوير وبثِّ المعرفة وتفتيح عقول الأجيال لِكُلِّ جديد ونافع ومفيد.

بين صرامة الحُب.. وعبقرية القدوة

أرواد الخطيب

ذلك الغياب الجميل خلف أبواب المكتبة المغلقة ، والاحتراق في شغف الكتابة والمشاركة المستمرة في الندوات والمحاضرات العلمية والأدبية ، لكن وخلافًا لكل التوقعات ، لم يكن انشغاله انعزالًا عنا ، بل كان استثمارًا فينا ،

ففي بيئة كانت ترى في تعليم الفتاة ترفًا زائلًا ، وقف أبي سدًا منيعًا أمام هذا الموروث الخاطيء رفضًا لمنطق "بيت الزوجية أولًا" ، وأصرّ على أن سلاحي الحقيقي هو شهادتي الجامعية ولم يسمح لي بالزواج الا بعد أن أتممت دراستي الجامعية ، لم يكن يعلمني فقط ، بل كان يحرر عقلي من قيود المجتمع ، مؤمنًا بأن ابنته تستحق أفضل الفرص العلمية.

إلى جانب ذلك ورثتُ منه ما هو أثمن من المادة ، ورثتُ عقلية التسامح علمني أن أتقبل الآخر أيًا كان انتماؤه ، وزرع في داخلي بذرة الوسطية التي تجعلني أتعامل مع العالم بمرونة وثبات ، معتمدةً على نفسي كما كان يعتمد على نفسه قديمًا حين كان يقطع مسافات مشيا على الأقدام طلبًا للعلم على الرغم من أنه تربى في محيط لا يأبه للتعلم إلا أنه أصر وكافح كثيرا ليصل إلى ما وصل إليه.

لم يكن أبي كغيره يلقنني الدروس بالكلام ، بل بالقدوة فحين كنت أراه يحاضر في المحافل العلمية بعبقريته الفذة ، كان يغرس فيّ اعتزازًا لا يوصف هذا الفخر هو ما دفعني لمحاولة مجاراة عقليته الخصبة ، وبالرغم من شعوري الدائم بأنني "تلميذة" في رحابه ، إلا أن بصمته جعلت مني إنسانة لا ترضى بالقليل.

وفيما يخص تربيتي كانت صرامته وحذره تجاهي بصفتي ابنته الوحيدة عبئًا أحيانًا لكنني اليوم وأنا أرى ابنتي "سيلينا" ، أدرك أن تلك الصرامة كانت حذرا و "خوف المُحب" لقد كان يحميني من عالم يعرف هو خباياه جيدًا ، ويوفر لي في ذات الوقت أرقى سبل التعليم في أهم مدارس العاصمة صنعاء ، وفي غُمره انشغاله كان يغتنم جميع الفرص والإجازات للنزهة والسفر ، ليكون الأب المفكر والصديق المسافر في آن واحد.

"لقد علمني أبي أن العلم ليس ترفًا بل هو رحلة كفاح ، وأن الثقافة ليست كتبًا تُقرأ ، بل هي سلوك سأربي 'سيلينا' على ذات الخطا؛ سأمنحها اللين الذي افتقدته أحيانًا ، لكنني سأمنحها 'بوصلة أبي' التي لا تخطيء في توجيه الروح نحو القمة".

لم يكن أبي مجرد كاتب تمر أصابعه فوق الحروف، بل كان يكتبنا نحن أيًا كانت مشاغله نعم لقد واجهت في طفولتي تلك «المعضلة» الشهيرة لأبناء المفكرين والكتاب.

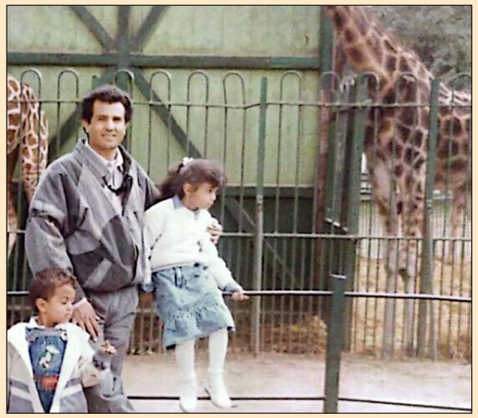

من الميتافيزيقا الدينية إلى الفيزيقا الاجتماعية

إطلالة على الرحلة الفكرية للدكتور عبدالكريم قاسم سعيد

علي أحمد صبار

أضف إلى ذلك وضوح فكرته التي يطرحها في نقاشه ، وصفاء لغته ، وعلى الرغم من كونه أستاذًا للفلسفة في الجامعة –وكما هو معروف أن لغة الفلسفة تتميز بصعوبتها– فإن لغته تتميز بالسهولة والعمق في الوقت نفسه ، وعند اطلاعي على بعض الكتب والدراسات التي أنجزها الدكتور وجدت أن أسلوب طرحه في الكتابة ينسجم مع ما يطرحه في حواراته من حيث طبيعة الأفكار ووضوحها ، ومن حيث صفاء اللغة أيضًا.

ولقد تفاجأت من خلال اطلاعي على بعض كتب الدكتور وأبحاثه ودراساته خلال مراحل مختلفة من إنتاجه العلمي والعملي ، أن له رحلة فكرية يمكن تقسيمها إلى مرحلتين: تبدأ تلك الرحلة بما يمكن أن نطلق عليه مرحلة الميتافيريقا الدينية ، وتتمثل في دراسته الجامعية لاسيما في رسالته للماجستير عن أحمد بن علوان ، وفي أطروحته للدكتوراه عن إخوان الصفا ، واللتان بحسب علم كاتب المقال قد نشرتا في كتاب واحد لكل منهما؛ وتستمر تلك الرحلة الفكرية إلى أيامنا هذه في مرحلتها الثانية فيما يمكن أن نطلق عليه بمرحلة الفيزيقا الاجتماعية من خلال ما أنجزه وينجزه الدكتور من أبحاث ودراسات علمية لقضايا تتصل بمشاكل المجتمع اليمني وتطلعاته. وعليه سيحاول كاتب هذا المقال أن يوضح الرحلة الفكرية للدكتور ، وهو ما يمكن أن يعد مقاربة أولية لفهم المشروع العلمي لصاحب الرحلة.

ومن خلال معرفتي بالدكتور سواء في الحوارات العلمية أو الكتابات الأكاديمية لاحظت أن له همٌّ علمي ، وشعرت أيضًا في الوقت نفسه أن له همٌّ اجتماعي: فأما الهم العلمي فيتمثل في حبه لنشر الوعي العلمي بأسلوب سهل وعميق ، وأما الهم الاجتماعي فيتمثل بما يطرحه في حواراته وكتاباته من قضايا تتصل بهموم المجتمع اليمني وآلامه؛ لذلك ينبغي النظر إلى كلا الهمين –بحسب وجهة نظر كاتب المقال– أنهما متداخلين ولا ينبغي فصل أحدهما عن الآخر.

وعلى الرغم من أن دراسة المنجز الفكري (المشروع العلمي) للدكتور عبدالكريم قاسم تحتاج إلى دراسة تفصيلية وتحليلية كاملة ، فسيكتفي كاتب المقال بعمل إضاءة لذلك المنجز الفكري بوصفه رحلة فكرية من زاوية الهم الاجتماعي ، والسؤال الذي يطرح نفسه: من أين انبثق ذلك الهم الاجتماعي لدى الدكتور؟

للإجابة على هذا السؤال سنقوم بتوضيح الرحلة الفكرية من خلال مرحلتيها: المرحلة الأولى مرحلة الميتافيزيقا الدينية والمرحلة الثانية مرحلة الفيزيقا الاجتماعية وطبيعة الهم المهيمن على كل مرحلة في الآتي:

قبل بضع سنوات تعرفت على الدكتور عبدالكريم قاسم في كلية الآداب جامعة صنعاء، وفي أول لقاء به شعرت بأنني أعرفه منذ زمن بعيد، فوجدت نفسي أمام مفكر يتدفق علمًا ومعرفةً، وأمام أب ينهمر حبًا واحترامًا، فما إن تجاذبْنا أطراف الحديث حتى زاد اللقاء ثراءً لانفتاحه مع من يحاوره، وشعرت بخلو الحديث من الأفكار المسبقة والقوالب الجاهزة، وكذلك قبوله بالآراء المختلفة،

المرحلة الأولى: مرحلة الميتافيزيقا الدينية

تتميز هذه المرحلة بأن الهم العلمي هو السابق للهم الاجتماعي ، فالهم العلمي يمكن أن نلاحظه من خلال رسالته في الماجستير وأطروحته في الدكتوراه ، فالمتتبع للمنجز الفكري للدكتور يدرك أنه كان مطلعًا وملمًا بالأحداث التي مرت بها باليمن قديمًا وحديثًا ، أضف إلى ذلك ، الأحداث التي عاشها في حياته لاسيما الصراعات التي اندلعت في القرن العشرين إلى أيامنا هذه؛ وبسبب استغلال بعض التيارات الدينية وغير الدينية لتلك الصراعات في نشر عقائدها وأيديولوجياتها في المجتمع اليمني ذي الطبيعة القبلية للحصول على مكاسب خاصة بتلك التيارات؛ مما أسهم في إعاقة تحول المجتمع اليمني إلى مجتمع مدني ، إذ كان ذلك التحول أحد أهم الدوافع للهم الاجتماعي للدكتور والذي كان يطمح بسبب ذلك الهمّ إلى تشكيل المجتمع المدني على أسس علمية وإنسانية؛ مما يؤدي إلى قيام دولة تتعايش فيها جميع التيارات الدينية وغير الدينية جنبًا إلى جنب وبالتالي يؤدي إلى استقرار المجتمع وتطوره.

المرحلة الثانية: مرحلة الفيزيقا الاجتماعية

تعد هذه المرحلة انبثاقًا من المرحلة الأولى ، فبذور المرحلة الثانية تُستشفُّ من خلال نتائج رسالته في الماجستير وأطروحته في الدكتوراه ، ففي خاتمة بحث الدكتور في الماجستير يصف السياق التاريخي (في القرن السابع الهجري) الذي عاش فيه أحمد بن علوان بأنه "مرحلة ازدهار حضاري في اليمن تمثل هذا الازدهار على الصعيد الفكري بالتنوع الثقافي والتعدد المذهبي والمناظرات بين الفرق المختلفة" ، ويذكر الدكتور أيضًا في خاتمة بحثه في أطروحته للدكتوراه واصفًا فلسفة إخوان الصفا بقوله: "وبعد مناقشة مصادر فلسفة إخوان الصفا ، انتقلت إلى تحديد اتجاههم المذهبي وهنا أكدت انفتاحهم الكامل على الأديان والمذاهب والعلوم ، وسعيهم إلى تأليف جماعة مستقلة تهدف إلى

إيجاد دولة تتعايش فيها جميع المذاهب والأديان"

ومن هنا نلاحظ أن الدكتور كان يطمح إلى تكوين وبناء مجتمع مدني توجد على أساسه دولةٌ تتعايش فيها جميع الأديان والمذاهب والتيارات الفكرية والسياسية. هذا الطموح دفعه إلى محاولته فهم المجتمع اليمني ، وقد كان للأحداث التي عايشها الدكتور في النصف الأخير من القرن العشرين لاسيما أحداث ثورة 26 سبتمبر1962م وما تلاها من أحداث إلى أيامنا هذه دور محوري في تعميق ذلك الفهم ، أضف إلى ذلك أن تلك الأحداث وما نتجت عنها من صراعات جعلت المجتمع اليمنى -كما ذكرنا سابقا- عرضة لاستغلال بعض التيارات الدينية وغير الدينية؛ فاتجه الدكتور إلى دراسة تلك التيارات لا لهدف التصادم مع أيديولوجيتها التي قد تهدد بناء الدولة التي يطمح إليها الدكتور ، بل كان الهدف من تلك الدراسة هو ممارسة النقد العلمي والتحليل الدقيق مما يعطي إضاءة لأي شخص سواء من المنتمين لتلك التيارات أو لغير المنتمين إليها في كيفية التعامل مع المختلفين معهم؛ وذلك لتشكيل وعي ثقافي واجتماعي وسياسي...الخ يسمح ببناء مجتمع مدني يهيئ لبناء دولة تتسع للجميع.

ولم يكتفِ الدكتور بالدراسة والتحليل والنقد لتلك التيارات سواء الدينية منها أو غير الدينية ، وإنما اتجه بالبحث العلمي الرصين لشرائح اجتماعية أخرى بما يعود بالفائدة لتلك الشرائح بوجه خاص ولأفراد المجتمع بوجه عام ، فعلى سبيل المثال فقد كان الدكتور خبيرًا استشاريًا لدراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للصيادين في اليمن ، وهو ما جعلنا نطلق على المرحلة الثانية من الرحلة الفكرية للدكتور بمرحلة الفيزيقا الاجتماعية.

وقد تخللت الرحلة الفكرية للدكتور بعض الأبحاث ، بما يشكل انزياحا في الموضوع أو في المنهج عن مرحلتيها: فمثلًا بحثه عن (الفلسفة الطبيعية عند الهمداني) يعد انزياحا عن أبحاثه في الميتافيزيقا الدينية عند أحمد بن علوان وعند إخوان الصفا ، وأما الأبحاث التي انزاحت عن المرحلة الثانية في الفيزيقا الاجتماعية فقد تمثلت من خلال عدة بحوث مثل: بحثه عن (تناول البردوني للتراث الشعبي) فقد سلط الضوء على دراسة المضامين الاجتماعية والسياسية في التراث الشعبي اليمنى من خلال كتب البردوني لاسيما في كتابي البردوني: (فنون الأدب الشعبي في اليمن) ، و(الثقافة الشعبية .... تجارب وأقاويل). وكذلك دراسته لمفهوم الدولة في المجتمع اليمني من خلال الأمثال اليمنية في بحثه (الدولة في الأمثال الشعبية اليمنية).

أما دراسته الموسومة بـ:(Citizenship: and the issue of State in Islamic Thought) والمكتوبة باللغة الإنجليزية عن مفهوم المواطنة فتعد من الدراسات الرائدة من الناحية الفلسفية والعلمية في مجال التعريف بهذا المفهوم.

وختامًا ، فمن خلال ما توفر لكاتب المقال من كتب ودراسات وأبحاث ألفها الدكتور عبدالكريم قاسم في رحلته الفكرية خلال مرحلتي الميتافيزيقا الدينية والفيزيقا الاجتماعية والأبحاث الأخرى التي انزاحت عن الموضوع أو المنهج لما ألفه أيضًا خلال تلك المرحلتين ، نجد أن الهم الاجتماعي فيهما قد انبثق من الهم العلمي ، وقد انعكس الهم الاجتماعي على مجمل النشاط العلمي للدكتور ، وكما قلنا سابقًا: إن دراسة المنجز الفكري للدكتور يحتاج إلى دراسة تفصيلية وتحليلية كاملة ، وما طرح في هذا المقال ليس سوى إطلالة على الرحلة الفكرية للدكتور من الميتافيزيقا الدينية إلى الفيزيقا الاجتماعية ، بحسب وجهة النظر المذكورة في المقال.

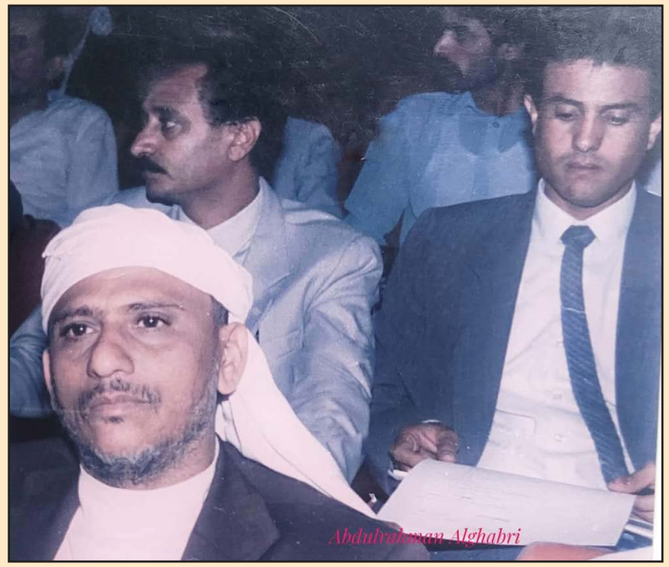

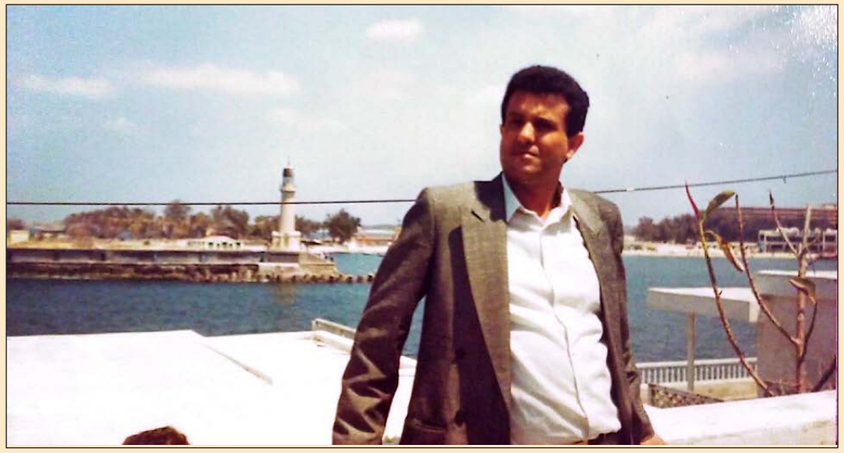

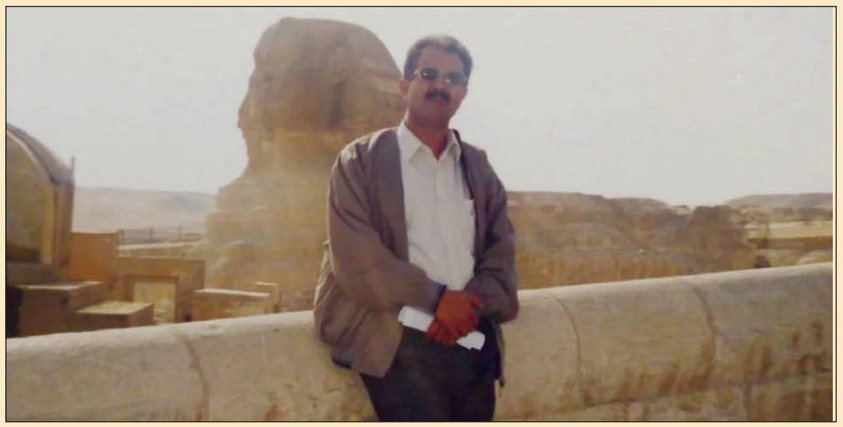

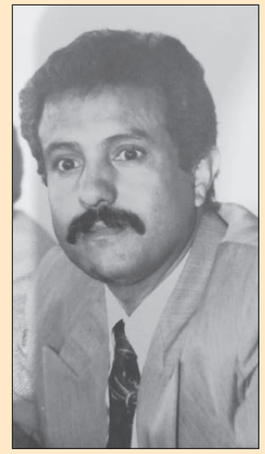

مفاتيحي إلى عوالمهم

علي العجري

«خطوات الأعمى» للروائي نجيب التركي
المشي على حافة الضوء

صديقي نجيب التركي أصدر أربعة كتب منها روايتا شمس الشتاء وخطوات الأعمى لم يحالفني الحظ بقراءة الأولى لكن أسعدني الحظ بهذه الثانية التي سأقف معها في هذا المقال المتواضع.

ولكن قبل ذلك أشير إلى أن نجيب على المستوى الشخصي لا بد إلا أن يكون صديقًا مقربًا عند أغلب الذين يعرفونه- هذا انطباعي عنه منذ قابلته للمرة الأولى في نادي القصة اليمني إلى مقه- شخص يحمل من أناقة الروح ونبل الطباع الكثير وحسب المقولة الشهيرة « كاد المسمي أن يكون خالقًا» .

أما على المستوى الإبداعي فعرفته قارئًا موسوعيًا حصيفًا يجيد الوقوف على زوايا لا يلتفت إليها إلا القلة ومن هنا جاء كتابه المهم «عين على النص» وفيه كان مع النقد وجهًا لوجه بعينة الثاقبة وقراءته المنيرة.

نعود إلى روايته الثانية خطوات الأعمى التي عشت معها لحظات ممتعة.

لا تقل قراءة هذه الرواية متعة عن صحبة نجيب؛ فالرواية ابنة الحكاية وابنة القلق أيضًا؛ تكتب الإنسان وهو يتشظّى ، وتلتقطه وهو يعبِّر ذاته كغريب عنها. تتكئ على احتمالات اللغة ، وتغامر في مناطق الظل ، حيث لا يقين إلا السؤال.

رواية «خطوات الأعمى» محاولة جادة لالتقاط ما لا يُرى ، وكتابة ما لا يُقال. تقرأتها وأنت تصغى إلى ارتجافها الداخلي وكأنها انت. نصّ يمش بعين مغمضة ، وببصيرة مفتوحة على وجعها.

في قلب النص ، تتكاثف المعاناة ككيان خفي يتسلل إلى التفاصيل. شخصية ليان مرآة لروح مثقلة ، تتآكل بصمت تحت وطأة الوسواس القهري وتصرخ من الداخل دون صوت. المرض ظلّ طويل ، يتمدد في اليومي ، ويحوِّل الأشياء البسيطة إلى حقول قلق وتوتر.

أما شخصية يوسف فلها سياق خاص ، حيث تأتي كاحتمال للنجاة ، كشاهد إنساني على الألم... يمشي إلى جانب الجرح ، دون أن يدَّعي امتلاكه. وهنا يأتي البعد الإنساني للرواية التي تعبر عن الإنسان أين ما وجد: في هذا التوازن الدقيق بين القرب دون شفقة ، والمساندة دون ادعاء.

أما المجتمع ، ففضاء قاس ، لا يفهم بقدر ما يُطلق أحكامه. يواجه الألم بوصفات جاهزة ، ويقيس الوجع بمقاييس بليدة سطحية ، فيغدو المريض وحيدا ومثقلا بذاته الملتفة حوله.

تقوم الرواية على تفكيك السرد التقليدي ، حيث تتوزع الحكاية عبر رسائل ومقاطع متقطعة ، وكأن الشكل ذاته يعكس اضطراب المعنى. هذا التشظي ليس مجرد تقنية جمالية ، بل هو محاكاة دقيقة لوعي لا يستطيع الإمساك بخيط واحد مستمر؛ فكل رسالة هي جزيرة ، وكل فكرة هي احتمال ، وكل احتمال هو باب مفتوح على القلق.

وفي هذا السياق ، يبرز صوت الراوي بوصفه كاشفًا لا موجهًا ، يتيح للقارئ أن يتسلل إلى الداخل ، إلى تلك المنطقة التي لا تُقال عادة. فالرواية لا تشرح المرض ، بل تجعلك تختبره ، وتفكِّر من داخله ، لا من خارجه. وهنا تكمن

قوة الرواية في تحويل المعاناة من موضوع للملاحظة إلى تجربة للمعايشة.

وقد نجد في هذه الرواية أفقًا وجوديًا واضحًا؛ حيث يتجاور الجسد والروح في هشاشتهما ، ويتأثران بقوى غير مرئية ، سواء كانت وساوس أو مخاوف أو حتى سياقات أكبر كالحرب. فالحرب ، كما يطرحها النص ، قوة تعيد ترتيب الإنسان من الداخل ، تمامًا كما يفعل الوسواس. كلاهما اقتحام ، وكلاهما يعيد تعريف الذات.

كما تحمل الرواية بعدًا نفسيًا عميقًا ، يتجلى في فكرتها البسيطة والموجعة: أن الحزن ليس استثناء وإنما حالة عامة.

وأحسن نجيب عندما أنسن الوسواس القهري ، فمن أكثر لحظات الرواية دقة وجرأة ، حين يتحول المرض إلى صوت يسأل ويلح. كيان يحاور يضغط ، ويُعيد تشكيل الإدراك. هذه التقنية تكشف منطقه الداخلي ، وتضع القارئ في مواجهة مباشرة معه.

إن «خطوات الأعمى» تجربة مهمة تستحق الإصغاء ، لا تدّعي الكمال ، لكنها تطرح السؤال وتترك مستحة واسعة للقارء ليرى ويكتشف ويتفاعل ويقرر...

إسماعيل فهد اسماعيل
الأب الروحي للسرد الكويتي

محمد محمد مستجاب

أن تلمس أناملك القلم وتخترق الأفكار عقلك ، أن تذوب في السحيم بخارًا في الأفق ، أو أن تتسامي هالة حول القمر أو ضبابا في الشفق أو نقطة ندى على حافة زهرة ، أن تتسلل الأحاسيس والعواطف والعواصف من دورة الحب لترقد في الفؤاد ، أن تكون مشرقًا ، وبسيطا ، وقويًا ، يصبح لوجودك معني وهدف ، فإذا أضفت إلى أن تكون - أيضًا- واعيًا ومدركًا وفاهمًا ، يصبح لحياتك؛ رسالة ، وحينئذ يكون مناسبًا لك أن تنشئ مشروعك الإبداعي ، وتضع بصمتك المتفردة ، وبهذه البصمة تحلق أعمالك في سماء الأدب.

هكذا كان « إسماعيل فهد إسماعيل» (1940-2018) المؤسس الحقيقي لفن الرواية في الكويت ، وأحد الذين مهدوا الطريق وأقاموا الأعمدة للسرد الكويتي ، تتجسد في أعماله الرموز الفاعلة في الحياة الكويتية ، وبهذه الرموز أو البذور التي وضعها في رواياته وقصصه ومسرحياته ، كان ينتقد ، ويكشف أغوار ما يجري على أرض الكويت ، في خضم تجربة حياتيه تلقي بظلالها بين فواصل السطور وتثير كثيرًا من الشجن والحنين والعروبة للتمسك بجذور هذا الوطن (الكويت). في بساطة يجذبك النص الروائي أو القصصي لديه ، وفي عمق ذلك يثير القضايا التي طالما أهلنا عليها الرمال حتى لا تظهر وخوفًا من مواجهه مشكلاتنا ، لذا كان ينتقي أبطاله من المجتمع الكويتي سواء أصحاب الأرض أو الوافدين والعاملين على أ ر ض الكويت ، ومن خلال سرده نعتقد أننا نعرفهم ونراهم ونعرف أغوارهم وندرك أبعاد سلوكهم في النص الروائي وفي الحياة الكويتية ، وهذا ما أدي إلى شيوع شعبيته الأدبية ليس في الكويت فقط ، بل تخطي الحدود لتصبح كتاباته ذات مذاق عربي حقيقي ، لا تستطيع أن تفصلها أو تضع لها حدودًا جغرافية ، وهو ما نراه في أعماله التي كتبت عن أبطال فلسطينيين أو لبنانين أو عراقيين أو مصريين ، لأنه لمسهم وأحتك بهم وشعر وأحس بمعاناتهم حتى صنع بهم سردية عربية عالمية.

كل ذلك جعل إسماعيل فهد إسماعيل صاحب مشروع عظيم وقوي وقومي وعميق في وجدان السرد العربي ، وهو ما أدي إلى أن ينتبه إليه النقاد بداية من أول رواية كتبها عام 1970 «كانت السماء زرقاء»والتي قدمها الراحل العظيم صلاح عبد الصبور ، حيث فائجته وأدهشته فقال: « « أدهشتني الرواية ذاتها ببنائها الفني المعاصر المحكم ، وبمقدار اللوعة والحب والعنف والقسوة والفكر المتغلغل كله في ثناياها».

وإذا كان أصل الفن السردي أن تكون قادرًا على إقامة كيان لغوي تتحرك فيه الأحداث ويتفاعل فيه الأشخاص ، وتمور بين سطوره معانيه ودلالاته ، ويكاد من فرط استيعابه للعالم- أن تعتقد أنه عالمك الخاص ، بك- لذا فقد انشغل إسماعيل فهد إسماعيل منذ وقت مبكر بقضايا العالم العربي ، وكان من ضمن مشروعه السردي التعبير عما حدث في الشخصية الكويتية والعراقية والعربية سواء في نكسة 1967 والتي خصها بروايته «ملف الحادثة 67» ، والحرب الأهلية بلبنان 1975 والقضية الفلسطينية والتي سجلها في روايته «الشيّاح» (1976) ، والتي تعتبر في نظر الكثير من النقاد من أوائل الروايات التي تناولت الحرب الأهلية في لبنان ، كما سجل تلك الفاجعة العظمي للغزو العراقي للكويت 1990 ، موضحًا أسباب وتفاصيل تلك المأساة التي ستظل شائكة في جبين الوطن العربي.

كان للكويت وقضايا المجتمع الكويتي حضور بارز في أعماله ، ويعدّ سرده لتفاصيل حياة الكويتيين في سنوات الغزو العراقي من أهم ما كتب في تأريخ تلك الفترة وتفاصيل المأساة التي حدثت فيها يوما بيوم. وقد شارك

في مقاومة الغزو فترة الاحتلال ، وبعد تحرير الكويت سجل ما حدث في سباعيته:» إحداثيات زمن العزلة» عام 1996 والتي حملت عناوين (الشمس في برج الحوت ، الحياة وجه آخر ، قيد الأشياء ، دوائر الاستحالة ، ذاكرة الحضور ، الأبابيليون ، العصف) ، وفي لك السباعية رصدت الرواية جانبين: ذاتي حيث تحولات بطل الرواية «سلطان» في فترة الاحتلال ، وجو عام يتمثل في رصد نشاطات بعض رجال المقاومة ، وفي الختام نلاحظ أن الذاتي والعام يقدمان في الرواية من خلال رؤية شخصية متفاعلة مع الحدث الكارثي وهو الغزو.

لذا أخذت الكويت وشخصياتها قبل الغزو العراقي وبعده مساحة كبيرة من أعماله ، لفهم ما حدث ليس على الجانب العسكري أو الجغرافي فقط ، بل على المستوي الروحي الإنساني لأشخاص لمسوا بأيديهم وشاهدوا بعيونهم تلك الأحداث الكبرى وجعلت شخصياتهم تتفتت وتتحول لأشخاص أخري بعد كل حادث أو فاجعة تحدث.

ولأنه يرى ما لا نراه ، فقد كانت روايته الشيقة « في حضرة العنقاء والخل الوفي» عام 2012 ، إحدى السرديات التي نبهت العقل الكويتي لقضية « الكويتيين البدون» ومعاناتهم والظلم الواقع عليهم من خلال بطلها «المنسي» الذي عاش في وطنه دون أن يعترف له الوطن بوثيقه هوية ، وعندما يأتي الغزو العراقي تصبح فرصته الحقيقية لإثبات ولاءه وانتمائه من خلال الدفاع عن وطنه الكويت ، بالمثل قدم روايته « طيور التاجي» 2016 وتناول فيها قضية أخري ملقيا الضوء على الاسري الكويتيين في سجون العراق بعد الغزو العراقي الغاشم.

كما شغلت كثير من القضايا العربية اهتمامات أعماله السردية سواء القضية الفلسطينية والتي كانت حاضرة في بعض أعماله وقدمها في روايته الذاتية « على عهدة حنظلة» والتي يؤرخ فيها لسيرة صديقه المناضل الرسام الشهير «ناجي العلي».

ويبدو أن مصر ونيلها كانا لهما مساحة كبيرة في عقل وقلب إسماعيل فهد إسماعيل ، خاصة تاريخها في فترة حكم المماليك ، فقدم روايته « النيل يجري شمالا» 1983 ، والتي كتب فيها عن قرية « كفر العسل» بمحافظة الجيزة وما يعانيه أهلها من سيطرة وعبودية في فترة حكم «مراد بك» ، ثم روايته « النيل الطعم والرائحة» والتي تحدث فيها عن البطل الشامي «سليمان الحليبي» الذي قتل القائد الفرنسي «كليبر» أحد قادة الحملة الفرنسية على مصر.

كان إسماعيل فهد إسماعيل قيمة كويتية عربية خالصة وبالغة الخصوصية وعميق الإحساس بالآخرين وقادر على رعايتهم واحتضانهم - خاصة الكتّاب- الذين قدمهم من خلال مشروعاتهم أو تتبع أعمالهم وكتب عنهم ، دراسته الكبيرة والهامة مثل: « القصة العربية في الكويت» 1977.

ولأنه صاحب موهبة حقيقية ومتجددة ، فقد كتب في كثير من المجالات الأدبية ، تاركًا في كل فرع بصمته الخاصة ، فلا نستطيع أن ننسي رواياته :» الحبل» ، «الطيور والأصدقاء» ، كما ترك عدة مجموعات قصصية منها:» البقعة الداكنة» ، و الأقفاص واللغة المشتركة» ، ولم ينسي خلال رحلته أرض النقد حيث قدم عدة دراسات منها :» الفعل الدرامي ونقيضه « و « القصة العربية في الكويت» ، و» علي السبتي- شاعر الهواء الطلق» ، و» ما تعلمته الشجرة» وهي دراسة عن الكاتبة ليلي العثمان ، وأيضا للمسرح قدم عدة مسرحيات منها:» للحدث بقية — ابن زيتون» ، وتبقي دراسته الهامة عن المسرح « الفعل الدرامي ونقيضه» 1978 ، بالإضافة إلى تقديمه لعدة دراسات هامة لمسرح « سعدالله ونوس».

ولقد نال إسماعيل فهد إسماعيل الكثير من الجوائز الكويتية والعربية من أهمها:» جائزة الدولة التشجيعية في مجال الرواية ، عام 1989.» ، ونالها في مجال الدراسات النقدية ، عام 2002 ، كما ترشحت روايته البديعة « الخل الوفي « لجائزة البوكر عام 2012

ويبقي لإسماعيل فهد إسماعيل بعيدًا عن أرض الورقة البيضاء ، هو فاعلياته الهامة في الحياة الأدبية الكويتية والعربية ، من خلال المشاركة في الكثير من الندوات والمؤتمرات والتي جعلت من جلساته الحوارية أرض لفهم كثير من الأحداث التي تحدث على أرض الوطن العربي ومعرفة تحولات وأفكار إنسانه البسيط.

إسماعيل فهد إسماعيل هو المؤسس الأول للفن الروائي الكويت ، وهو الاب الروحي للسرد الكويتي والذي قدم سردية أدبية مغاير وحقيقية نفذت إلى القلب والعقل العربي على مدار أكثر من نصف قرن ، وطرح اسمه كمشروع أدبي هام في السرد العربي ، وبالتالي تناولت أعماله يد المترجمين عابرًا بها أفاق نحو عالمية الأدب الكويتي ، وفاتحًا بابا كان يبدو للكثيرين صعبا وهو ظهور نخيل وتمر الأدب الكويتي على سطح العالم.

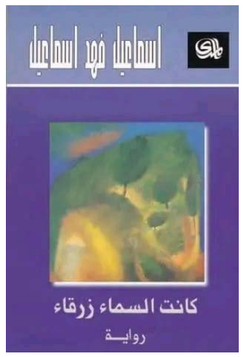

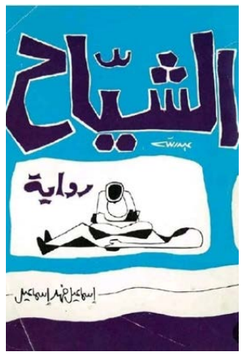

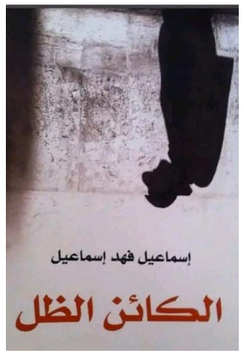

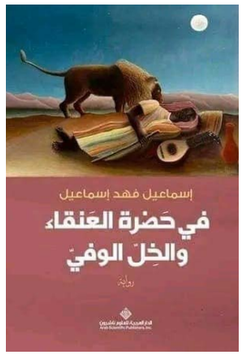

الأحياء القديمة في القاهرة

رحمان خضير عباس

أحياء مصر القديمة هي مرآتها الحقيقية ، لأنها تشّكل العمق التاريخي للقاهرة. ومنها (حي الحسين ، والغورية ، وخان الخليلي ، والأزبكية ، وبين القصرين ، والأزهر) ، ولقد تجولت في هذه الأحياء حيث تختلط الأزقة الضيّقة بالمساجد الأثرية والأسواق المتهالكة في تناغم غريب ، وكأن ثمة تعايشا خفيا بين هذه العوالم –العيش اليومي– نهارا ، أو ليلا ، والأثر التاريخي الذي يكون خلفية لمشهد حياتي ، وكأنه مسرحية يومية مستمرة في تلك الأماكن الفريد من نوعه.

مسجد الحسين في الحي الذي سمي باسمه ، يتحوّل إلى قطب روحي ، وقد تأسس سنة 1154 م في عهد الخليفة الفاطمي في الموقع الذي يُعتقد بأن رأس الحسين قد نُقل إليه من عسقلان بفلسطين ، وقد تعرض المسجد للحريق في نهاية القرن الثامن عشر ، فأعيد بناؤه على الطراز الإسلامي ، حيث المآذن العالية المزدانة بالزخارف والنقوش والتي تغيرت وفق فترات الحكم المتعاقبة من الأيوبيين والفاطميين حتى العثمانيين. وقد أصبح ما يحيط بالمسجد حيا يتفرع إلى أزقة مشحونة بعروض البضاعة والباعة المتجولين والمشاة الذين يتسكعون إضافة إلى سكان الحي والباعة وذوي المهن والمتسولين وعارضي الفرجة ، يضاف إلى ذلك أفواج من السياح الذين يتصلبون على جدران الدهشة من غرائبية المشهد وحركته المتسارعة ، وزعيق أبواق السيارات ، وكأنك في مسرح مفتوح.

ثمة مقاهي معروفة مثل مقهى الفيشاوي ، جعلت من قُدَمها وعمر تأسيسها علامة تجارية لاستقطاب الباحثين عن الفرجة ، عشرات المقاهي والزوايا التي تقدم رقصات صوفية ، والبعض منها تقدم الأغاني الشعبية والتقليدية مشفوعة ببعض الرقص الشرقي ، والأداء الصوفي والغناء بأنواعه. إنها النقائض مجتمعة ، حيث تستيقظ في النهار كل الصناعات اليدوية القديمة التي حافظ عليها الناس ، وأصبحت بؤرة جذب سياحي أما الليل ، فالمجال مفتوح لكل التنوع الفرجوي ، وحيث السهر في مدينة تنبض بالصخب والزحام وأصوات المركبات يصاحبه أصوات الباعة الذين يستدرجون المارة إلى بضائعهم أو مقاهيهم.

شارع المعز يلهث بالأضواء ، وهو من الشوارع الحافلة بالأبنية التراثية التي تعود إلى مرحلة الفاطميين. أسواق الذهب التي تغلق أبوابها في بداية المساء ، وأسواق التحف المستنسخة ، والبردي والصناعات اليدوية ومنها فوانيس رمضان وأدوات شم النسيم. كل شيء تجده في هذا الشوارع الضيقة وبين المآذن الشاهقة الارتفاع.

الناس في مصر أكثر تسامحا من غيرهم مع الآخر ، فتجد مقهى للرقص والغناء بعيد عن مكان العبادة ، المساجد والكنائس بمحاذاة أماكن اللهو ، والمقاهي بين جنبات التكايا الصوفية ، بعض الأرصفة تُغلق في صلاة الجمعة ، ثم يتحول بعضها إلى مقاه تعجّ بالشيشة ، إنه عالم متنوع في صخبه مما يمنحه لذة استثنائية.

غير بعيد عن حي الحسين يقع مبنى الأزهر الذي تختلف مآذنه عن بقية المآذن الأخرى ، لأنها تمتلك نهايات ثنائية ، وعلى جنبات جامع الأزهر تمتد أحياء كثيرة تضم مكتبات تزخر بالكتب الدينية ، ومن هناك تلتقي بوجوه أسيوية تتكلم العربية الفصحى ، وهم من دول مختلفة جاءوا إلى الأزهر لتعلم اللغة العربية وأصول الفقه ، لذلك فهم يسكنون في أماكن شعبية رخيصة ، كي يتحملوا أعباء العيش ريثما يكملون دراستهم ويرجعون إلى بلدانهم. في تلك الأزقة كان يعيش الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم ، وفي تلك الأحياء استلهم وصديقه الشيخ إمام هموم الناس فحولوها إلى أغاني وطنية ، محاطين بالطلاب الذين يرددون معا «مصر يامة يا بهية » وكأنهم يرفضون هزيمة حزيران.

أحياء مصر القديمة ليست أزقة للسكن بل مدرسة للحياة ، استطاع الشاعر أمل دنقل أن ينقل دفق الحياة فيها شعرا ، كما استلهم منها نجيب محفوظ أفكار مجمل رواياته.

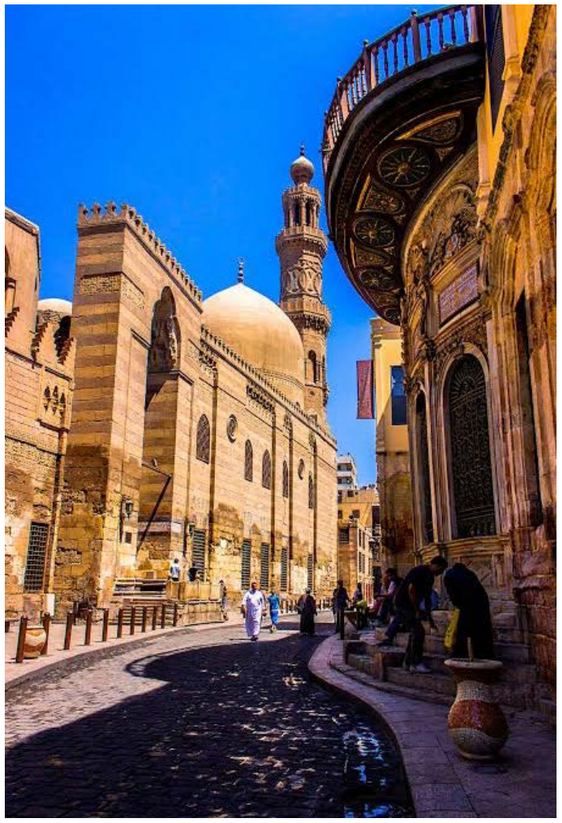

ثقافة نفسية

الإبداع جذوة لا تنطفئ،
وحالة لا تعرف الخمول

د. عبدالحافظ الخامري

يعد الإبداع وليد معاناة ، وبعدًا أصيلًا من أبعاد الشخصية الإنسانية تتم فيه ولادة الفكرة كولادة الطفل.
فهو لا يأتي بسهولة ، ولا تُكَف ولادته بسبب صعوبته...
وعدم الفوز بمسابقة ما لا يعني أن صاحبه ليس مبدعًا ، أو أن إبداعه انتهى؛ فالإبداع حالة تولُّد لدى المرء...
بل يعني أن ثمة أجزاء معينة ينبغي إضافتها ، وأجزاء أخرى قد تحتاج للتطوير ، وجوانب أخرى ينبغي مراعاتها عند الشروع بمشروع ما ليغدو أكثر جدوى وفائدة ، وهكذا دواليك...

فجذوة الإبداع لا تنطفئ بمجرد عدم القبول أو الفوز في مرحلة ما... فبُعد الإبداع في الشخصية الإنسانية يعبِّر عن نفسه بعدة طرائق قد يكون أحدها ابتكار جهاز ما ، أو إنجاز بحث علمي رصين ، أو انتهاج طريقة أداء مميزة ، أو كتابة قصيدة شعرية ، أو تقديم خدمة نافعة... فمتى ما وجد الإبداع فسيعبِّر عن نفسه حتى في مظاهر الحياة اليومية الاعتيادية... خاصة أن مكافأته فيه... فهو حالة فريدة في الأداء الذهني أو العملي يلازم المرء طوال حياته في: الأفكار ، والأقوال ، والمشاعر ، والأفعال... وليس حالة مؤقتة تنتهي بانتهاء موقف أو مرحلة مؤقتة... وعليه فلا ينبغي أن تطغى حالة الإحباط كنتيجة لعدم قبول أو عدم توفيق على بقية جوانب الحياة فتصيب المرء باليأس والقنوط...
فإذا تعطلت مساحة معينة في مزرعة بسبب تلوث التربة أو ما شابه فلا ينبغي ترك بقية المساحة بدون زراعة؛ فقد يكون التعويض في بقية المساحة أفضل نتيجة للحرص على المزرعة والاهتمام بها ككل...
وهنا لنا كلمة ، فإن لم يفز مشروعك في مرحلة ما فلا ينبغي أن تتوقف عن تحسينه وتطويره فقد يكون الفوز مرحلة انتهاء وركود كونك حققت هدفًا معينًا أو أحرزت مكانة ما ، وتوقفت عنده منتظرًا من الآخرين الإقبال عليه...

أما في حالة الإخفاق فستستثار لديك حالة التحدي وتأكيد الذات ، فتعمد إلى مراجعته لاستكشاف الأخطاء أولًا ، وستغير التفكير والأداء لطريقة أكثر فاعلية وإثمارًا مرة أخرى.

فيا أيها المبدع استمر في حرث وتسميد وسقي مزرعة أفكارك لتعطيك خيرها أكثر إيناعًا ونضجًا...

شرائط الساتان
من البراءة المزينة إلى الجروح المثقوبة

نجيب التركي

منذ اللحظة الأولى ، بدا لي أن مقاربة هذه المجموعة ستكون مغامرة ضرورية. صحيح أن ما سأكتبه لا يُقارن بما قد يكتبه النقاد المتخصصون ، لكن واجبي كقارئ جعلني أخوض غمار هذه التجربة ، إذ وجدت نفسي مُسَيّرًا إليها أكثر من كوني مُخيَّرًا.
تأتي مجموعة شرائط الساتان (٢٠١٩ ، دار العين للنشر – القاهرة) للكاتبة اليمنية غدير الرعيني كأول إصدار قصصي لها ، لتضع بصمتها في فضاء السرد العربي المعاصر. المجموعة تضم نصوصًا قصيرة تتسم بالجرأة في الطرح واللغة الشاعرية المكثفة ، إذ تنفتح على عوالم داخلية مأزومة ، وتقتحم مناطق مسكوت عنها كالعنف الأسري ، والاغتراب عن الذات ، والرعب النفسي.

الغلاف

لا يمكن المرور على شرائط الساتان من غير التوقف عند غلافها ، الذي أنجزه الفنان فرانكشتاين. جاء بتصميم مركّب على أرضية فاتحة ، تتوزع فوقها عناصر متباينة: فتاة صغيرة بضفيرة تنتهي بشرائط ساتان حمراء ، مشهد داخلي يتوزع فيه أثاث وأجساد ، طائر صغير يحلّق ، ونباتات معلقة على الجدار. غير أن هذه الأشكال الواقعية تتجاور مع بقع حبر داكنة وخطوط تجريدية تشي بالعطب والتشويه. المفارقة البصرية واضحة: شريط الساتان الأحمر ، رمز الزينة والبراءة ، يبدو مركز الصورة لكنه محاط ببقع غامضة تهدد نقاءه. أما الفتاة فتعطي ظهرها للقارئ ، في إيماءة اغتراب أو انسحاب من المواجهة. وهكذا يجمع الغلاف بين إغراء البراءة وظلال التهديد ، ليقدّم منذ البداية صورة مزدوجة تعكس جوهر المجموعة: عالم يُزخرف بالنعومة لكنه مثقل بالظلمة والاختناق.

العنوان

يُشكّل العنوان (شرائط الساتان) عتبة نصية مبُهرة. فهو يوحي للوهلة الأولى بالنعومة والأنوثة والزينة ، لكنه في الوقت نفسه يحمل التباسًا مقصودًا. فما يشي بالحرير والرقة ينقلب في الداخل إلى نصوص غارقة في العتمة والكابوسية. هنا نجد مفارقة دلالية: من الملمس الناعم إلى الجرح ، ومن الشريط البهي إلى القيود الخانقة.

الإهداء

تبدأ الكاتبة إهداء مجموعتها بتفصيل دافئ وشامل:
«شمسي الأزلية.. مرآة سعادتي وحزني.. أمي.
معراج روحي.. قاموس ذكرياتي المبهج.. أبي (تغشاه ألف رحمة).
تعويذة البسمة والحياة.. ربيعي الوارف بالبنفسج.. م. حامد الفقيه.
المتيمة به حد الوله.. عطر فؤادي وضي عيني.. تيم.
إخوتي وأخواتي.. سندي للحياة..
صديقاتي.. قزح أيامي الذي لا يغيب..
كل من آمن بي.. قلبي ممتلئ بالكثير من الجمال الذي لا أستطيع حصره.. إليكم جميعًا أهدي باكورة أعمالي ، التي ولدت من بياض»
هذا الإهداء ليس مجرد تحية ، بل يعكس الحنين ، والامتنان ، والارتباط العاطفي العميق لكل من شكّل حياة الكاتبة ، بدءًا من الوالدين مرورًا بالأصدقاء ، والأحباء وحتى جمهورها. وجود هذا الطيف من الشخصيات في الإهداء يعطي المجموعة بعدًا إنسانيًا ، يعاكس الظلمة والكابوسية التي تسود نصوصها ، ويبرز التوتر الدائم بين العاطفة الدافئة والعالم الداخلي الممزق.

اللغة والأسلوب

تتسم قصص غدير الرعيني بلغة شاعرية مكثفة ، مشبّعة بالصور ، والانزياحات البلاغية ، بحيث يكاد القارئ يلمس أن الشاعرة تتخفى خلف القاصة. تظهر هذه النزعة بوضوح في القصة الأولى (اللوحة الناقصة) ، حيث تتوالى الصور بين المرآة والوجه الممزق واللوحة المشوهة ، وصولًا إلى الدم كوسيلة لإعادة تشكيل الهوية.
تبلغ القصة ذروة قوتها عند الجملة الصارخة «لست أنا» ، التي تختزل أزمة الهوية في أقصى صورها ، ثم تمتد لاحقًا إلى مشهد دموي يضاعف من كابوسية النص ، وإن كان على حساب التكثيف الذي يميّز القصة القصيرة عادة. وهكذا نلمس مفارقة أسلوبية: بين الاقتصاد اللغوي الذي يمنح النص توتره وقوة حضوره ، وبين الانزلاق أحيانًا إلى الإطناب

والتكرار ، كما في تعدد الأسئلة المتلاحقة التي كان يكفي منها القليل. مع ذلك ، فإن هذه الشاعرية المفرطة ، والخيال المأساوي الكابوسي ، يمنحان المجموعة هوية خاصة ، تجعلها أقرب إلى نصوص قصصية- شعرية تهجس بالداخل الممزق ، وتستدعي الرعب النفسي والرمزية السوداء أكثر مما تستدعي الحكاية التقليدية.

القصة الثانية: (جوع)

تأتي قصة جوع لتجسّد أحد أبرز تمظهرات المفارقة المركزية في المجموعة ، وهي مفارقة الصراع بين براءة الحلم وقسوة الواقع. فبينما يبدو الحلم في بدايته ك .(شريط ساتان) واعد ، سرعان ما تتحول ملوحته — رمز الصعوبات والعقبات — إلى عبء يحتاج إلى تجفيف. لكن محاولة حفظ الحلم وتعليقه على (حبل الأمنيات الشاحبة) تصطدم بعاصفة الروتين اليومي والنسيان ، ليكتشف الراوي في النهاية أن الحلم قد تبخر ولم يبقَ سوى (آثار قليلة لملح مترسب). هنا تتحول القصة إلى كابوس وجودي عن الاغتراب والضياع ، حيث ينشطر الوعي بين أنا حالمة ومخيخ جائع ، يمثل الضرورة اليومية التي تلتهم الأحلام وتترك الذات في مواجهة فشل مزدوج: فشل في تحقيق الحلم ، وفشل في إدارة الحياة اليومية نفسها ، المتمثل في حرق طعام الغداء. بلغة شاعرية مكثفة ، ترفع القصة حدثًا يوميًا عاديًا إلى مستوى التراجيديا ، مؤكدةً رؤية المجموعة التشاؤمية التي ترفض النهايات السعيدة ، وتكشف كيف أن البدايات الباسمة ما هي إلا فخٌّ ننساق إليه قبل أن تتكشف خيباتنا ، فنبكي القدر الذي شاركنّا في صنعه.

القصة الثالثة: (شرائط الساتان)

تمثل القصة العنوانية (شرائط الساتان) ذروة التجلي المرير للمفارقة التي ينطوي عليها عنوان المجموعة. فالشريط الأحمر ، رمز الزينة والطفولة البريئة ، يتحول في مسار الأحداث من أمل لاستعادة البسمة إلى نذير موت دامي ، حين تسيل ألوانه على جسد الطفلة نغم. تقدم القصة سردًا مكثفًا لعنف مزدوج: عنف الفقر الذي يدفع بأم إلى هوامش البقاء ، وعنف اجتماعي يسرق طفولة ابنتها ، لتبدو كلماتها أكبر من عمرها بعشرات السنين. بلغة تجمع بين قسوة الواقع وشاعريته ، تكشف الرعيني مأساة أنثوية صامتة ، حيث تصبح التضحية الأمومية عبئًا نفسيًا ، ويغدو حلم بسيط — وضع زهور على قبر الأب — بوابة إلى نهاية تراجيدية. القصة ، بهذا ، تكون قد أغلقت دائرة العنف التي افتتحتها المجموعة ، مؤكدة أن البدايات الباسمة في هذا العالم ليست سوى فخ تؤدي إلى خيبات تعري البؤس الإنساني في أقسى صوره.

القصة الرابعة: (امرأة مثقوبة) حين ينقلب الحنان إلى جريمة

المجموعة غارقة في العتمة. الرعيني تكتب من قلب الكابوس ، وتغوص في مساحات الرعب النفسي والاجتماعي. تتكرر في النصوص رموز الظلام ، الصقيع ، الهاوية ، الخوف ، الصمت... كأنها مفردات ثابتة في معجمها القصصي.

تُعد قصة (امرأة مثقوبة) (ص ٤١) لحظة فارقة في المجموعة ، حيث تبلغ جرأة الكاتبة ذروتها باقتحامها أحد أقسى التابوهات الاجتماعية: جريمة زنا المحارم. إذا كانت القصص السابقة قد صورت أشكالًا من العنف الخارجي أو الوجودي ، فإن هذه القصة تقتحم أقسى منطقة مسكوت عنها ، لا بمجرد وصف الجريمة ، بل بالغوص في المفارقة الأكثر إيلامًا: كيف يتحول أعمق مصادر الأمان — حنان الأب — إلى مصدر للرعب والدمار.

لا يقتصر الصدم هنا على فظاعة الفعل نفسه ، بل على الطريقة التي يُسرد بها. فالقصة تصور الجريمة بلغة مكثفة ، لا عبر مشاهد صريحة ، بل من خلال تلك اللحظة الصامتة بعد الكارثة. الأب لا يظهر كوحش ، بل كشخص يتناول الإفطار بعد أن انتهك براءة ابنته ، في صورة توحي بالاستمرار الطبيعي للحياة. هذه الطبيعية الشيطانية — حيث تذوب الجريمة في روتين الحياة اليومي — هي ما يصعق القارئ ويهز وجدانه هزًا.

لكن قلب المأساة يكمن في براءة الطفلة التي لم تدرك الجرم. فهي لا تزال تشعر بـ حنان والدها عليها ، عاجزة عن إدراك أنها تعرضت لجرم يُهشم عالمها من الداخل. هذا التناقض — بين شعورها بالحنان واستغلاله لوأده — هو ما يخلق الثقب في كيانها. الطفلة هنا هي المرأة المثقوبة منذ طفولتها ، حيث تُسرق أنوثتها قبل أن تزهر ، ويُختطف عالمها الآمن. نظراتها المتباعدة هي الصرخة الصامتة الوحيدة التي تُخفي عالمًا متهشمًا لم يُولد بعد في وعيها بالكامل.

بهذا ، تتحول القصة من سردٍ لجرم إلى تشريح للصدمة النفسية في أطهر مراحلها. وهذه القصة وحدها تشهد بأن غدير الرعيني قاصة لا تهاب مواجهة المسكوت عنه ، بل وتتمكن من زلزلة وجدان القارئ ليس بالصريح من الكلمات ، بل بالصمت الذي يلي الجريمة ، والبراءة التي لا تعرف أنها انتهكت.

قصة (أجــرة) - الومضة التي تهزُّ الأعماق

إلى ما قبل الكتابة هنا؛ اكتفيت بالحديث عن ثلاث قصص قصيرة ، وسأتحدث عن إحدى الأقاصيص الموضوعة في نهاية المجموعة.

في أقصى حالات التكثيف السردي ، تقدّم غدير الرعيني واحدة من أقسى استعارات المجموعة في قصة (أجرة) التي لا تتجاوز سطرين ، لكنها تحمل قدرًا هائلًا من الدلالات:

«لأنه أحبني كثيرًا خبأني في محفظته.. استقل سيارة أجرة وعندما غادرها.. دفع بي الثمن!»

المفارقة المأساوية: الحب الذي يفترض أن يكون ملاذًا آمنًا يتحول إلى أداة خيانة. العبارة الافتتاحية «لأنه أحبني كثيرا» - التي توحي بالدفء والأمان - تنقلب فجأة إلى صفعة قاسية عندما يتحول الكائن المحبوب إلى مجرد عملة للتبادل.

رمزية المحفظة: الخبء في المحفظة لا يعني الحماية ، بل يعني التحويل إلى سلعة. المحفظة هنا ترمز إلى فضاء التملك والتبادل التجاري ، حيث تفقد العلاقات إنسانيتها لتصبح مجرد أرقام في معادلة اقتصادية قاسية.

الخيانة المزدوجة: الخيانة هنا ليست فقط في التخلي ، بل في طريقة التخلي. استخدام المحبوب كـ ثمن للخدمة يحوله من ذات مُحبّبة إلى وسيلة دفع ، وهي إهانة وجودية تمس جوهر الإنسانية.

الاقتصاد اللغوي المذهل: تبلغ براعة الكاتبة ذروتها في هذا التكثيف المأساوي. كل كلمة تحمل ثقلًا دلاليًا هائلًا: «خبأني» (الإخفاء والتبعية) ، «سيارة أجرة» (العالم العابر والعلاقات المؤقتة) ، «دفع بي الثمن» (الاختزال إلى شيء). هذه الومضة تختزل ببراعة أحد أهم ثيمات المجموعة: الاستلاب في العلاقات الإنسانية وتحولها إلى سلع في مجتمع قاس. هي صرخة ضد الاغتراب العاطفي حيث يتحول الحميم إلى سلعة ، والحب إلى عملة للتبادل.

خاتمة

يمكن القول إن شرائط الساتان هي باكورة جادة لكاتبة تدخل عالم القصة القصيرة بثقة. صحيح أن النصوص تتأرجح بين لحظات قوة عالية (كما في امرأة مثقوبة ، والتنهيدة امرأة) ، ولحظات ضعف تتمثل في التكرار والإفراط في الشاعرية ، لكن المجموعة في مجملها تحمل توقيعًا خاصًا وملامح مشروع أدبي واعد.

إنها قصص تُسائل المسكوت عنه ، وتضيء المناطق المظلمة في النفس والواقع ، وتفعل ذلك بلغة شاعرية كثيفة ، تجعل القارئ يخرج من التجربة مثقلًا لكنه ممتنّ لجرأة الكاتبة على اقتحام المحرّمات .

الأمثال اليمنية: ذكاء اليمني وفلسفته

مقداد زعقان

إذا أردت أن تقيس مدى وعي أي شعب أو أمة انظر إلى أمثالها ، فلطالما كانت الأمثال هي روح التجارب وما يخرج من الإنسان حينما يشتبك بالحياة وجهًا لوجه دونما مساحيق أو زيف ، الأمثال هي الوعي الذي نكتسبه من أسلافنا والخبرة التي نحصل عليها في الحياة ، اليمنيون صحيح أنهم كانوا أميين لكنهم خاضوا الحياة بأيدٍ عارية ، وظهور مكشوفة ، لذلك كانت أمثالهم تتناسب طرديًا مع مقدار حساسية التجربة ولؤم الواقع ، المسجّى بالحروب والآلام ، فتاريخ اليمني تاريخ بين بندقية وبين معول للزراعة.

اليمن مزيج متنوع ثقافيًا

اليمن نتيجة للمساحة الجغرافية الواسعة نوعًا ما ، اليمن ذو ثراء ويمتلك مزيجًا من الثقافات والعادات والتقاليد ، من بين هذه التنوعات هي تنوع الأمثال من محافظة إلى محافظة أو من مديرية إلى مديرية ، والإنسان مبدع كلما زاد اختلافه عن الآخر ، وكل هذا يخضع لمدى تعايشه نفسيًا ، وزيادة إنتاجيته العملية في الحياة ، لأن الذكاء مرتبط بالواقع ، وكلما زاد عمل الإنسان زادت إنتاجيته وزاد دخله ، على المستوى المادي وعلى المستوى النفسي وشعوره بالاستقلال والسواء النفسي ، لذلك تجد المناطق التي تزيد إنتاجيتها العملية واشتباكها بالحياة كـ(عتمة ، وتهامة ، وبرط الجوف ، وعنس وووالخ) ، تكثر فيها الحكم والأمثال نتيجة لتطورهم نفسيًا واستقلالهم معنويًا.

ارتباط حياة اليمني بالأمثال

في خضم حياة اليمني ارتبطت حياته بالأمثال بكل مجالاتها ، هو في بيته يضرب الأمثال وفي الزراعة يتغنى بالأمثال ويخرج مكنونات نفسه ، وفي المسجد هو حكيم وقاض بالأمثال ، فالأمثال هي العرف الدستور الشفهي الذي يمثل دستوراً غير مكتوب ، في كل مواقف حياة اليمني تجد المثل يظهر عند كل حادثة ، وعيٌ مشتبك بالحياة ، في كل مشكلة يظهر المثل ويكون سبيلًا للحل والخروج من الأزمة بين الطرفين وإنهاء التفاوض.

ذكاء اليمني الفطري

يقول البردوني في كتابه الثقافة الشعبية «إن اليمنيين أذكياء بالفطرة» معللًا ذلك بأن اليمني يتعلم أي مهنة بدون أي كورس أو معلم ، إنما يتعلمها من خلال النظر فيمن يقوم بالعمل ، وفي هذا الشأن نستطيع أن نقول إن في كلام البردوني نوعًا ما من الاستحقاق ، نظرًا لما نراه في أمثالنا وحياتنا العلمية والعملية ، وكثرة «هجرات العقول» إلى البلدان المتقدمة.

الزراعة وولد زايد والأمثال

لطالما كانت أشعار علي ولد زايد أهازيج ومهاجل يتغنى بها اليمني الصغير قبل الكبير ، من ذا الذي لا يحفظ «ما يجبر الفقر جابر

إلا البقر والزراعة ، ولا جمالًا تسافر تقبل بكل البضاعة ، ولا القلم والدفاتر ، ولا مرة من قبيلة فيها الورع» ، أشعار ولد زايد أكسبته شعبية وجعلته كشخصية جحا في المخيال العربي ، وكما يُقال إن شخصية جحا خيالية ، يقال كذلك في ولد زايد ، لكنّي أرى أن ولد زايد شخصية حقيقية ، يقال في السير إن ولد زايد عالم فلكيّ دقيق في رصد الظواهر الطبيعية والفصول ، يُعد الشاعر (عبد الله البردوني) من أكثر المهتمين والدارسين لأدب وحكم ومقولات (علي ولد زايد) ، أفرد له في كتابه (فنون الأدب الشعبي في اليمن) فصلًا كاملًا ، أورد فيه كثيرًا من أقواله ، ودراسة تاريخية ونقدية ، أبرزت كثيرًا من أعماله ومقولاته الشعبية الشهيرة ، وأصدر ديوانًا شعريًا استوحى عنوانه من سيرة صاحب الترجمة فسمّاه (رجعة الحكيم ولد زايد).

فلسفة اليمني في أمثاله

اليمني لذكائه وحنكته كما أسلفنا ، يكتسب تراثًا شفهيًا قلّ نظيره ، ويتصل بالواقع ، ويتوافق مع بعض النظريات العلمية ، أرى أن الحياة مدرسة ، لا تحتاج أنت إلى كتاب ، امش وستعلمك ، فقط خض ولا تخف ، ذلك ما جسّده اليمني في أمثاله وحكاياته ، فمثلًا يقول المثل «إذا كثروا بثروا» أي إنه كلما كثر الذين يقومون بعمل واحد كلما قلت إنتاجيتهم ، في علم الاجتماع يقال إنه كلما كثر الذين يقومون بعمل واحد تقل إنتاجيتهم ، لأن كل شخص يصبح معتمدًا على الآخر في إكمال المهمة ، والأمثال كثيرة وعديدة على شاكلة هذه ، ما عليكم سوى الاطلاع عليها. وكذلك هناك مثل يقول «كثرة المعرفة حزن» وهذا يعني أن الوعي يشقي صاحبه ويجعله دائم الانتقاد والبؤس ، ويقول دوستويفسكي «الوعي لعنة» ، هذا يكشف لنا مدى عمق الإنسان اليمني واتصاله بالحياة ، وخوضه التجارب بوعي وبلا أي معايير مسبقة ، بل يطلق عليها دساتيره الخاصة وحكمه المستقاة من التجربة ، فاليمني عندما ذو وعي شاهق وعقل متزن ، عندما أراد أن يعبد آلهة غير الله لم ينحت أو يجسّم ، بل ذهب إلى عبادة الشمس لارتباطه الشعوري واتصاله مع الحياة ، ومدى اتصال باطنه بوعيه واتساقه معها ، لذلك أنتج مثل هذه الحكم الخالدة.

سيمياء الحنين في النص المخملي
تحليل قصيدة قصيدتي المخملية

أشرف ضلع-لبنان

العنوان

قصيدتي المخملية للشاعرة (ياسمين هرموش) يبرز العنوان استخدام لفظ المخملية الذي يوحي بالنعومة والرفاهية مما يعكس عمق المشاعر والحنين الذي تحمله القصيدة.

الموضوع

تتناول القصيدة موضوع الحب والشعور بالافتقاد ، حيث يعبر الشاعر عن سعيه للعثور على ما يدفئ قلبه ، ويعبر عن مشاعر عميقة من الشوق والأسى.

البنية

تتكون القصيدة من مقاطع مترابطة تعكس حالة نفسية متغيرة تبدأ بالتساؤل والبحث ، ثم الانتقال إلى مشاعر الندم والفقد.

الصور الشعرية

التشبيهات والاستعارات يستخدم الشاعر تشبيهات غنية مثل: سيقان جرداء ، وعناقيد مسرة ، مما يضفي عمقا بصريا وعاطفيا على النص. التضاد يظهر في المقارنة بين الشغاف ، وفزاعات التي تعبر عن الفقد والألم.

اللغة

اللغة الشعرية تمزج بين السلاسة والغموض ، مما يعكس حالة القلق والحيرة التي يعيشها الشاعر.

الرمزية

هناك رموز واضحة مثل: شقائق النعمان ، وفيروز التي تعبر عن الجمال والفقد في الوقت ذاته.

المشاعر

تعكس القصيدة مشاعر الحزن والحنين حيث يتجلى الفقد في كل سطر وكلمة ، مما يجعل القارئ يشعر بعمق الألم والشوق.

الختام

تنتهي القصيدة بتأكيد على الألم المستمر من خلال رثاء في رثاء مما يعكس حالة من اليأس المتكرر والشعور بفقدان الأمل.

الخلاصة

قصيدة (قصيدتي المخملية) تعكس رحلة الشاعر بين مشاعر الحب والفقد مستخدما صورا شعرية ولغة غنية تعزز من عمق التجربة الإنسانية ، تعبيرات الشوق والحنين تتداخل مع مشاعر الندم مما يخلق نصا شعريا مؤثرا يجسد الصراع الداخلي للشاعر.

قَصِيدَتي المُخْمَلِيَّةُ

و بَحثتُ في المَدينَة
عَنْ مَعطف آخَرْ
يَلفُّ فَورَةَ قَصيدَتي
يُدَفِّئُ الشَّغَافَ...
بَيْدَ أنَّهُ لَمْ يَستُرْ
الاَّ مَفاتنَ فَزَّاعَة
سيقانًا جَردَاءً
أَطولَ مِنْ لَيلِ الشِّتاء
خُطَاهَا أَعجل
من نَبض الفُؤاد
رَشيقٌ قَدٌّ قَوافيهَا
تَتَفَتَّحُ طُرًّا
وَتَختَالُ وَسْنَى
حَسنَاءُ
خَطفَتُهَا
مِنْ بَين خَاصرَة الشُّرُفات
رِيشَةٌ في مَهَبِّ النَّدَم
أَرقًا مُمَلَّحًا
بِبَنَات المَآقي
وَغَصَّةَ حَشرَجَة كَلماتُهَا
تَتَعثَّرُ بَينَ أشواكِ الغَضَى
صفْرُ النَّغمَات...
أَعصرُ أَحرُفَهَا
أَلْوِي أعنَاقَهَا
وَأَعُبُّ نَخْبَهَا ،
لَعَلَّهُ يُبرِئُ سَقَمي

يَفكُّ عُقدَةَ فَمي
لُغتي خَرساءُ
تَستَحمُّ الخَيبَاتُ
في الدِّنانِ
أَزْهرَتْ شَقائقُ النُّعمانِ
عَلَى القُبُور
فَيْرُوزُ تُرْثِيهَا
(لَمَّا عَلْ البَّاب يا حَبيبي...)!
وَأَريجُهَا
عَلَى ضفافِ ثَغْرٍ
تَتَدلَّى مِنْهُ
عَناقيدُ مَسَرَّةْ
مِنْ ذُؤَابَة شَعْرٍ
يَنْسكبُ قَطرَةً فَقَطْرَةْ
في قَارُورَة الجَوَى..
يَا هَمْسًا
تَغارَ مِنْهُ النَّايَاتُ
فَاضَتْ بِهِ وُديَانُ الشِّعرِ
تَعَمَّدَتْ أَوزَانُهُ
وَ جَادَتْ الأَحرُفُ النَّقاءْ
تُرتِّلُ الوَصايَا العَشْرَ
حَتْمًا
عقَابُهَا عنَاقٌ
يَخْنُقُ قَلَمَ القَريض
يُبعثرُ الأَبْيَاتَ
رِثَاءٌ في رِثاءٍ.. في رِثَاءْ

الغائب الحاضر في رسائل ماريا أمين

رانيا رسام

”أكتب إليك وأنا مازلت محملة بحبك
مضى عامان ولربما أكثر..
كتبت لك فيهما مئات الرسائل الأخيرة ، أخبر نفسي أنني لن أكتب عنك مرة أخرى ،
وعلى حين غفلة أجد نفسي هنا... بين أوراقي غارقة في ذكرياتك.).

هذا ما جاء في آخر رسائل الكتاب ضمن رسالة حملت عنوان (الرسائل الأخيرة بعد المئة) .. إصرار على التعافي من شقاء الكتابة إليه لكن هل تم التشافي فعلًا؟!!

قدمت لنا الكاتبة (ماريا أمين) رسائل حب خالصة أتت فيما يقارب الخمسين رسالة وجهت جميعها لغائب لم يحضر بروحه بل بإحساس المُجبة تجاهه فكان هذا الكتاب الذي حمل عنوان (بين مفترق الشعور). الكتابة عن عاطفة الحب والبوح بأسرار القلوب يحتاج إلى شجاعة أدبية وقلب مرهف الحس وذكاء عاطفي يسمح للكاتب بترجمة الاختلاجات المضطربة التي يمر بها المحب بدءًا من تسجيل النظرة الأولى والسهم الذي لم يخطئ القلب مرورًا بنمو التجربة العاطفية من تلميح ثم تعلق فحب سواء كان من طرف واحد أو متبادل. ثم وبطريقة ما قد تتوالى المراحل إلى انسحاب هادئ ، أو هروب مفاجئ. عتاب ولوم ، جدال ثم الفراق الحتمي يليه إصرار المحب إما على التعلق وقضاء بقية العمر في حالة هيام وعشق أو قطع التعلق والاستغناء.

هذه المراحل بكمها الهائل مشاعريًا ساقته الكاتبة بسلاسة وتناسق لحكاية مكتملة عن حب لم يكلل بارتباط وبقي الشوق رايةً تلوح للمحبوب عن بعد علّه يهتدي لكل الإشارات والمعاني التي تعنيه دون غيره.

بدأت الكاتبة هذه الرحلة الشعورية بتوجيه الشكر للمكان الذي جمعها بشخصها المفضل ثم التوجيه المباشر للمحبوب بأن هذه الأحرف والرسائل إليه.. حتى يدرك ما الذي أضاعه من بين يديه.

وعليه ، بدأت في حبك القصة تصاعديًا: في أولى الرسائل أتت الرسالة (أنا ضائعة) ثم (وجودك يطمئنني) ثم التأكيد (أحببتك بلا قيود).. بعدها بدأت الرسائل التأكيدية (الأغاني وعيناك) (لو أني) ، ثم (أنت تخصني) ، بعد هذه المرحلة تأتي الصدمات الأولى التي تؤكد حقيقة ما بينهما في رسائلها (أنا مصابة) ، (ولكنه) ، (ما بيننا).

وكأي قصة لم تكتمل بالنجاح جاء انسحاب المحبوب ، فكانت رسائلها: (أراحل أنت أم ماذا). وهكذا حتى نهاية الرسائل فنقرأ الإنكار ، وبدء الحلم والتخيل ، التمني ، اللوم ، ثم إدعاء القوة ، حتى يصل المحب إلى إعلان غضبه وكرهه للمحبوب ثم سيل التساؤلات التي تهمر عليه.

في آخر الرسائل يقول المحب لحبيبه الغائب:

”لا تعد فضلًا.. لا مرحبًا بك ولا أهلًا ، فأنت أذقتني من الحزن أشكالًا.
عانيت طويلًا وبكيت سيلًا ، فلا تعد فضلًا .. لا وداعًا لك ولا حبًا“.

للكاتبة براعة في التنقل بين المشاعر صعودًا وهبوطًا ، وهذه الطريقة قد تكون الأقرب لوصف حال امرأة عاشقة . ففي آخر رسائلها يتذبذب الحال بين ظمأنة المحبوب أنه باق في أعماقها رغم مرور العام والعامين وبعد كتابتها لرسالتها الأخيرة بعد المئة تعلن في النهاية:

”اليوم وأخيرًا ، أصبحت خالية منك ، ومن نوري الباهت ،
عدت امرأة لا تليق بك ،
امرأة لا تهتم البتة إن كانت أحرفها قادرة على أن تسلب منك قلبك“.

اللغة التي استخدمتها الكاتبة غنية المعاني ، سلسة ، وتصل إلى القلب مباشرة ، لها القدرة على ربط القارئ بهذه المشاعر.

نجد أنفسنا في إحدى الرسائل أو في عدد كبير منها؛ فعاطفة الحب من أصدق وأعمق ما يمر به الإنسان.

أدب الرسائل من أقدم الأجناس الأدبية التي عرفها التاريخ ، ومنها أتت رسائل الحب لتسجل لنا عددًا من القصص التي كونت بمجملها صورة جميلة لمحاكاة ما يعتمل في النفس البشرية بصورة كتابية شفافة وصادقة. رغم أن أدبنا العربي قد زخر بشعر الغزل ووصف المحبوب إلا أن الرسائل النثرية قد اشتهرت كذلك ، على قلتها ، بجمالها ، منها رسائل (جبران خليل جبران) لـ(مي زيادة) ، (غسان كنفاني) لـ(غادة السمان) ، وغيرهم.

لكن وقتنا الحالي لم يعد يشبه أي زمن مضى حين كان حبر المحب

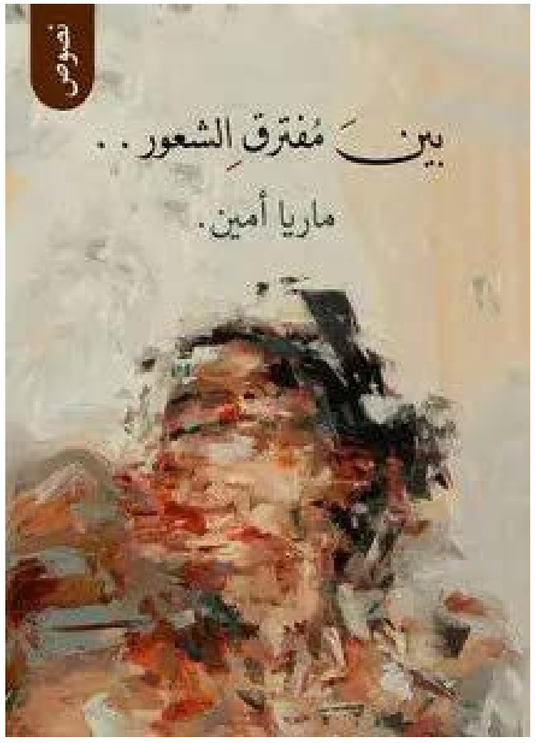

يخط لمحبوبه أوراقًا ملأى بالوصف والبوح. في زمن تسارعت فيه كل الأحداث لم يعد الصبر حليفًا لقصص المحبين ، ولم تعد الرسائل الطويلة تجد حيزا لها. كلنا ندور في عجلة سرعة تجعلنا نغفل عن اختبار كافة المشاعر التي تسكننا. كتاب ماريا هنا - بمواكبته لسرعة الزمن والنصوص القصيرة - جاء مثل الاستراحة التي نحتاجها لنحيي الحب ونحتفل به ونتمنى وجوده في هذا العالم أكثر. فالمحبين لا يؤذون ، المحبون يجعلون العالم أجمل.

أكملت الكاتبة رسائلها برسالة في ختام كتابها لامرأة غادرها محبوبها ، فوجهت لها نصيحة أخيرة:

”إن عاد غائبك يومًا ابصقي في وجهه ، وأخبريه: يعجبني إهدارك الوقت في فشلك الدائم
وأتمنى لك جحيمًا سعيدًا تقضي فيه ما تبقى من حياتك“.

لكنها في الطرف الآخر تستكمل:“ لكن أنت بالتحديد ، عد.. فأنا من دونك يبهت نوري“.

وحين يظن القارئ أنها قد أكملت رسائلها إليه.. ثم اختتمت الكتاب بالفهرس ، كتبت آخر رسالة لها في آخر صفحة حيث لا يرى القارئ تلميحها الأخير للحبيب الغائب تقول له فيها: ”أحبك جدًا“ .. ثم جملة باللغة الكورية تعني اشتقت إليك وكأن كلماتها لم تعد تكفيها لزيادة الوصف فأتت بما تعرفه من لغات أخرى حتى يشاركها شعورها في يوم ما.

كقارئة أحببت الحالة التي عشتها وأنا أقرأ الكتاب ، وأحببت أنها كتبت بعض الرسائل بصيغة حوار مع صديقة ، أو في صورة قصة قصيرة كرسالة (مجرد خيال) ، وأنها ربطت بعض الذكريات بأوقات بعينها ، فصول موسمية محددة ، تاريخ معين ، ساعة محددة خلال يوم خاص. كما أحببت استحداثها لبعض الكلمات مثل الأصاليات والعاشوريات والتي تقصد بهما أغاني أصالة وتامر عاشور. وأيضًا ذكرها للكاتب (أحمد آل حمدان) وكيف أنه قد جعل بطل روايته يضع صورته على غلاف رواية لتراه حبيبته إذا ما مرت على رفوف الكتب.

وفي الأخير .. أذكر الغائب الحاضر الذي ملأ بروحه كلمات الكاتبة ووعيها وقدرتها على الكتابة القريبة إلى القلب الشخص الذي أهدته كتابها وهي تعلم أنه لن يقرأه الآن وقد أضحى في عالم أجمل إليه ، الأب الذي أهدانا كاتبة واعدة الأستاذ (يحيى الجبلي) رحمة الله عليه.

ثقافة صحية

ليـــلى حـــسين

MS.Vitality

«فيتامين P» Pleasure

حين تصبح المتعة عنصرًا من عناصر التغذية

المتعة ليست رفاهية... بل جزء من الصحة

في عالم التغذية الحديث، اعتدنا أن نقيس كل شيء: السعرات، البروتين، الفيتامينات... لكننا نغفل عن عنصر لا يُكتب في الجداول، رغم تأثيره العميق على صحتنا، وهو المتعة. يشير مفهوم "فيتامين P" إلى أن الاستمتاع بالطعام ليس أمرًا ثانويًا، بل جزء أساسي من علاقة صحية مع الأكل. فحين يتحول الطعام إلى التزام صارم خالٍ من الشعور، يفقد الإنسان أحد أهم جوانب التجربة الغذائية.

ماذا يحدث في أجسامنا عندما نستمتع بالطعام؟

الاستمتاع بالأكل لا يقتصر على الإحساس النفسي، بل يمتد ليشمل تفاعلات بيولوجية حقيقية. عندما نأكل طعامًا نحبه، يفرز الدماغ مواد كيميائية مثل الدوبامين، مما يعزز الشعور بالراحة والرضا. هذه الحالة لا تحسن المزاج فقط، بل تساعد الجسم على الدخول في وضع "الراحة والهضم"، وهو ما يدعم عملية الهضم وامتصاص العناصر الغذائية بشكل أكثر كفاءة. بمعنى آخر، المتعة لا تضيف فقط شعورًا جميلًا... بل تعزز الفائدة الفعلية للطعام.

لماذا تقودنا المتعة أحيانًا إلى توازن أفضل؟

تشير الفكرة الأساسية إلى أن الأشخاص الذين يسمحون لأنفسهم بالاستمتاع بطعامهم يميلون إلى اتخاذ خيارات غذائية أكثر توازنًا على المدى الطويل. فعندما لا يشعر الإنسان بالحرمان، تقل لديه الرغبة في الإفراط أو التعويض لاحقًا. أما تقييد النفس بشكل صارم، فقد يؤدي إلى نتائج عكسية، حيث تتحول الرغبة المكبوتة إلى اندفاع مفاجئ. لذلك، فإن إدخال المتعة بشكل واعٍ في النظام الغذائي يمكن أن يكون وسيلة للحفاظ على الاستمرارية، وليس عائقًا أمامها.

الطعام أكثر من مجرد وقود

لا يمكن اختزال الطعام في كونه مصدر طاقة فقط، لأنه يحمل أبعادًا نفسية واجتماعية وثقافية عميقة. فالوجبات ليست مجرد عناصر غذائية، بل لحظات تواصل، وذكريات، وروابط إنسانية. تناول الطعام مع الآخرين يعزز الشعور بالانتماء، وبعض الأطعمة ترتبط بالراحة والحنين، كما أن لكل مجتمع هويته الخاصة التي تنعكس في مطبخه. تجاهل هذه الجوانب قد يجعل العلاقة مع الطعام جافة ومجردة من معناها الإنساني.

الفرق بين المتعة الواعية والأكل العاطفي

رغم أهمية المتعة، من الضروري التمييز بينها وبين الأكل العاطفي. المتعة الواعية تعني أن يختار الإنسان طعامه ويستمتع به وهو حاضر ذهنيًا، بينما الأكل العاطفي يحدث عندما يُستخدم الطعام كوسيلة للهروب من التوتر أو الحزن. الفارق بينهما يظهر غالبًا في الشعور بعد الأكل؛ فالأول يترك إحساسًا بالرضا، بينما الثاني قد يتبعه شعور بعدم الارتياح أو الذنب. لذلك، لا تكمن المشكلة في المتعة نفسها، بل في غياب الوعي أثناء الأكل.

كيف نعيد المتعة إلى علاقتنا بالطعام؟

إعادة المتعة لا تتطلب تغييرات كبيرة، بل تبدأ بخطوات بسيطة مثل تناول الطعام ببطء، والانتباه للطعم والقوام، وإضافة لمسات شخصية تجعل الوجبة أكثر إرضاءً. حتى التغيير البسيط في تجربة الأكل يمكن أن يحدث فرقًا ملحوظًا في الشعور العام. الفكرة ليست في الإفراط، بل في إدخال قدر من الرضا يجعل العلاقة مع الطعام أكثر توازنًا واستدامة.

ختامًا

الصحة الغذائية لا تتحقق فقط من خلال اختيار الأطعمة "الصحيحة"، بل أيضًا من خلال الطريقة التي نتناول بها هذه الأطعمة. عندما تجتمع التغذية مع المتعة، تتحول الوجبة من مجرد حاجة بيولوجية إلى تجربة متكاملة تدعم الجسد والنفس معًا. وربما يكون "فيتامين P" هو العنصر الذي نحتاجه لنستعيد هذا التوازن المفقود.

إعداد/ سماح الحراري
بـــروفـــايل

ماهية محمد... أول رئيسة تحرير

ماهية محمد عمر جرجرة الحميقاني البيضاني أول رئيسة تحرير لمجلة نسائية على مستوى الجزيرة (ماهية نجيب) رائدة العمل الصحفي النسوي
أخبار وتقارير.
أصدرت مجلة (فتاة شمسان) في ستينات القرن الماضي رغم صعوبات عمل المرأة في تلك الفترة
مثلت المرأة العدنية في العديد من المؤتمرات العالمية، ولها إسهامات صحفية في صحف ومجلات عديدة.

مولدها ونشأتها

ولدت (ماهية نجيب) بمدينة عدن في ٢١ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٦م، واسمها الحقيقي هو: ماهية محمد عمر جرجرة.
اشتهرت بـ(ماهية نجيب) نسبة لزوجها (نجيب أحمد علي)، حيث جرت الموضة في عدن أيام الاستعمار البريطاني أن تُنسب المرأة بعد الزواج إلى زوجها - على غرار الغرب - وظلت تعرف بهذا الاسم حتى وفاتها.

في حي كريتر نشأت الصحفية ماهية نجيب، في كنف أسرة عُرفت بتدينها، وتمسكها بالعادات والتقاليد، وحين بلغت سن الخامسة التحقت بما كان يعرف بـ(الكُتّاب)، وفيه تعلمت مبادئ الخط والكتابة والحساب، ولم تُكمل عامها السادس إلاّ وقد حفظت سبعة أجزاء من القرآن الكريم، فلفتت أنظار أسرتها إلى ذكائها وسرعة قابليتها للحفظ والفهم، بما فيهم أخوها الأكبر عبد الرحمن، الذي أولاها اهتمامًا خاصًا، وبدأ في تعليمها اللغة العربية وقواعدها والبلاغة، وجوانب أخرى من المعارف والعلوم، وزودها بمجموعة من الكتب والصحف.
وما أن بلغت الخامسة عشرة من عمرها حتى تقدم لخطبتها والزواج بها نجيب أحمد علي سعد — سنة ١٩٤١م- واستمرت العلاقة الزوجية بينهما أربعة عشر عامًا، حتى وفاته بحادث مروري سنة١٩٥٤م، تاركًا وراءه ستة من الأبناء.

وعن هذه المرحلة في حياة السيدة ماهية نجيب، تقول الصحافية نادرة عبد القدوس: «بعد ذلك انكفأت الزوجة الشابة، والأم الرؤوم على ذاتها، وانزوت في بيتها متفرغة لتربية أبنائها الستة الذين فقدوا حنان الأب، ورعايته باكرًا، وكبرت المسؤولية، وكان لابد من تحملها، وكان الزمن كفيلًا بتخفيف وطأة الفاجعة.
ولأنها كانت مؤمنة بالله -عز وجل- حاولت السيدة ماهية نجيب إشغال نفسها بهوايتها المفضلة، وهي القراءة، والاطلاع، وتعلم اللغة الإنجليزية على يد أخيها عبد الرحمن، الذي لم يتركها وحيدة، إلى جانب اهتمامها بشؤون أبنائها الصغار (ولد وأربع بنات).
وقد اهتمت السيدة ماهية نجيب بتعليم أبنائها، ومن أجلهم رفضت الكثير من عروض الزواج التي كانت تعرض عليها».

عالم الصحافـــة

وبعد تزويجها لابنتها الكبرى، وشعورها بأنها أدت واجبها تجاه أولادها، بدأ الملل يتسلل إلى عالمها، وبدأت تشعر برتابة حياتها، ولاحظ ذلك أقرب الناس إليها الصحفي (حامد لقمان) زوج ابنتها الكبرى، وأخوها الأكبر الأستاذ عبدالرحمن جرجرة. فاقترحا عليها إصدار صحيفة نسائية، تُعنى بشؤون وقضايا المرأة، فوافقت وتقدمت بطلب للسلطات البريطانية، وظلت عامًا كاملًا في انتظار تصريح للمجلة من السلطات البريطانية المتواجدة في عدن آنذاك.
وبعد مخاض عسير صدر العدد الأول من مجلة (فتاة شمسان) التي ترأس تحريرها الصحافية ماهية نجيب، في يوم الجمعة، الأول من يناير/ كانون الثاني ١٩٦٠م، الموافق ٣ رجب ١٣٧٩هـ. واستمرت في الصدور سبع سنوات، حتى عام ١٩٦٦م.

وعن أول يوم من صدور المجلة، تقول الراحلة ماهية نجيب: «في ذلك اليوم كان قلقي شديدًا، وكنت خائفة من ردة فعل القراء، وكنت أسترق النظر من خلال نافذة البيت. ساعتها شعرت وكأنني المحمولة في أيدي الناس، وليست المجلة، والحمد لله علمت بأن المجلة نفدت من السوق بسرعة، كما أن تشجيع الناس من خلال الاتصال الهاتفي، والكتابة إليّ جعلني استمر في طريقي، وكتبت للمجلة الاستمرارية».
ومثلت المرأة الجنوبية في العديد من المؤتمرات العالمية، كان أهمها مؤتمر (نساء أفريقيا وآسيا)، الذي عقد في القاهرة في ١٥ يناير/ كانون الثاني ١٩٦١م.
وكانت على علاقة وطيدة ببعض الشخصيات النسائية العربية، كالصحافية المصرية (نفيسة الصريطي)، التي كانت تربطها بها علاقات ودية، وما زالت (نفيسة الصريطي) تحتفظ برسائل السيدة ماهية نجيب التي كانت ترسلها لها. وقد شاركت الصحافية نفيسة بمجموعة من المقالات والكتابات في مجلة (فتاة شمسان).

الرحيـــــل

بعد عمر حافل مليء بالكفاح والمثابرة، توفيت الصحافية الجنوبية الرائدة ماهية نجيب في المملكة العربية السعودية، إثر مرض عضال ألمّ بها في ١٩٨٢/٧/٢٨م، عن سبعة وخمسين عامًا، ودُفنت حسب وصيتها بمكة المكرمة، جوار قبر أخيها الأكبر ومعلمها الأول عبد الرحمن جرجرة.

مرحبًا يا سلمى

محمد الصبري

أما قبل... إنها الساعة الثالثةُ صباحًا ، وانا أكتبُ إليكِ
أكتبُ إليكِ بدافع الشخص المخذول في الحب ، الشخص الذي أستنزفَ مشاعره في أماكن خاطئة ، أماكن لا تعرفُ الحنين ، ولا تعطي للشوق أي قيمة ، أماكن قاحلة لا تنمو فيها الورود ، ولا تصدح منها الأغاني ، البرود فقط من يعتليها.
يا سلمى: أعلم أن كل هذا لا يُهمك ، وأن هذه الرسالة قد لا تؤثر فيك. أعلم أنكِ ستفكرين كثيرًا ، لماذا يكتب لي هذه الرسالة إذا كان يعلم أنها لَن تؤثر فيّ؟!!
يا سلمى: نحن- الشعراء- لا نملك ملجأ للاختباء بمشاعرنا ، لا نُتقن فن الكتمان ، تفضحنا النصوص التي نكتبها ، النصوص التي تختزلُ كل ما في داخلنا ، لا مهربَ لدينا إلا الكتابة ، نكتبُ للصباحِ ، والمساء
لليل ، والحب
للحنين ، والشوق
لحبيباتنا وهنَّ لايكترثن لذلك...
يا سلمى: نحن الشعراء نمتلكُ مشاعر فياضة ، لا نستطيع التحكم بها ، نُحب بقلوبنا ولا ننتبه لعقولنا ، نصبُّ مشاعرنا عند أول خطوة للحب ، ثم نُغدِقُ من نُحب بالقصائد. لا ننتبه إن كان متأثرًا بما نكتب ، يكفي أن نكتب مشاعرنا بصدق. لذلك؛ نُفضح دائمًا.
أما بعد:
يا سلمى: كتبتُ إليكِ هذه الرساله من قلبٍ ملؤه الوجع. قد غادروني كل من أحببتهم ، وتركوني بين يديّ الرياح الباردة ، كغصنٍ يئن تحت وطأة الزمان. كيف يكون الفقد يا سلمى ، وكيف يبدو القلب عندما يسقط من سماء الأمل إلى أرض الواقع؟
يا سلمى: لستُ حزينًا ولا سعيدًا ، أنا فقط متعب ، متعب بما تعنيه الكلمة ، متعب من فرط التفكير ، من كمية الخذلان الهائلة ، من الانكسارات المتتالية ، أنا متعب حد الإعياء. ومع ذلك ، أحاول التعايش كأن الحياة رواية صراع..
يا سلمى: أخبرتكِ أننا لا نمتلكُ أيَّ مكان للهروب إليه سوى الكتابة ، لذلك كتبتُ لكِ هذه الرسالة فهل تأثرتِ؟

وكيف كانت درامتنا؟

محمد طه

لم تكن سوى لوعة تختلط بالحنين ، لا إليكِ وحدك ، بل إلى نفسي التي تختبئ عن الجميع وتفاجئني حين نلتقي.
أنت سيئة الغياب... لذيذة الحضور ، تتقنين فنّ «ذُق لوعتي» ، وتتلذذين برؤية شغفي يتسرّب بين سطوري.
كأن الرواية لا تكتمل إلا إذا سكبتِ فيها مرارة الهجر بكل أنواعه.
لستِ عادية.
لستَ عادية.
لستِ عادية.
كالبرتقال أنتِ؛ تعشقك حواسي كلها... ذوقًا ، رائحةً ، ولونًا.
كأن غرناطة نسجت خيوط الحرير التي تتهادى على خديك ، وكأن حمرة الشغف اشتعلت على أطراف شفتيك.
وفي عينيكِ... ذلك المزيج الغامض من الكره والحب ، من العذاب والرحمة ، تزرعينه في صدري دون تردد.

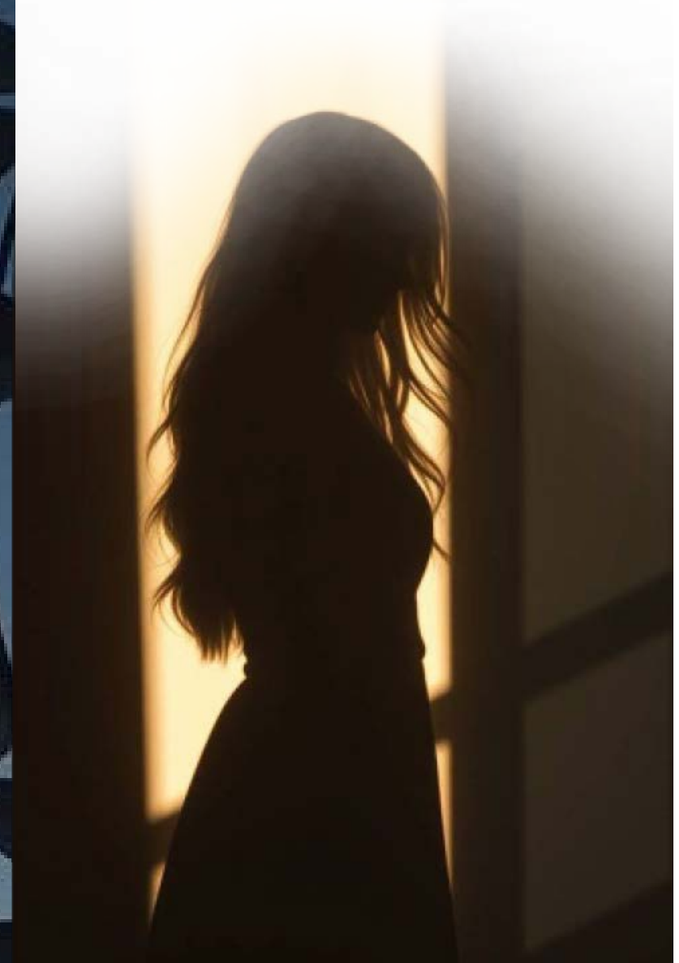

ابتسامة الفجر

صالح عامر الأشبط

تمطر سحايب مشاعرنا العميقة نغم
والحان وتخاطب الشاعر بعدة لغات

حتى يعانق سما الصفحة وكون القلم
ويصب في منجم ابداعه درر صافيات

وفي سرايا المحبة ينشأ احلى زخم
ومن بطون المشاعر تولد الأغنيات

يا شعر انا في غضارة كوكبك والهرم
لوحه رسمها صباح الحب للذكريات

يا شعر انا عشت في متحف حروفك صنم
ويحيط بي صمتي البائس من اربع جهات

والآن حطمت قيد الصمت يا محترم
هل آن لي ان اقبل كعبة الأمنيات

وابوح بالحرف ذيما قد تحرك قدم
من وكر مظلم يديره شاوش المعضلات

لي هاجس املود ينجب لي زهور الحكم
وروح (فينوس) باتت فيه والحسن بات

ثوب التقشف نديمه والوفا والقيم
ذخايره والصداقة مضجعه للسبات

لعمري ان الصحاري مسجدي والحرم
وخيامها منتجع واهوالها مغريات

وقهوة البدو عشبة نادره من نعم
ربي تداوي مشاعرنا من الترهات

وينبثق في صيانيها شعاع الكرم
وفي رحاها الربابة تطحن النايبات

وتهيج اوتاري البالة ومغنى الشمم
واسبغ من اصدائها اوراق الهوى الذابلات

وكلما الدان اخذني ليه والشوق لم
اشلائي احيا شجون الروح بعد الممات

بحثت عن سلة احزاني وعني وكم
صارعت نار الحسافة في طريق الشتات

ماعد بقي غير حفنة من عظام الألم
واشجان شمطا تضم اطلالها الفانيات

حاربت وكر الدجى المشبوه حتى ابتسم
في روحي الفجر واحييت اجمل الأمسيات

تـــأمـــــلات

دلال علي غانم

الدواء فيه سمّ قاتل

أصبح من السهل في عصرنا البحث عن المعلومة أو طرح أسئلة في أيّ مجال علميّ أو أدبيّ أو حياتيّ ، من الفضاء الكوني الشاسع إلى أضيق حيّز في حياتنا.

بمجرّد وضع السؤال أو الكلمة على محرّكات البحث تنهال عليك المعلومات من كلّ المصادر ، وبحسب طريقة صياغتك للسؤال أو المصطلح أو الكلمة التي تودّ البحث عنها ، واللغة التي تستخدمها ، وموقعك الجغرافي ، وتاريخ استخدامك لمحرّكات البحث ومنصّات التواصل ، يتمّ ترتيب المصادر التي تظهر لك.

عليك أنت أن تختار وتتحقّق من المعلومة من أكثر من مصدر أو اتجاه ، لتصل للثقة المطلوبة ، أو تتّبع حدسك وتجربتك في الحكم عليها.

بالطبع لا نستطيع أن نتجنّب المحتوى الأكثر رواجًا والمموّل دعائيًا بالذات على المنصّات التي تقدّم المحتوى المرئيّ. مثل منصّات التواصل المختلفة: فيسبوك ، إنستغرام ، واتساب ، تيك توك ويوتيوب.. إلخ.

تتضح هذه المنصّات بكمّ من الفيديوهات ، بالذات القصيرة منها التي تسرق انتباهك ووقتك دون أن تشعر. العديد من هذه الفيديوهات محتواه لا يتعدّى التسلية. ورغم الآثار السلبية للتعرّض لهذا النوع من المحتوى بشكل دائم ومتكرّر على تركيزنا وذاكرتنا ونفسيّاتنا وحتى مبادئنا وأفكارنا. إلا أنّ هذا ليس ما سأركّز عليه في هذا المقال.

ما سأتحدّث عنه هنا هو ما ينتشر على هذه المنصّات ويثير تفاعلًا واسعًا واهتمامًا كبيرًا لدى شريحة كبيرة من الناس ، بمحتوى يُقدّم في إطار «علميّ». المشكلة هنا ليست أنّه يقدّم معلومات مبسّطة لدرجة الإخلال أو يعطي معلومات خاطئة فقط. المشكلة أنّ من تصدّروا قائمة «نجوم» هذا الاتجاه ، يدّعون امتلاكهم لشهادات علمية تؤهّلهم للتصدّي لمجالات الصحّة والعلاج. ومعظمهم لا يمتلكونها من الأساس وإن امتلكوها فهي غير سارية ولا هم ممارسون أو أطبّاء معتمدون. وفي الغالب يتحدّثون فيما يتجاوز اختصاصًا واضحًا.

يستهدف هؤلاء شريحة واسعة من المتابعين ، ابتداء بالشخص الذي لم يتلقّ حظًّا كافيًا من التعليم وصولًا لشريحة من المتعلّمين بل وبعضهم أطباء وهنا الكارثة.

يقدّم هؤلاء معلومات صحيحة -لكنّها مُجتزأة- في بداية ظهورهم ، يعتمدون على الحديث عن أشياء تتعلّق بالغذاء والفيتامينات بإعطاء معلومات ليس فيها ما يثير الشك. وأكثرهم بدأوا بانتحال هذا المحتوى من مصادر وشخصيات أجنبية ، دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء إعادة الصياغة حتى. بعد أن يحقّق محتواهم انتشارًا مقبولًا يبدأون بزيادة التوابل اللازمة للتغطية على أيّ طعم أو رائحة فاسدة في الطبخة: قصص شخصية درامية تثير عواطف المتابعين ، تهويل وتخويف وادّعاء كشف «مؤامرة كونية» للقضاء على البشر ، وهنا يزيدون جرعة المعلومات ، يخلطونها بالكثير من المعلومات غير الدقيقة بل والخاطئة تمامًا. يشرحون ويستفيضون في تناول آثار تناول هذا الطعام أو الامتناع عن ذاك ، وضرورة وجود عناصر معيّنة لا تتوفّر بشكل كاف في غذائنا الحالي ، لأنها انتزعت منه عمدًا ، وهنا يبدأ الترويج لمكمّلات ومنتجات محدّدة بطرق ووسائل عدّة. ووضع روابط شراء بخصومات خاصّة بمتابعي هذا الشخص.

ثم تأتي مرحلة قصص النجاح ، وكم الحيوات التي أنقذتها نصائح هذا «العالم الفذّ» ويبدأ باستقبال المرضى بمبالغ طائلة للكشف عليهم عن بعد وإعطائهم خطّة الحياة المنقذة. من الأمور المهمّة للترويج ظهور نجوم يتّبعون «شيخ الطريقة» هذا أو ذاك إمعانًا في تلميع صورته وإعطائه هالة جاذبة.

يجني هؤلاء أرباحًا كبيرة عبر هذه الطرق ، لا تكلّفهم سوى تجميع بعض المعلومات الأساسية ، وخلطها بالكثير من المعلومات الخاطئة ، مع مهارات الإلقاء والتمثيل والتأثير ، لتقديم توليفة تبدو ناجعة لكلّ أمراض العصر. وحيث يتواجدون في بلاد أجنبية ، يستهدفون بمحتواهم العالم العربي حيث لا رقابة ولا قانون يطالهم.

بالوصول للشهرة والنجومية والتأثير الواسع وتدفّق الأموال بالعملة الصعبة ، يزداد هؤلاء ثقة وغرورًا وينسون أنهم مجرّد حواة ، ويصدّقون كذبهم فيتمادون وقد يصل بعضهم لاختراع نظريات وبرامج لا أساس لها ويقدّمها بكلّ وقاحة وانعدام ضمير فتطبَّق على الناس والمرضى لتقتلهم ببطء أو بسرعة ، فهذا آخر همّهم طالما لا ينالهم عقاب رادع يخرجهم من وهم السيطرة!

ليس هذا الموضوع جديدًا ، منذ سنوات تطالعنا هذه النماذج ، لكن وفاة أحد هؤلاء المدّعين والذي أسّس لنظام يدّعي أنّه يشفي الأمراض ، بل وتجرّأ على إعطاء المرضى نصائح بالتوقّف عن أخذ أدوية الأمراض المزمنة والسرطانات. ليموت المئات منهم بمنتهى اللامبالاة منه. وما أثارته وفاته من تفاعل تباين بين من يدعون عليه بالويل والثبور ويكيلون له اللعنات ، ومن انبرى للدفاع عنه واصفًا منهاجه «بأنّ فيه معلومات كثيرة صحيحة» هذه الجملة علّقت بها بعض الزميلات من الطبيبات على منشور يتحدّث عن مجموعة من هؤلاء المخادعين ، كنت قد شاركته منذ مدّة على صفحتي الشخصية على منصّة فيسبوك ، وكان المنشور يفنّد ادّعاءاتهم بامتلاك شهادات وخبرات علمية أجنبية.

هذه التعليقات التي تجاوزت —ببساطة- فكرة وجود معلومات غير صحيحة فقط لأنّ أصحابها يرون الجزء الصحيح ، رغم علمهم بناء على خلفيّاتهم الطبّية أنّ معلومة خاطئة صغيرة قد تقوّض نظريات علمية ولو بعد سنين. وأن خطأ بسيطًا قد ينتهي بكارثة حين يتعلّق الأمر بحياة إنسان. جعلتني أشعر بالصدمة. وبضرورة الحديث والكتابة في كلّ مناسبة تتاح لي كطبيبة وكاتبة ، للتنبيه لخطورة هذه الأفكار وفداحة نتائجها.

منشور آخر استوقفني تحدّث صاحبه -الذي لا ينتمي للمجال الطبّيّ- عن دعمه «لمعظم المعلومات» الواردة في نظام المتوفّى. بناء على بحث وتجارب شخصية لعدّة سنوات في التغذية.

كلمات مثل : بحث ، معلومة صحيحة ، مؤكّدة ، تجارب ، هي مصطلحات تستخدم في المجالات العلمية بمحدّدات قياس واضحة ومتّفق عليها ولا تظهر نتائج معتمدة لأيّ بحث أو دراسة إلا بمعايير دقيقة.

لا يمكن أن تتأتّى هذه النتائج ، لشخص -يملك أو لايملك خلفية علمية- بمجرّد ملاحظاته الشخصية وتجربته الذاتية وتفسيره للأمور!

يحبّ البعض تفعيل نظرية المؤامرة لتبريرتبنّي أفكار معيّنة أو مناهضة أخرى. حين يقول بعض الزملاء إنّ الإرشادات العالمية المعتمدة في التخصّصات الطبية تغفل جوانب هامّة للصحّة ، وهذا وارد ، لأنّه في عالمنا مافيا الاقتصاد والربح هي من تسوس العالم بسياسيّيه وشعوبه. وليست شركات الأدوية والمنتجات الطبّية العملاقة إلا ترسًا كبيرًا في هذه الآلة. لكن مواجهة هذا لا تكون بأحاديث مرسلة ولا تجارب عشوائية. التجارب العلمية لها طرق معروفة ومحدّدة ونتائجها تعتمد على محدّدات واضحة وطرق استنتاج محكمة. حتى تُعتمد نتيجة فرضية لنظام أو دواء معيّن يجب أن تتناول الدراسات عددًا كبيرًا من البشر مرورًا بمراحل متعدّدة وتجارب «معماة» تقسم فيها العينة التي تشارك في الدراسة لمجموعات تعطى أدوية أو أنظمة حقيقة وأخرى تعطى أدوية وهمية للتحقّق من وجود أثر حقيقيّ وله «دلالة إحصائية» ، وهذا مؤشّر يجعل من النتائج أقرب للدقّة بعيدًا عن أيّ تأثير للصدفة.

لذا فعلى أيٍّ ممّن يمتلكون الأدوات العلمية والمنهجية والمؤهّلات الدراسية أن يفنّد أيّة نظرية يظنّها خاطئة باستخدام منهجية علمية وتجارب محدّدة بنتائج لا تقبل الشك. قد تستغرق دراسة أثر متغيّر ما -أيًا يكن- على مجموعة من البشر عقودًا باعتماد التجارب العلمية الدقيقة.

فكيف لشخص واحد مهما بلغ مقدار ما قرأه أو تلقّاه من معلومات -أغلبها تأتيه بكبسة زر لا يعلم مدى دقّتها أو صحّتها- أن يدّعي أنّ رأيه أو تجربته يمكن تقديمها للناس كدليل على صحّة أو خطأ معلومة ما! في نهاية مقالي هذا ، أودّ أن أؤكّد على أنّ التكامل بين الدواء والغذاء لا يزال بحاجة لجهد حقيقيّ ومؤثّر من الأطبّاء واختصاصيّي التغذية الإكلينيكية الثقات ، ليكتمل تقديم النظام العلاجيّ للمريض ، وهذا المجال متأخّر جدًّا وفيه فجوة كبيرة في عالمنا العربي هي من سمحت للمدّعين والمحتالين بأن يتصدّروا المشهد للأسف.

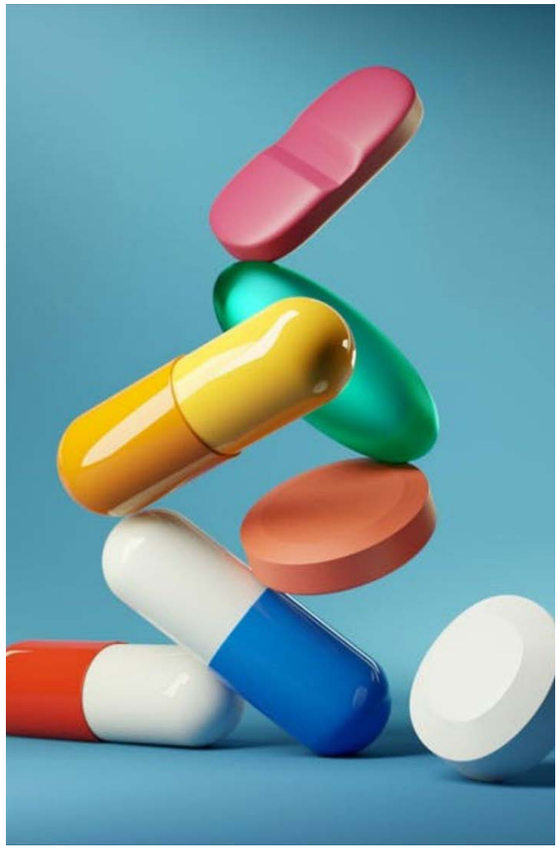

إعداد/ نوال القليسي

صـــــعـــــدة

مدينة السلام .. وزخم التراث الحضاري

تتميز مدينة صعدة القديمة بهندستها المعمارية الطينية والحجرية الفريدة ، وبطابع معماري فريد ، حيث حافظت على أسوارها التاريخية ، وأبوابها الأربعة الشهيرة: باب اليمن ، باب نجران ، باب جعراف ، وباب ستران ، حيث اشتهرت بكونها مدينة علم ودارًا للمدارس ، والمساجد التاريخية ، وتشتهر بنقوشها الأثرية ، ولها جذور تاريخية ضاربة ذكرت في المساند الحميرية القديمة باسم (ص ع د ت م) ، وارتبطت بالملك شمر يهرعش ، وكانت تعرف في الجاهلية باسم (جماع) تضم قلعة السنارة التاريخية ، وجامع الهادي ، والعديد من المواقع التي تعود لعصور ما قبل الإسلام و تعد صعدة حاليًا من أهم المدن اليمنية ، وحاضرة تراثية وتاريخية تجمع بين الأصالة والامتداد التاريخي ، كما عرفت بهذا الاسم في الفترة الإسلامية فسميت (صعدة من يومئذ) ، وفي (منتخبات في أخبار اليمن) لـ(نشوان بن سعيد الحميري) يقول : «صعدة مدينة باليمن لخولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، و لا تزال محاطة بسورها الأثري المتكامل ، تعد واحدة من أبرز المدن التاريخية في اليمن والمنطقة العربية ، و احتضانها لمعالم أثرية تعود لقرون طويلة يجعلها نموذجًا حيًا يروي قصص الحضارة والعراقة) ، و ما يميز صعدة القديمة عن غيرها من المدن ، إنها تحاط بشوارع ضيقة تصطف على جانبيها منازل متلاصقة بُنيت من الطين والحجارة وفق طراز معماري موحد خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، هذه الأبواب لم تكن مجرد مداخل ، بل كانت تفتح وتغلق وفق نظام أمني صارم ، يعكس احتراز سكانها من الأخطار ، سواء البشرية أو حتى الحيوانات المفترسة ، و مدينة صعدة ليست مجرد مدينة أثرية ، بل هي شاهد على تاريخ ضارب في القدم ، يحمل بين أسواره قصصًا من المجد والتاريخ والحضارة ، لترسم معالمها لوحة تجمع بين التراث والحداثة في أبهى صورها تفردا وعراقة .

صعدة بواكير الخير .. والمحاصيل الزراعية المتفردة ..

تتفرد مدينة صعدة بمدرجاتها الخضراء الممتدة على سفوح الجبال ، حيث تتناغم أشجار الرمان ، العنب ، البن ، والفاكهة لتشكل لوحة طبيعية آسرة تسر الناظرين ، لا تكاد تدخل منطقة في صعدة إلا وتجد رائحة الأرض الطيبة تعبق في الهواء ، و تشتهر صعدة بزراعة البن ، الرمان ، والعنب ، وهي منتجات زراعية تميز المحافظة ولها رواج وتفرد على الصعيد الوطني والدولي والاقليمي ،وفاكهة رمان صعدة على وجه الخصوص تحمل سمعة طيبة بفضل نكهته المميزة وعناصرها الغذائية

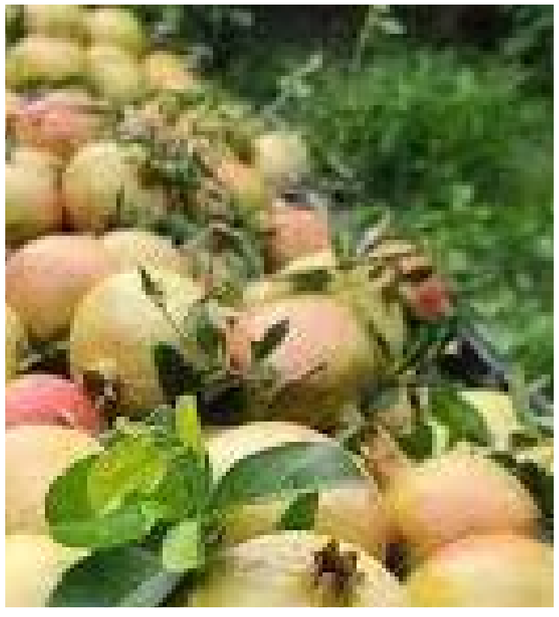

العالية تعرف بنكهة لذيذة تظل عالقة في الأذهان ، هذه المزروعات لا تشكل فقط مصدر رزق ، بل تعد جزءا من الهوية الصعدية التي تتأصل في أهلها الذين يبذلون جهدهم في الحفاظ على تقاليدهم الزراعية ذات الجودة والسمعة الطيبة ، وحين تلتف المدرجات الخضراء على الجبال الشاهقة كأنها دروب السماء ، حيث تروي الأرض كل يوم حكاية جديدة من العطاء والوفاء والبذل والتفرد بالمحاصيل الزراعية ومن أهمها العنب والرمان. يعتبر وادي بدر من الوديان الزراعية المشهورة في محافظة صعدة ، وهو دائم الخضرة والجمال نظرًا لجريان المياه فيه على مدار العام من الينابيع الغزيرة في الوادي. وأشهر مزروعاته قديمًا أشجار البن اليمني الشهير ، ومساقط مياه الوادي من مساقي مديريات جماعة ومجز وغمر ، وتصب في جيزان ، ويمتاز الوادي بمناظر طبيعية خلابة وانتشار مزروعات محصول الذرة والمحاصيل الحقلية الأخرى ويبلغ طول الوادي حوالى (35 كم) .

وفي هذه المدرجات ، تزرع العائلات محاصيلها بطرق تقليدية متوارثة منذ مئات السنين ، إنها ليست مجرد أراض زراعية ، بل جزء من إرث يمتد عبر الأجيال يعكس أصالة الإنسان وقدم التاريخ وتعاقب الحضارات وبواكر الخير وتفرد المحاصيل الزراعية وخصوبة الأرض وغناها الزراعي منذ القدم. و صعدة ليست مجرد محافظة ، إنها لوحة طبيعية وتاريخية تزخر بالحياة ، من المدرجات الخضراء إلى المعالم الأثرية ، ومن الكرم الذي يميز أهلها إلى بساطة العيش وجمال الطبيعة ، صعدة تبقى محافظة فريدة تنبض بالحضارة والجمال ، محافظة تعيش بين الماضي العريق والحاضر الذي يطمح إلى مستقبل أكثر إشراقا.

«محافظة صعدة تاريخ الأجداد .. وحاضرة الماضي .. والنقوش اليمنية القديمة»

الأزياء التقليدية في محافظة صعدة رمز للحشمة والرقي.

تتسم الأزياء الشعبية في محافظة صعدة بالرقي والحشمة و لها ميزة خاصة حيث يلبس الرجال القميص أو الثوب والمصنف واللحفة وعلى الرأس الغترة والعمامة والجنبية وفي مناطق مثل منبه وجماعه وغيرها يلبس المعوز مع (السبيكي) وهي أكبر من الجنبية وأصغر من السيف .أما النساء فيلبسن (ألسمسمي مشروق ، العطاف الجيلاني المسبغ ويتحجبن بشيلة والفوطة والملوى ويلبسن الحلي والمجوهرات (شبح. مرج. حروز فضية ، مرجان ، كرب ، شغطه ، ذهب) وفي الريف تستخدم المرأة أدوات تجميل طبيعية مثل أوراق الشجر (بعش الحشائش) التي تضعها على الوجه لتقيها من حرارة الشمس وتعمل على ترطيب الجسم وكذلك تستخدم الكاذي والريحان وغيره...

تتميز الأزياء التقليدية في محافظة صعدة اليمنية بأناقتها وتطريزاتها

الدقيقة التي تعكس عراقة التراث اليماني. تشتهر النساء بفساتين ملونة ومطرزة بخيوط فضية وسراويل مزينة ، بينما يرتدي الرجال الزي التقليدي اليمني المكون من (الثوب) -القميص- والجنبية ، وتتسم الملابس بتنوعها في مختلف مناطق صعدة وهنا نستعرض بدقة تفاصيل الأزياء التقليدية أزياء نساء صعدة: التطريز الفضي: تتميز الملابس النسائية في صعدة ، لا سيما في مناطق مثل رازح ، بالتطريز اليدوي الدقيق باستخدام الخيوط الفضية على الصدر والأكمام ، مما يضفي عليها طابعًا ملكيًا.

السروال المطرز: يتم ارتداء سراويل قطنية مطرزة بأشرطة وتشكيلات هندسية متناغمة مع لون الفستان. الألوان الزاهية: تستخدم أقمشة ذات ألوان زاهية ومبهجة تتناسب مع المناسبات والزي اليومي التقليدي. لمشمر (الغطاء): يُغطى الرأس والجسم بـ(المشمر) وهو قطعة قماش خفيفة مزينة بأطراف ملونه .

أزياء رجال صعدة: القميص (الثوب): يرتدي الرجال قمصانًا طويلة ومريحة تتسم بالبساطة والعملية ، وتتنوع ألوانها بين الأبيض والألوان الداكنة. الجنبية: تعد الجنبية (الخنجر اليمني) جزءًا أساسيًا من الزي التقليدي للرجل في صعدة ، وتوضع على حزام مطرز حول الخصر. العمامة أو الطاقية: يلف الرجال العمائم على رؤوسهم أو يرتدون الطواقي التقليدية ، وهي جزء من الحفاظ على الهوية. و تعد هذه الأزياء جزءًا حيًا من الهوية الثقافية الصعدية ، وتُظهر اهتمامًا كبيرًا بالحفاظ على التراث الأصيل رغم تأثيرات الحداثة والأزياء الشعبية في صعدة ليست مجرد ملابس بل هي هوية ثقافية تتحدث عن جمال المرأة والرجل ، وتحكي تاريخا طويلا من الأصالة والتنوع.

صعدة موطن الحرف التقليدية ..والتراث العريق.

عرفت صعدة منذ القدم كثيراً في الصناعات الحرفية الهامة التي اشتهرت وتفردت بها في عصور الجاهلية والإسلام فقد كانت موضع الدباغ في الجاهلية وفي العصر الإسلامي و احتلت صناعة الحديد والفضة بصعدة مركز الريادة ومركز الإنتاج الأول لتغطية احتياج الأسواق اليمنية والأسواق القريبة في كثير من البلدان المجاورة ، وبين هاتين الحرفتين تناثرت عدد من الحرف والصناعات الحرفية الأخرى التي اشتهرت بها صعدة ومناطقها فظلت عبر قرون طويلة سوقاً تجارية هامة على مستوى اليمن ونقطة التقاء تجارية بين شمال وجنوب الجزيرة العربية

،وقد كفل استمرارية هذه الصناعات وتجددها وخلق مناخ حركة تجارية مزدهرة امتدت منذ القدم فأبدع الصعديون القدماء في دباغة الجلود وصناعتها لتلبية كثير من الاحتياجات للحياة اليومية حتى أطلق عليها في الجاهلية (موضع الدباغ) وظلت هذه الصناعة مزدهرة ، كذلك صناعة النصال الصعدية ، وقد عرفت السيوف اليمانية بالجودة والمتانة وكان

لها شهرة واسعة في كثير من الأمصار الإسلامية ، وكانت مبعث فخر اليمنيين الأوائل فسميت اليمانية نسبة إلى اليمن ومن السيوف الشهيرة الصمصامة سيف الشاعر والفارس عمرو بن معد يكرب الزبيدي والذي قيل أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرسل رسولا إلى اليمن لإحضار السيف إليه والوقوف عليه في حكاية شهيرة لشدة سماعه عنه وكثرة الأوصاف التي وصفه بها عمر بن معد يكرب ، وكما ازدهرت صناعة الحديد في صعدة فإن تجارته ازدهرت أيضا وامتدت إلى كثير من البلدان العربية المجاورة وقد شملت صناعة الحديد في صعدة السيوف والخناجر والمعاول والزبر والفؤوس والصبرات المستعملة في قلع الصخور وحفرها ومتطلبات العمران والزراعة والحياة اليومية من المواقيد على اختلاف أنواعها والأَقفال على الأبواب (المراتج) بمختلف الأحجام وأضيف إليها بعض الشيء من النحاس الأصفر لاكتساب المرونة وصنعوا من الحديد كل المستلزمات بما فيها المسامير الطويلة الكبيرة الصلدة المدببة في نهايتها وفي واجهتها صفائح مدورة بحجم القطعة الذهبية والتي تستخدم لتزيين الأبواب الخشبية للدور والمساجد والحصون وبوابات المدن بحيث تبدو من خارجها وكأنها مرصعة بالمعادن النفيسة وكانت المراتج (المغالق القديمة)؛ عبارة عن مغالق خشبية صلدة على شكل قطع مستطيلة بها منايم وفتحات وتثبت على جانب الباب تدرج عند إغلاقها ، كما اشتهرت مدينة صعدة بصناعة النحاس حيث كانت تصنع من النحاس الأدوات المنزلية والتحف ومقابض الأسلحة البيضاء وأغمدتها ، والطبول كالطاسة والمرفع ، وصناعة الأواني التي تضفي لمعات جمالية للمجالس والدواوين داخل البيوت ، وزخرفة المصنوعات الخشبية للمباني والمنازل والدور والمساجد والحصون ، وارتباط هذه المصنوعات بالزينة العامة. أما صناعة الفضة فقد اشتهرت بها صعدة شهرة كبيرة لا نظير لها في اليمن حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري ، وصناعة الفضة في صعدة واليمن عموما ، ومن أهم المصنوعات الفضية القديمة بصعدة صناعة الحلي الفضية المتنوعة والخواتم المنقوشة والمفصصة وصناعة المكاحل والمطابق والمباسم والحلق وأغمدة الخناجر والعسوب الفضية ، وشكلت صعدة سوقا متفردة لبيع وصناعة الفضة. الألواح الحجرية المكتوبة ، ومن الفنون الابداعية والصناعات اليدوية القديمة التي عرفتها صعدة واشتهرت بها لأكثر من عشرة قرون خلت في فن النحت في البلق وصناعة الألواح الحجرية المكتوبة على أضرحة الموتى ، حيث يعود تاريخ بعض الألواح القديمة إلى القرن الثالث الهجري ، وفي أسواق مثل سوق الطلح بسحار ، تبدع النساء في صناعة أغطية الرأس وأدوات المطبخ من سعف النخيل الملون ، هذه الصناعات التراثية لم تعد مجرد أدوات يومية ، بل تحولت إلى رموز ثقافية جميلة وتمثل الصناعات التقليدية في محافظة صعدة إرثا تاريخيا عظيما يمتد لقرون مضت تعكس تفرد وغنى مدينة صعدة بالصناعات اليدوية التي كانت تمثل أهمية بالغة في القرون الماضية والعصر الجاهلي والإسلامي ، وهذا يدل على عظمة المدنية وتنوع مواردها الفكرية والثقافية والإبداعية والصناعية في مختلف المجالات .

شوية شغف

د. إبراهيم طلحة

أهمية العوام

يهوّل المثقفون من أدوارهم التي يظنّون أنهم يلعبونها ، ويضخّمون ذواتهم كثيرًا حينما يتحدثون باستمرار عن غياب الدور الثقافي الفاعل كما يقولون ، وعن سيطرة العوام على زمام الأمور ، والحقيقة أن عوام الناس هم الأهمّ في كل مراحل التغيير ، فمن الأوساط الشعبية يخرج أناس مغمورون استثنائيون لم يكونوا في حسبان المنظّرين النخبويين ، ولذلك يتفاجأ المثقفون بأنّ غياب أدوارهم هو الوضع الطبيعي ، وأنّ التغيير يتمّ بهم أو بدونهم ، وأنّ السياسيين – على سبيل المثال – يقيمون كياناتهم بالاستناد إلى شريحة عوام الناس وبسطائهم ، متجاوزين «بعاسس» المثقفين وأقوال الفلاسفة والنقاد والباحثين والمفكرين؛ وهذه ليست دعوة إلى تشجيع الأمية ، وإنما دعوة للمثقفين إلى التخفيف من خطاباتهم المثالية المتعالية ، ودعوة لهم إلى النظر إلى الآخرين باحترام واهتمام ، وأخذ خطورة أدوار العوام بعين الاعتبار ، وعدم احتقار دور أي فرد في المجتمع ، أو التقليل من قدر أي أحد ، وما يدرينا أن قلب الطاولة على الجميع قد لا يأتي إلاّ من قِبَل أشخاص عاديين لم يتوقعهم الجميع؟! ، يعني كما يقول المثل: «إن الله يضع سِرّه في أضعف خلقه» ، وعلى أرض الواقع هنالك فرق واسع بين مثقف منظّر «شايف نفسه» ، ويظن أن الكرة الأرضية تدور حوله وأنّ نواميس الحياة تستأذنه في التغيير ، وبين إنسان بسيط لا يقول شيئًا ولكنه يفعل كل شيء.

قصص قصيرة

روح عالقة

أمل القالب

بدأت حكايتنا حينما خرجت فتاتنا فرح من بيتها مسرعة تحمل حقيبتها الرمادية على ظهرها ، كانت غير مبالية بالسيارات ، إذ كانت تفكر في الشاب الذي تعرفت عليه مجددًا. مجد ، الفتى الساحر ذو الخامسة والعشرين عامًا ، معيد في الكلية التي تدرس بها ، ذو النظارات الدائرية ، صاحب الابتسامة العميقة والهادئة. كان طويلًا ذا قوام متناسق ، آسرًا ، ذكيًا وغامضًا. في تلك اللحظة ، يهيئ لها الموت فرصة اللقاء به.

قبل شهرين من الحادثة ، وحينما بدأت السنة الدراسية ، كان اللقاء الأول. كانت المحاضرة الأولى ، وكان حاضرًا بهدوءه وروعته. نظرت نحوه بعينيها الواسعتين تسأل نفسها: من هذا الوسيم؟ كانت تظنه طالبًا مثلها ، لكن الدهشة تحولت حينما تقدم إلى الأمام وجلس على الطاولة. نظرت نحوه الفتيات بدهشة وإعجاب ، أما الشباب فكانوا ينظرون إليه نظرات حقد وغيرة.

تحول ذلك الإعجاب إلى حرب غيرة وتنافس ، والمعيد الوسيم لا يلتفت لأحد. كانت فرح خجولة مترددة ، لكن ارتباكها كان يفضحها أمام زميلاتها على الأقل ، حتى بدأ المعيد ينتبه لها ولمشاعرها الخجولة نحوه. كانت قليلة الكلام والمشاركة ، ذات ملامح بريئة وناعمة ، عينين واسعتين ، فم صغير ووجه دائري وبشرة بيضاء صافية.

ناداها في أحد الأيام أن تكتب أسماء الطلبة الحاضرين. أعادت له الورقة فنظر نحوها بنظرات دهشة. كانت ترتجف وهي تنظر إليه ، مازال ينظر نحوها وعيناه في عينيها حتى سقطت الورقة على الأرض. تسمرت مكانها ، أما هو فسرعان ما أخذ الورقة من الأرض. منذ ذلك الوقت ، تتلاقى نظراته مع نظراتها ، بدأ يشعر بارتباكها أكثر ، وبدا متأكدًا من ظنونه.

يوم الحادثة ، الساعة السادسة صباحًا ، نهضت فرح. كان مجد قد أرسل لها رسالة: «صباح الخير لحبيبتي الجميلة. كل صباح يذكرني بك لأنه نقي مثلك. لا تنسي موعدنا في الكافيه أمام الجامعة ، أريد أن أتناول الفطور وأنا أنظر إلى عينيك الجميلتين».

كانت ابتسامتها تصل إلى أذنيها ، وقلبها يرقص فرحًا. تودع أمها التي لا تزال نائمة ، تنظر إلى كل ما في الغرفة كما لو كانت تنظر إليه للمرة الأخيرة. صورة أمها وأبيها المعلقة على جدار الغرفة ، وبجوارها صورة أخيها الصغير. تنظر إلى الصور قائلة: «كانت أيام جميلة» قبل أن يتوفى والدها قبل عامين.

أخوها يتجهز ليذهب إلى المدرسة ، كانت تريد رؤيته. طرقت على باب غرفته ، قال لها متأففًا: «لقد صحوت ، إن كنت تريدين إيقاضي فأنا أرتدي ملابسي». تذكرت موعد حبيبها وغادرت بسرعة.

تعلو أصوات السيارات ، تأخذ فرح خطوتها إلى الجهة الأخرى من الشارع ، تأتي سيارة مسرعة تنقلها جثة إلى طرف الشارع.

تنازع روحها الموت ، لا تهتم سوى برؤية مجد. تقول الأسطورة إن أجسادنا تغادر إلى باطن الأرض بينما أرواحنا تظل تحوم حول من نحب. في تلك اللحظة ، قررت روح فرح أن تحب مجدًا إلى الأبد. حينها سمعت صوتًا يخبرها أن خيارها خيارًا لا رجعة فيه. في قوانين العالم الآخر ، يظل الحب قيدًا عالقًا إلى الأبد ، بينما في قوانين الدنيا يمكن للألم والابتعاد أن يحررنا من سطوة الحب. قررت روح فرح أن تظل تحب مجدًا إلى الأبد ، ألا تصعد إلى السماء وتظل تحوم حوله.

الساعة العاشرة والنصف ، لقد فات الموعد. ينظر مجد إلى ساعته: لم تأتِ ، هل هناك خطب؟ يقرر مغادرة الكافيه.

تتجول روحها معه إلى المنزل ، تنظر إليه وهو يتفقد صورها في هاتفه ، تشعر بحزن كبير ، تنظر إليه وهو يمحو رقمها ، يمحو الصور والرسائل.

مرت ستة أشهر على الحادثة ، نسي مجد موت فرح وبدأ قصة حب جديدة. روح فرح تراقب كل ذلك ، تراقب مجدًا ونظراته لحبيبته الجديدة ، كم تشبه نظراته لها هي! تراقب الرسائل التي يرسلها لها ، تراقب حب حبيبته وما تفعل بها نظراته.

ها هي حبيبة مجد تتحول إلى عروسته. هذه الليلة الأولى معه في بيته ، تراها تلبس الفستان الذي حلمت طويلًا أن ترتديه ، وستعيش مع الرجل الذي تمنت أن تعيش معه. تمنت فرح في تلك الليلة أن تصعد روحها إلى السماء وتتحرر من حبه ، إنها مجرد شبح يتألم مقيدًا في الفراغ.

كانت تبكي بصمت في الظلام ، تمنت لو أنها لم تلتقه ، تمنت لو أنها لم تحبه. لكن الألم يضاعف المحبة. تمنت الموت وهي ميتة ، تمنت لو تتلاشى تمامًا ، تمنت ألا تراه كما هو لا يراها.

لكنها تذكرت أن ذلك الصوت أخبرها أن ارتباطنا بمن نحب أمر لا نستطيع الفكاك منه ، فندمت ندمًا شديدًا. كانت تئن فلا يسمع صوتها أحد ، تبكي بينما هو يضحك ، تتمزق من الوحدة بينما يعانق عروسته.

في تلك اللحظة ، قررت فرح أن تغمض عينيها وتتناسى وجوده ، تسبح في عالم آخر أكثر رحمة من العالم الذي ربطت نفسها به. بدأت تغوص في نفسها ، في تفاصيل حياتها الماضية ، تذكرت أمها وأباها وأحلامها التي لم تمنحها الكثير من الوقت ، تذكرت لو كانت حية ما الذي كانت ستفعله وما الذي لم تكن لتفعله.

بدأ إدراكها لمجد وعالمه يقل برغم رؤيتها له. هل من المعقول أن الهرب إلى أنفسنا ينقذنا من التلاشي في الآخر؟

بعد ذلك ، صارت فرح ترى مجدًا بنظرات مختلفة. ترى كيف تغيرت حياته ، كما لو كانت تعرفه للمرة الأولى. تراه يخون زوجته مع فتيات أخريات ، تذكرت سارة صديقتها التي كانت تخبرها أن مجدًا شخص فارغ من الداخل ، تذكرت حينما كانت تقول إن بعض الأشياء تبدو جميلة فقط من الخارج.

حينها تحررت روح فرح وصعدت إلى السماء ، إلى العالم الذي تنتمي إليه.

محطات

محمد محمود غدية / مصر

كان اليوم رائقا ، سكنت ريحه وسطعت شمسه ، وهدأت فيه الأمواج الصاخبة وتثاءب البحر.

يكتب الشعر ، بسيط مثل العصافير والزهور وقطرات الندى ، مشاعره صادقة تقرأها في وجهه ، يلقاك بالابتسامة تدعوك لمسامرته ولعب الطاولة ومشاركته في احتساء القهوة والثرثرة ،

سألوه يوما عن عمره ، فأجاب أنه في مرحلة غياب الإشتهاء والأصدقاء ، يقاوم حتى لا يموت غريبًا شريدًا ، تسحقه تروس وعجلات الحياة كفيفة البصر ، لا أحد يربت على مواجعه ، ووحده لا يقدر على منع سيل الدمع المدرار كالمطر!

يجلس أمامه في الباص فتاة وشاب في عمر الزهور ، يتبين من حديث الفتاة للشاب أنه لقاؤهما الأول ، حين قالت إن عمرها اقترب من العشرين ، لكنها في الأربعين اذا قاست عمرها باليتم والانكسار!

في النفوس ظلال كآبة ، تظللهما سحابة رمادية موحشة ، وحدها تمضغ أحزانها وتلوك تعاستها.

غادر الباص الكاتب صياد النصوص ، الذى يمشي في غابات الكلمات حافي القدمين ، غير عابىء بأشواك الحياة ، بحثًا عن طريدة مباغتة ، حين وجدها ، طوقته الأغلال وانكسر القلم ،

مر طيف فتى وفتاة الباص جواره ، تفيض في وجهيهما البسمات التي تحولت لآلاف الفراشات الملونة المحلقة ، كنسمة مسافرة في الملامح والعيون ، عاشا الخوف الذي كبلهما ولجم أحلامهما وقدرتهما على الإستمتاع بالحاضر ، والتطلع نحو غد أفضل.

في مقهاه القديم ، اختارته الطاولة المتهالكة ، ومقعده المرحب به بعد غياب ، طاردًا خوفه وانتظاره للمجهول الأكثر إيلامًا من وقوعه ، احتسى فنجاني قهوة دون تلذذ ، ودون صحبة ، تحتضنه أذرع الحياة الساحرة الماكرة ، الباهرة الزاهرة والمغوية ، يصافح على البعد صورتها ، بعد خسارة كل منهما الآخر ، لأن احلامهما كانت اشبه بقالب من الزبد ، فوق سطح صفيح ساخن ، افتقدا لغة الحوار وإيصال رسالتهما بطرق مختصرة ومفيدة.

عدم وجود المرأة في حياة الرجل ، وغياب الرجل في حياة المرأة ، يقلل من أهمية وجودهما ، ويحول أيامهما إلى أرض مقفرة. الحياة قصيرة مثل الزهور ماتلبث أن تذبل ، وعلى كل من يتنفس الحياة الاستمتاع بها.

يمشى الهوينا إلى محطته الأخيرة بحثًا عن مسافر بلا عنوان ، ترى هل يلقاه!

الأحزان مخادعة ، لا تأتينا منفردة ، وإنما يستدعي

بعضها بعضًا ، فتتكالب علينا وتعتصرنا. تدهشنا الحياة في منطقها الغرائبي حين تمسح في لحظة من الأحزان مايعجز المحيط عن غسله.

الإنحدار

خالد النهيدي

بموقفه الأخير هدم كل ما تبقّى من جسور المحبة والتواصل؛ تلك التي ظلّت ممدودة برغم الألم والجراح واللحظات الموجعة.

نحن الآن في مفترق الطرق ، وكلٌّ منّا يحاول أن يتشبث بالآخر إلى آخر رمق ، إلى آخر نفس. ذلك برغم حساباته النسائية التي يضج بها الفيسبوك ، وكنت ألومه وأختلف معه كثيرًا بشأنها.

لم يعد خِلّي الوفي ، ولم يعد ذاك الشامخ الحُرّ الأبي. لم يبقَ له في داخلي سوى بعض الدموع وكمّ هائل من الأوجاع والذكريات التي ستظل تقاوم النسيان ، وتحفر في جدران الذاكرة باستمرار.

قلت له يومًا مستغربًا بشدّة:

ـ ماذا تستفيد من حساباتك النسائية على الفيسبوك؟

فقال لي حرفيًا:

ـ أنت كاتب ، ولك معجبات وقرّاء ، وأنا لا حيلة لي سوى هذه الطريقة لاستقطاب النساء والتحدث معهن.

لم أقتنع أبدًا بإجابته. وكنت أخشى الظنون المتضاربة التي تراودني بسبب تلك الحسابات ، أن يكون لا سمح الله ليس برجل كامل وقد تطغي علية هرمونات الأنوثة لكني دائمًا أستعيذ بالله وأحاول استبعادها. كان أكثر من صمام أمان ، وأكثر من أخ. وكانت له مواقف تستثير في داخلي كل معاني البقاء إلى جانبه ، برغم كل ما قد يصيبك بالاشمئزاز ، أيها القارئ أينما كنت.

هو الآن قابع خلف السراب ، يتأمل ذكرياتنا ويرسمها على وجه السحاب.

أخذت تتحاور معي قارئة لكتاباتي المنشورة عبر إذاعة الـ BBC لأكثر من سنة. كانت مثقفة جدًا ، وفي غاية اللباقة وخفة الدم ، وحواراتها على مستوى عالٍ من العُمق والنضج.

تعمقت علاقتي بتلك القارئة المتابعة لكتاباتي حتى صارت أكبر وأعمق مما أتصور أو تتصور. عرفتها وأنا في فترة نقاهة مع نفسي ومع الكتابة. ثم أقنعني ـ جاهدًا ـ أنه هو من كان يحاورني متنكرًا في حساب نسائي جديد.

أنا أجزم أن لديه انفصامًا في الشخصية؛ فذلك الأسلوب واللغة اللتي كانت تتمتع بها تلك القارئة ورائحة الأنوثة التي كانت تفوح وتطغى على المكان ، كانت تفوق كل أساليبه التافهة الماسخة. لقد كان استخدامه لنعمة الإنترنت أسوأ ما يكون؛ فقد حوّلها من نعمة إلى نقمة ، وأطاح بشخصيته السابقة الشامخة في سراديب مليئة بالتخبط والإنحدار.

لم يعد له سوى كلمات ما زالت محفورة في أعماقي من أغنية قديمة:

خذ بقايا ذكرياتك

والأماني والوعود

وانسى إسمي من حياتك

وانسى إني بالوجود

وطويت صفحة من تقويم عمري ، من الصعب أن يطويها النسيان .

إخلاء طَرَف

شادي سلطان

كان يومًا مرهقًا ، آخر أيامه في المعهد ، انتظر هذا اليوم طويلًا ، ما يزال حتى اللحظة يرتدي الثوب الكحلي ، ويضع القبعة أمامه. والمكان هادئ ، تضوع منه رائحة الفل رغم دخان الشيشة ، إضاءة دافئة وشاشة ضخمة. ويسمع أحدهم يكسر الصمت بالقول:

– صديقي أرسل لي الآن ، قال بإمكانك أن تأتي غدًا ، لكن التدريب ثلاثة أشهر.

يقاطعه آخر بالقول:

– ثلاثة أشهر بالمجان ، وبعدها «الله يستر عليك».

– لا ، هو مضمون ، خالته قريبتنا.

– صدقني يا يوسف ، قدك على صاحبي بس ، خليه بس يطلع من عدن.

فيردّ هو:

– سهل ، ربك كريم.

يضع الهاتف على «الإستاند» الذي يحمله معه دائمًا ، يتصفح المنشورات والصور ، يقرأ التعليقات ويرد عليها بالقلوب ، الصور ما تزال تتدفق تباعًا ، يجيب على رسائل الواتساب. ثم يهتز هاتفه فيضع السماعة في أذنه ويقول بصوت رزين:

– أهلًا يا زينب.

يخوضان في حديث قصير؛ يتكلم بنبرة رسمية لكن بريق عينيه يقول شيئًا آخر. الصور ، الأساتذة ، الإخلاء. ينهي المكالمة سريعًا ويعيد الهاتف إلى حضنه ، يفتح برامج المونتاج ، يختار بعض الصور ، يضيف ويمسح ، يكتب ، يضع الرموز ، ثم الفلاتر والنقلات. يتنفس الصعداء أخيرًا ، يعيد ظهره إلى الوراء ويشغل الفيديو ، يبتسم ابتسامة عريضة.. جميل.. جميل للغاية ، سيعجبهم هذا كثيرًا. يرفعه إلى صفحته ، لكن التحميل يستغرق وقتًا أطول من المعتاد. تفشل العملية. يعيد المحاولة فتتكرر النتيجة نفسها. يرمي الهاتف جانبًا ويقول ببعض الضيق:

– النت شغّال عندكم؟

يرد إبراهيم بفم محشو حتى النهاية:

– ولا خاطي!

– لصوص.

– قلنا لكم ألف مرة أن ذلك الفندق أفضل وأرخص.

فيقول أقربهم إليه بصوته الحاد:

– أتحداك أن تجد غرفة بهذا السعر في صنعاء كلها ، يؤجرها بعشرين ألفًا لكنه خفّض السعر لأجلي.

ثم يستطرد وهو يمدّ له خرطوم الشيشة:

– ثم نحن هنا لنخزن.. لنتحدث ، ضعوا هواتفكم جانبًا عليكم اللعنة.

فيأخذ منه الخرطوم ويشفط منه نفسًا واثنين ، ثم يقول:

– هيا.. تحدّث.

يجيب الآخر وهو يسدل ظهره على المتكأ:

– أيوه ، ما قلت؟ سميرة تنتظر ردًا.

– الله يشلّك أنت وهي.

– أقلك المرة تحبك ، بتصلح لحوح تقل بسكوت ، عتعاونك في المصروف يا أخبل.

لا يرد ، يسعل فقط ، فينادي الآخر على الصبي ليأتيه بالفحم ، ثم يقول:

– فلنتحدث بجدية ، تخرجت ، الآن وقت الزواجة.

– على ربك. لكن الوظيفة أولًا.

– علِم أمك.

يعود الهدوء من جديد ، يخوض هذا النقاش دائمًا ، هؤلاء رفاق العمر ، جمعتهم الحارة والمدرسة ، ثم هجّرتهم الأيام تواليًا إلى بقع مختلفة ، لكنهم لا يفترقون: علي وإبراهيم ونادر. هم في نفس السن تقريبًا ، عدا إبراهيم الذي يكبرهم ببضع سنوات ، تقول ذلك كرشه المتدلية وصلعته. يعيد الخرطوم لعلي ويقول:

– هذا حارق.

يرخي ظهره ويعود للهاتف ، الدائرة البيضاء الملعونة تدور بلا توقف. ينشغل لدقيقة بمطاردة مثيرة على التلفاز ، ثم يجد نفسه يحدّق في النافذة على يساره ، وما تحتها من أضواء ملونة ، مشهد بديع ، هذه جامعة صنعاء ، وهذا شارع الستين ، هل يمكنه يومًا امتلاك منزل بهذه الإطلالة؟ لم لا؟ العمر في بدايته ، وكل شيء ممكن بالعمل الدؤوب.

ينهض إلى الحمام ، ويعود ، يشعر فجأة بصدره ينقبض. يتوقف لحظة ، يحاول أن يأخذ نفسًا عميقًا. لا ألم واضح ، يفتح أزرار الثوب قليلًا. لا يكفي. يشرب رشفة ماء. الهواء يدخل ولا يصل. ينتظر أن يزول ، لا يزول. يجلس ، يرمي الأغصان إلى فمه ، يشغل نفسه بالهاتف ، ثم بالشاشة ، يضغط بيده على صدره خلسة. يتظاهر بالهدوء ، لكن الإحساس الغامض لا ينحسر بل يتضخم ويتضخم ، فيلتفت لعلي ويقول:

– هيا مشينا.

تأتي غمغمات مستاءة: ما يزال الوقت مبكرًا ، نحلل البيس على الأقل ، طيب انتظر ساعة ، طيب نعمل رأس.. لكنه يقول بإصرار غريب وهو يحزم أغراضه:

– عادي ، سأستقل دراجة.

ينهضون تواليًا ويرتدون معاطفهم ، يسمع إبراهيم يقول: أنت هادم اللذات. لكنه يذهب لينتظرهم في الخارج. تداعبه نسمة باردة فيشعر ببعض الراحة. يقفون جميعًا في المصعد ، ثم يجتازون ممرًا رخاميًا أنيقًا ، يصلون أخيرًا إلى الشارع الهادئ. يلمح صورته المطبوعة على زجاج السيارة فيغمره زهو ، مبروك التخرج ، لوحة في غاية الجمال. العقود تنثر عطرها في الهواء البارد. يصعدون ، ثم تنطلق السيارة مسرعة.

بعد ربع ساعة يكون في السائلة ، يقفون أمام فكة يفصلها عن منزله دقيقة فقط ، ينزل حاملًا القبعة والفل ، يصعد الشارع الحجري المنحدر ، إضاءات خافتة وحوانيت مغلقة ، والمنزل في نهاية الزقاق يبعث الأنوار على غير العادة ، النوافذ كلها ، حتى غرفة أمه! ربما سهروا احتفالا بالمناسبة ، خيالات وأصوات تتجلى ، الغم والكربة يتبخران في لحظة. من هذا؟ كأنه الحاج علي ، وهذه سيارة الضاوي. يقترب أكثر ، الأيدي تسلم ، العيون محزونة ، جلبة آتية من الداخل. الرائحة الزكيّة اختلطت بشيء حاد في الهواء. في الفم طعم دم ، أو تراب. لا أحد هنا ، لا أحد يجيب. يهرول ، يتجاوز العتبة ، أحدهم يربّت على كتفه ، كلمات متقطعة: أبوك.. جلطة دماغية.. بعد ساعة فقط.. قلبُ أمك. لا يسمع البقية ، الصوت يبتعد.. الضوء يبهت.. الفل يسقط من يده.

الشبل المتباهي

تأليف ورسوم: غدير الرعيني

في غابة بعيدة وجميلة عاشت الحيوانات في أمان وسعادة ، لأن ملكهم الأسد كان شجاعًا وحنونًا ، متواضعًا وحكيمًا ، لكن الشيء الوحيد الذي كان يقلق الأسد هو غرور أبنه.

فقد كان دائم التباهي بأبيه بين أقرانه مما نفرهم منه ، وأحرج والده أيضا.

فكر الأسد بطريقة يعلم بها أبنه الشبل أن الغرور خلق قبيح ، وأن ما يجعلنا مميزين هي إنجازاتنا نحن ، وليست إنجازات آبائنا ،

كما أنه أراد لابنه أن يدرك أهمية التواضع كي نكون محبوبين ، ونكون صداقات طويلة الأمد ، لذلك ذهب لصديقه الذئب ، وأتفق معه على خطة ليعلم شبله درسا لا ينساه.

في اليوم التالي خرج الشبل كعادته يتباهى أمام صغار الحيوانات ، لكنه فوجئ بجرو الذئب يقف في وجهه ، ويقول أمام الجميع أن والده الذئب مارس تمارينًا جعلته الأقوى بين الحيوانات ، حتى أنه أصبح أقوى من الأسد ، ويمكنه القدوم لرؤية عضلاته القوية وأنيابه الفتاكة!

لحق الشبل بجرو الذئب وما أن اقتربوا من وكره حتى سقط الشبل في حفرة.

طلب الشبل المساعدة من جرو الذئب فقال له:

– فلتطلب المساعدة من ملك الغابة الذي تتباهى به دائمًا! كان عليك أن تكون ودودًا أكثر كي أشعر بالحزن عليك وأساعدك.

وهكذا فعل بقية صغار الحيوانات كلما مر بالشبل أحدًا منهم وطلب مساعدته.

شعر الشبل كم أن غروره جعل الجميع يستاء منه ، وكم أصبح منبوذًا ومكروهًا بعكس أبيه الذي يحبه الجميع ، لذا فقد صرخ من داخل الحفرة بحزن:

– أعتذر منكم جميعًا وأتمنى أن نكون أصدقاء. ساعدوني وأعدكم أني سأتوقف عن مضايقتكم وأصبح شجاعًا ومتواضعًا كأبي.

قبل صغار الحيوانات اعتذاره وتعاونوا على إخراجه ، وحين وصل للأعلى ، فوجئ بأبيه الأسد ينتظره فصرخ بحزن وحنق:

– كنت هنا وتركتني وحدي في الأسفل ولم تخرجني؟

رد عليه الأسد:

– لو لم أتركك تواجه نتيجة غرورك اليوم ، لكبرت تعاني منه طوال حياتك ، فالغرور خلق ذميم يا صغيري ، وحبي لك ما دفعني لتعليمك هذا الدرس. أنا الآن مطمئن بأن اصدقائك سيساعدونك لأنهم يحبونك ، وليس خوفًا من أبيك الذي كنت تتباهى به طوال الوقت.

نقطة ضوء

نادي القصة

قمر عبد الرحمن

الكتابة بين وجع الوطن وصوت الإنسان

أعد الملف: نجيب التركي

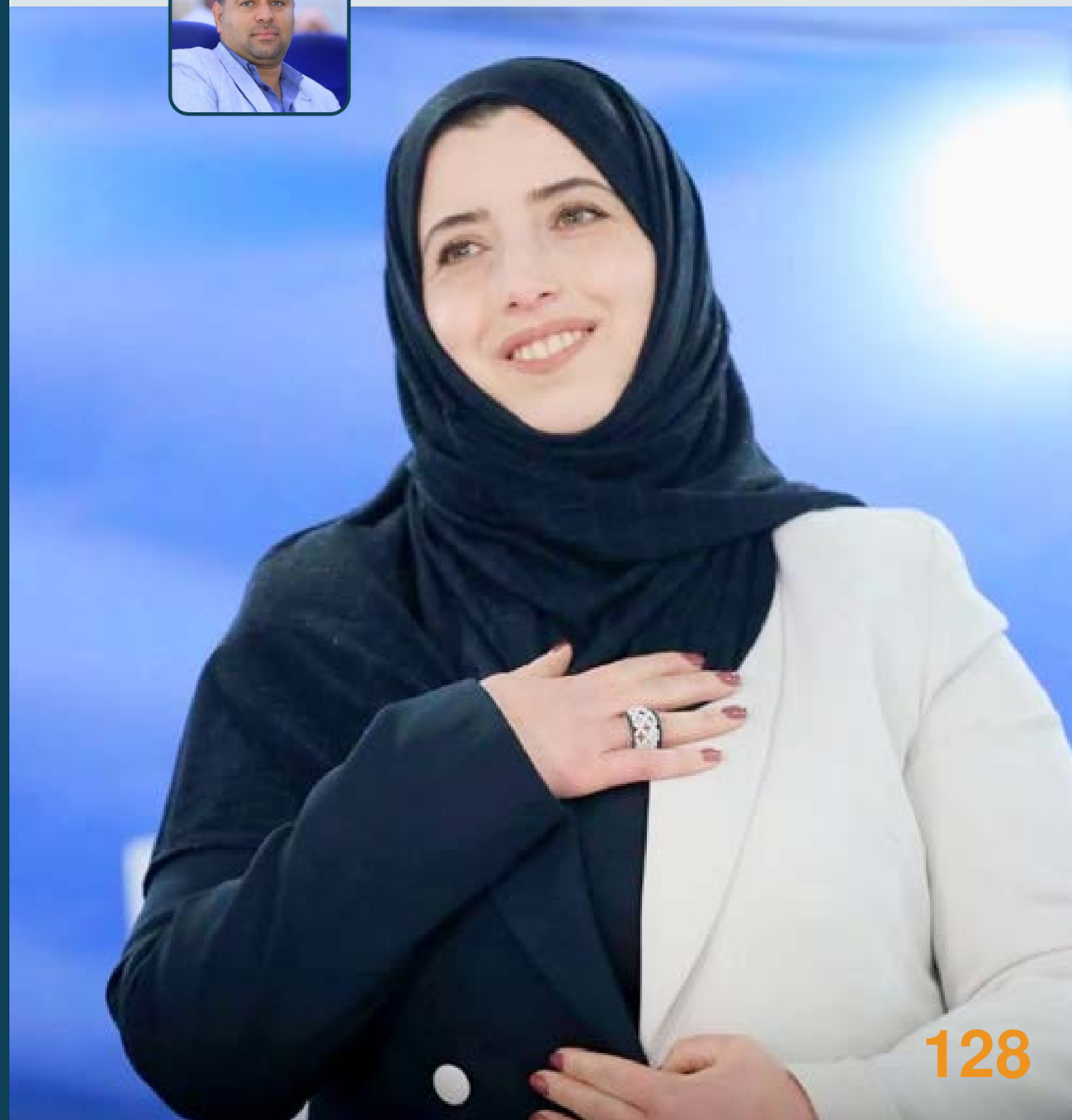

السيرة الذاتية

التعريف الأدبي

قمر عبد الرحمن كاتبة وإعلاميّة فلسطينيّة من مدينة الخليل، تكتب في مجالات متعدّدة تشمل القصّة القصيرة، والرواية، والشّعر النثري، والشّعر الحديث، إضافة إلى فنون الشعر الياباني مثل الهايكو والهايبون والتانكا.

المؤهلات العلميّة

دبلوم في الصحافة والإعلام (2010) من جامعة الخليل – برنامج التدريب المهني، بتقدير جيّد جدًّا.

بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم الإداريّة (2017) من جامعة القدس المفتوحة، بتقدير امتياز.

الخبرات العمليّة

مقدّمة برامج في الإذاعات المحليّة، منها إذاعة الحرية وإذاعة اليمامة (2008–2010).

متطوّعة في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني (2008–2010).

عضو اللجنة الثقافيّة في الرابطة العربيّة للآداب والثقافة منذ عام 2019.

المنسّقة الإعلاميّة لمنبر أدباء بلاد الشام منذ عام 2019.

مقدّمة برامج في قناة "هوانا" المتلفزة (الإعلام الجديد) خلال عام 2020.

المبادرات والأنشطة الثقافيّة

مؤسِّسة مبادرة "الأسير الفلسطيني يكتب" (10 أكتوبر 2020)، من خلال برنامج "وتر النصر"، الذي يعنى بالجانب الإبداعي والتعليمي للأسرى الفلسطينيين داخل السجون.

إعداد وتقديم برنامج "هل تسمع صدى الوجع؟" الذي يسلّط الضوء على الأسرى المرضى والمضربين عن الطعام.

إعداد وتقديم برنامج "رسالة من القيادة" حول وصايا الشهداء.

تقديم قراءات نقديّة للأدباء والشعراء.

كاتبة دائمة في جريدة القدس الفلسطينية، إضافة إلى مشاركات في الإعلام الجزائري الورقي والرقمي، عبر مقالات وأبحاث متنوعة.

فاعلة عبر قناتها على يوتيوب "قمر عبد الرحمن"، حيث قدّمت قراءات أدبيّة، ونصوصًا تعليمية للمناهج الفلسطينية، وأعمالًا إبداعيّة للأسرى والأسيرات، قبل أن يتم إغلاق القناة مطلع عام 2026 بسبب تناولها قضايا وطنية، خاصة برامج الأسرى.

الإصدارات الأدبيّة

"رشفة حقيقة" – شعر نثري (2018، فلسطين).

"مجموعة شعريّة" ضمن إصدار جماعي عن ديوان العرب للنشر والتوزيع (2019، مصر).

مشاركة في "أنطولوجيا قصائد الهايكو العربيّة" (2019، لندن).

"صلاة الدموع" – شعر هايكو (2020، الأردن).

"بين كلمتين" – شعر هايكو (2020، لبنان).

"القاتل البريء" – قصّة ضمن "موسوعة الجياد" (2020، الأردن).

"كوفيد الأحلام" – رواية (2021، رام الله).

"أجنحة الظلّ" – شعر هايكو (2022، الأردن).

"سلالة من طين" – رواية (2025، رام الله).

أعمال قيد الإنجاز

- رواية (نوفيلا) قيد الطباعة.
- مرشحة حاليًا في المجلس البلدي في مدينتها الخليل.

الكاتبة والروائية الفلسطينية قمر عبدالرحمن لـ مجلة سلاف

بين الإعلام والأدب: صوت يصل إلى العقل والروح

حوار/ نجيب التركي

في المشهد الأدبي الفلسطيني المعاصر، تبرز الكاتبة والإعلاميّة قمر عبد الرحمن بوصفها صوتًا متعدّد الأبعاد، يجمع بين الحسّ الإبداعي العميق والانخراط الفاعل في القضايا الوطنيّة والإنسانيّة. تنحدر من مدينة الخليل، المدينة التي تختزن في تفاصيلها التاريخ والوجع والأمل، وهو ما ينعكس بوضوح في كتاباتها التي تتأرجح بين التأمّل الوجداني والالتزام بالقضية. تنقّلت قمر عبد الرحمن بين أجناس أدبيّة متنوّعة، من القصّة القصيرة والرواية إلى الشعر النثري والحديث، وصولًا إلى استلهام فنون الشعر الياباني كـ «الهايكو» و«الهايبون» و«التانكا»، لتصوغ لنفسها تجربة أدبيّة خاصة تمزج بين التكثيف الجمالي وعمق الفكرة. هذا التنوّع جاء تعبيرًا عن قدرة واعية على تطويع الأدوات الفنيّة لخدمة رؤيتها الإبداعيّة.

إلى جانب إنتاجها الأدبي، شكّلت تجربتها الإعلاميّة رافدًا مهمًا في تشكيل صوتها، حيث استطاعت أن توظّف المنصّات الإعلاميّة لخدمة القضايا الثقافيّة والوطنيّة، خاصة ما يتعلّق بالأسرى الفلسطينيين، من خلال مبادرات وبرامج حملت بعدًا إنسانيًا ورساليًا واضحًا. وقد تجلّى ذلك في تأسيسها لمبادرات نوعيّة، وفي حضورها المستمر ككاتبة وناقدة ومقدّمة برامج. تتجلّى في أعمالها ثيمة الإنسان الفلسطيني في مواجهة القهر، كما تحضر الذات الشاعرة بوصفها مساحة للبوح والتأمّل، فتتداخل التجربة الشخصيّة مع الهمّ الجمعي في نسيج لغوي مكثّف ومعبّر. ومع استمرارها في العطاء الأدبي والثقافي، تواصل قمر عبد الرحمن ترسيخ حضورها كواحدة من الأصوات النسويّة الفلسطينيّة التي تحمل مشروعًا إبداعيًا وإنسانيًا يستحق التوقّف عنده.

بداية نريد تعريف القارئ عن قمر عبد الرحمن، بعيدًا عن السيرة المكتوبة أعلاه، قمر الإنسانة؟

أنا امرأة تحاول أن تنجو بالكلمات. لستُ سوى ابنة هذه الأرض ، أتعلم منها الصبر ، وأكتب لأفهم نفسي والعالم من حولي. في داخلي هشاشة كبيرة كأي امرأة عربية ، لكنها تتخفّى خلف عنادٍ يشبه جذور الزيتون.

كيف بدأت رحلتك مع الكتابة، وما اللحظة التي شعرتِ فيها أنكِ أصبحتِ «كاتبة» بالفعل؟

بدأت الكتابة كنجاة شخصية ، كأنني أمدّ يدي لنفسي كي لا أغرق. أما لحظة «الكاتبة» ، فلم تأتِ دفعة واحدة ، بل تسللت بهدوء... ربما حين وجدتُ نصوصي تعيش في قلوب الآخرين أكثر مما تعيش في دفاتري.

تكتبين في أجناس أدبيّة متعدّدة، هل تجدين نفسكِ أقرب إلى جنس معيّن أم أن التنوّع ضرورة إبداعيّة بالنسبة لكِ؟

لا أحب أن أُقيّد نفسي بجنس واحد ، فكل فكرة تختار شكلها. أحيانًا تكون قصيدة ، وأحيانًا قصة ، وأحيانًا مجرد ، ومضة. التنوع ليس ترفًا ، بل ضرورة كي أظل صادقة مع النص.

ما الذي جذبكِ إلى فنون الشعر الياباني مثل الهايكو والتانكا؟ وكيف توفّقين بينها وبين البيئة الفلسطينية؟

أُغرم بالاختزال... بالقدرة على قول الكثير بالقليل. الهايكو يشبه لحظة برق ، خاطفة لكنها كاشفة. أما فلسطين ، فهي ليست بعيدة عن ذلك ، فكل تفصيلة فيها قابلة لأن تُكتب كهايكو: شجرة ، حجر ، أم تنتظر.

«تجربة إبداعية متعددة: من الهايكو إلى الرواية»

كيف تصفين تطوّر تجربتكِ الأدبية من «رشفة حقيقة» إلى «سلالة من طين»؟

«رشفة حقيقة» كانت محاولة أولى لفهم الذات ، بينما «سلالة من طين» كانت مواجهة أعمق مع الجذور... مع الأرض ، مع الذاكرة. بينهما مسافة نضج ، وربما ألم أكثر ووعي أقل بالهروب.

حضور قضية الأسرى واضح في أعمالكِ ومبادراتكِ، ماذا تمثّل لكِ هذه القضية على المستوى الشخصي والإبداعي؟

الأسرى ليسوا موضوعًا أكتب عنه ، بل جرحًا أعيشه. هم الامتحان

الحقيقي لإنسانيتنا. كل نص عنهم هو محاولة صغيرة لكسر العتمة التي فُرضت عليهم.

كيف ترين دور الكاتب الفلسطيني اليوم في ظلّ التحوّلات السياسية والإعلامية؟

الكاتب اليوم ليس رفاهية. عليه أن يكون شاهدًا ، لا مروّجًا. أن يكتب الحقيقة ، حتى لو كانت مُرهقة. في زمن الضجيج ، الكتابة الصادقة تصبح شكلًا من أشكال المقاومة.

هل واجهتِ تحديات أو ضغوطًا بسبب تناولكِ لقضايا وطنيّة حسّاسة، خاصة بعد إغلاق قناتكِ على يوتيوب؟

نعم ، لكنني أؤمن أن الصوت الحقيقي يجد طريقه دائمًا. الإغلاق ليس نهاية ، بل شكل آخر من أشكال التأكيد أن ما نقوله يصل... ويُقلق.

«الكتابة كفعل مقاومة: بين الأسرى والوطن»

برأيكِ، هل يستطيع الأدب أن يُحدث تغييرًا حقيقيًا في وعي المجتمع تجاه القضايا الوطنية؟

الأدب لا يُغيّر الواقع مباشرة ، لكنه يُغيّر الإنسان... والإنسان هو من يغيّر الواقع. أؤمن بالكلمة ، حتى لو بدت ضعيفة ، فهي تترك أثرًا لا يُرى فورًا.

هل أثّرت تجربتكِ في الإعلام على أسلوبكِ في الكتابة الأدبيّة؟

الإعلام علّمني التكثيف والوضوح ، لكن الأدب علّمني العمق. أحاول أن أوازن بين الاثنين ، دون أن أفقد روحي في أي منهما.

ما الفرق بين مخاطبة الجمهور عبر الإعلام ومخاطبته عبر الأدب؟

في الإعلام ، أنت تخاطب العقول بسرعة. في الأدب ، أنت تهمس للروح... وتأخذ وقتك.

كيف تولد الفكرة لديكِ: هل من تجربة شخصية، أم من حدث عام، أم من لحظة شعوريّة عابرة؟

كل ذلك معًا. أحيانًا فكرة كاملة تولد من نظرة عابرة ، أو من خبر صغير ، أو من وجع لم أستطع تجاهله.

ما طقوسكِ في الكتابة؟ وهل تلتزمين بوقت معيّن أم تكتبين وفق الإلهام؟

لا طقوس ثابتة. أكتب حين تُلحّ الفكرة ، وأحيانًا أكتب لأستدعيها. لكنني دائمًا أحتاج إلى هدوء يشبه الإصغاء.

من هم أبرز الكتّاب أو الشعراء الذين أثّروا في تجربتكِ؟

تأثرت بكثيرين.. أبرزهم محمود درويش.. لكنني أحاول دائمًا أن أكتب صوتي الخاص... لا صدى لأحد.

كيف تتعاملين مع النقد الأدبي، خاصة النقد القاسي؟

أستمع لما هو صادق فيه ، وأتجاوز ما هو قاسٍ بلا جدوى. النقد الحقيقي يُعلّم ، أما القسوة وحدها فلا تُنتج شيئًا.

ما الذي تحلمين بتحقيقه أدبيًا في المرحلة القادمة؟

أن أكتب نصًا يبقى... نصًا يشعر به القارئ بعد سنوات كأنه كُتب له وحده.

كيف ترين مستقبل الأدب الفلسطيني، خاصة مع حضور الجيل الشاب؟

أنا متفائلة. هناك أصوات جديدة ، جريئة وصادقة. الأدب الفلسطيني سيبقى حيًا ما دامت الحكاية مستمرة... ونحن ما زلنا نكتبها.

غزة في رواية «سلالة من طين، غزة الباكية» لـ «قمر عبد الرحمن»

رائد محمد الحواري.. فلسطين

الكاتب/الأديب النبيل هو الذي يتماهى مع هموم شعبه/أمته ، ويتناول قضاياها ، مُظهرًا هموم وطموح هذا الشعب/الأمة. من هنا وجدنا الكثير من الأدباء والشعراء الفلسطينيين يتناولون حال شعبهم ، وما يتعرض له من إبادة وتطهير عرقي في غزة. حتى إن العديد منهم يعيشون في قارات وبلاد بعيدة: أمريكا ، روسيا ، كندا ، إسبانيا ، أستراليا ، هولندا وغيرها ، فرغم أنهم يعيشون حالة من الترف والرفاهية ، إلا أننا نجدهم منحازين لشعبهم ، ويكتبون آلامهم/وجعهم وكأنهم بيننا.

إذن ، الكتابة عن مكان ، وعن ناس في مناطق (بعيدة) ، مسألة طبيعية بالنسبة للفلسطيني؛ لأن الكتابة ليست مجرد وصف خارجي للأحداث أو للناس أو للواقع ، بل هي الدخول النفسي ، والتماهي مع المكان والناس ، والشعور بما يشعرون ، ويحسّون ، ويتألمون ، ويريدون ، ويأملون. وهذا ما يجعل كتابة الأديب صادقة ، ومنتمية لشعبها ولأمتها.

نحن في فلسطين مُقسّمون جغرافيًا إلى أكثر من منطقة: فلسطين الـ 48 ، الضفة الغربية ، القدس ، غزة. والانتقال بين هذه المناطق صعب ، بل شبه مستحيل ، بسبب الإجراءات المتشددة والحواجز التي وضعها الاحتلال؛ إذ يوجد أكثر من ألف حاجز في الضفة الغربية وحدها ، لكن فضاء الإنترنت سمح لنا بالتواصل فيما بيننا.

العدوان الوحشي على غزة دفع العديد من الكتّاب والأدباء والشعراء إلى الكتابة ، حتى إنه طال كل فلسطين من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، فنجد الجميع يكتب عن غزة ، كلٌّ في مجاله: القصة ، القصيدة ، الخاطرة ، الرواية. وهنا أذكر الروائية نزهة الرملاوي التي كتبت رواية «تراتيل في سفر روزانا» التي تحدثت عن غزة وما يجري فيها من إبادة ، ثم تبعها المتوكل طه بروايته «أخبار نصف جيدة» ، والتي تُعد نقلة نوعية في الرواية (الساخنة/الواقعية) ، حيث قدّم الواقع من خلال الفانتازيا «الحصان» الذي يستطيع التنقل بين الأمكنة كبساط الريح. وحسب اطلاعي المتواضع ، تأتي رواية «سلالة من طين ، غزة الباكية» كثالث رواية تصدر في الضفة الغربية تتحدث عن غزة الآن.

الأحداث وطريقة تقديمها

تتناول الساردة حياة أسرة فلسطينية تعيش في غزة. «مريم» متزوجة من رجل دين يعاملها بقسوة ، مستندًا إلى تفسيرات متشددة: «الرجال قوامون على النساء ، ومثنى وثلاث ورباع ، واضربوهن». وكلما ضربها ، تعود إلى بيت أهلها لعلها تجد حلًا لواقعها البائس مع زوجها ، الذي تعمدت الساردة عدم ذكر اسمه ، في إشارة إلى نفورها منه ومن سلوكه. لكن الأب يعيدها في كل مرة إلى بيت زوجها مُكرهًا: «البنت مالها غير بيت زوجها... بدك نصير علكة بسلن الناس... اختصري يا مرا... ولا تقوي عين بنتك» (ص64). وفي إشارة إلى كثرة الضرب والإهانة ، تقدم الساردة صورة أدبية مخففة لقسوة المشهد: «قبّل جبينها الذي جعده الهم قبل أوانه» (ص17) ، وهي لفتة تُحسب للرواية.

يستمر الزوج في تعنيفها ، حتى يصل إلى الضرب والحرق ، فتعود كعادتها إلى بيت أهلها. يأخذها شقيقها «آدم» إلى الشرطة لتقديم شكوى ، لكن الأب يتدخل مرة أخرى بسلطته الأبوية: «من امتى بناتنا بتروح على مركز الشرطة... أنا بقرر الكيل طفح أو لا؟! فاهم» (ص20). وهنا تقرر «مريم» الانتحار ، تاركة ابنتها «شفا» خلفها.

أما «نضال» ، الابن الأكبر ، فيذهب لدراسة الطب في مصر ، لكن الاحتلال يعتقله على معبر رفح ، مما يجعل «آدم» الشخصية الفاعلة في الأسرة. بعد انتحار «مريم» ، يشعر الأب بالذنب ، فيموت حسرة على ما فعله بها.

الأم ، من جهتها ، لم تكن سوى متلقية للألم ، بلا فاعلية تُذكر ، تعيش تحت سلطة ذكورية قاسية: «وجه أمه تبكي بحرقة... تبكي لرجوع مريم لزوجها ظلمًا» (ص21). وهكذا تظهر نساء الرواية مظلومات اجتماعيًا ، وهو ما انعكس على الساردة التي انحازت للأنثى ، ليس فقط في طرح الأحداث ، بل حتى في اللغة:

«تصِرّ الشمس أن تبقى شوكة في حلقه ، وتسعى لتكون نجمة تثير قلقه» (ص9).

نلاحظ هنا تأنيث عناصر الضوء (الشمس ، نجمة ، شوكة) مقابل تذكير الظلمة (الليل ، حلقه) ، وقد تكرر هذا النمط في أكثر من موضع. وأحيانًا يظهر نوع من المغالاة ، حين تُصوَّر عناصر طبيعية كالبحر والماء كقوى معادية:

«البحر... يبتلع الصيادين ، ولا يبتلع جنود الاحتلال» (ص44).

وهذا يدل على تماهي الساردة العاطفي مع الأحداث ، مما أثر على حيادية السرد.

الواقع السياسي

تنتقد الساردة الواقع السياسي من خلال حوار «آدم» وخطيبته «هبة»:

«يعني ما بنفع التفاوض إلا بعد ما يستشهد مية شهيد... كل عيلة

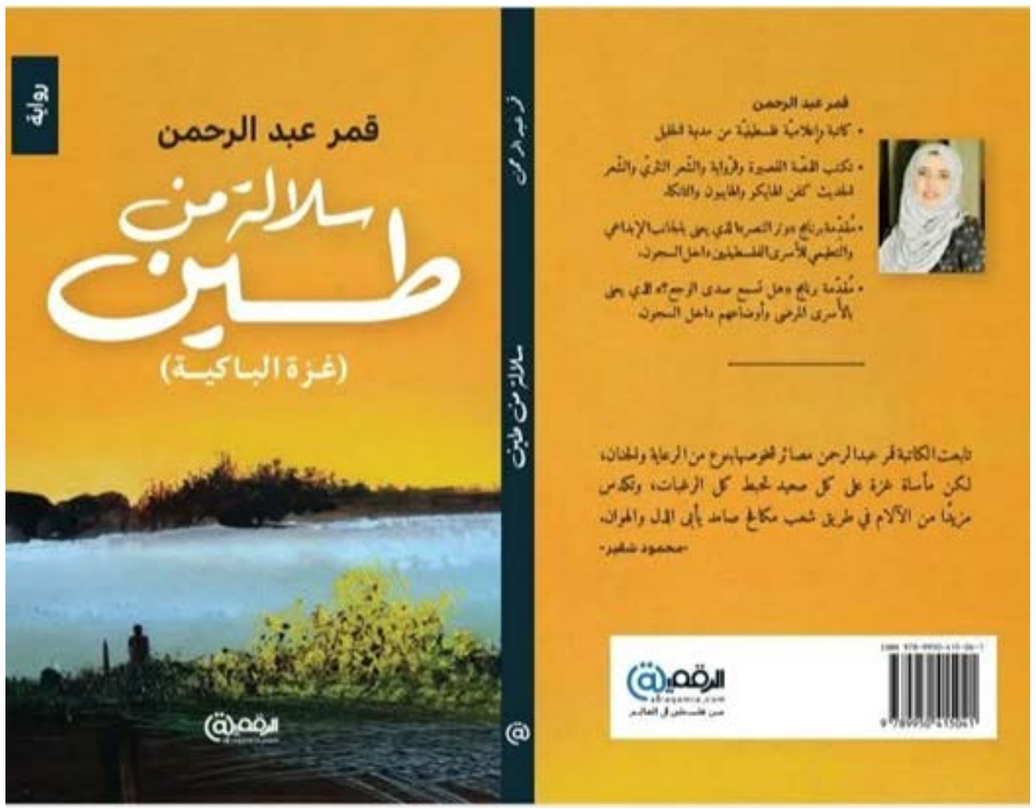

عندها شهيد أو جريح...» (ص136).

وهذا يعكس شعورًا عامًا بالتهميش وغياب الاهتمام بمعاناة الشعب.

الاحتلال

تعرض الرواية صورة واضحة عن جرائم الاحتلال ، من قتل وتدمير ممنهج ، لا يمكن تبريره بالخطأ:

«أكثر من مئتي حالة تم انتشالهم من تحت الأنقاض... وأطفال الشاطئ تفحمت أجسادهم...» (ص144-145).

كما تبرز معاناة الأسرى ، مثل «نضال» الذي اعتُقل إداريًا دون تهمة ، وما يرافق ذلك من معاناة نفسية للعائلة:

«إنها حروب نفسية متتالية نتلقاها يوميًا» (ص56).

العنوان

اختارت الساردة عنوانًا مزدوجًا: «سلالة من طين» و«غزة الباكية».

الأول يشير إلى البعد الاجتماعي والأسري ، والثاني إلى المأساة السياسية. ويمكن ملاحظة تقابل دلالي بين «الطين» (القسوة) و«غزة الباكية» (الأنثى/الضحية) ، مما يعكس انحياز الساردة للأنثى.

الأسماء

استخدمت الساردة أسماء ذات دلالات مقاومة: «نضال ، كفاح...» وأخرى دينية: «آدم ، يوسف ، مريم» ، مما يعزز البعد الرمزي. كما أن موت بعض الشخصيات ذات الأسماء المحببة يشير إلى ظلم الأبرياء.

السرد

جاء السرد بضمير الغائب عبر راوٍ عليم ، ورغم حضور الساردة القوي ، فقد منحت الشخصيات مساحة للتعبير عن آرائها ، خاصة شخصية الأب.

الرواية من منشورات الرقمية للنشر والتوزيع الإلكتروني ، فلسطين ، القدس ، الطبعة الأولى 2025

قراءة في مجموعة «صلاة الدموع» لقمر عبد الرحمن

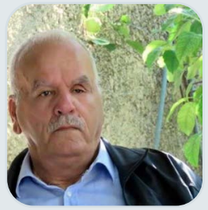

جميل السلحوت.. القدس

عن نادي "الهايكو العربي" صدرت مجموعة "صلاة الدموع" للكاتبة الفلسطينية الشابة قمر عبد الرحمن ، وقد شرّفتني بإرسالها إلكترونيًا. عندما طالعت "قصائد الهايكو" هذه ، تذكّرت ما قاله الراحل العظيم محمود درويش: "دعوا الكتّاب الشباب يكتبون ويجرّبون ، فقد يأتوننا بجديد لا نعرفه."

ومع تأكيدي أن قصائد الهايكو ياباني المنشأ ، وهي جديدة علينا نحن العرب ، فأنا شخصيًا لم أسمع بـ "الهايكو" إلا قبل بضع سنوات لا تتجاوز عدد أصابع اليدين ، ولم أطلع إلا على شذرات منها. لكن هذا لا يعني تجاهلها ، تمامًا كما لا يعني أنها قد تكون بديلًا للشعر العربي بتفعيلاته وبحوره المعروفة. لكنها تعني حتمًا أن شبابنا يبحثون عن جديد يتناسب مع عصر السرعة الذي اجتاح العالم بفعل التطور العلمي والتكنولوجي والإلكتروني.

فهل يأتي انجذاب بعضهم لقصيدة "الهايكو" استجابة عفوية لدعوة محمود درويش السابقة ، التي لم يسمعوها ولم يقرؤوها ولم ينتبهوا لها؟ أم أن في ذلك نبوءة مسبقة لملك الشعر؟

ما علينا ، نعود إلى قمر عبد الرحمن و"قصائدها" التي قرأتها مرتين: الأولى للاطلاع ، والثانية للمتعة والاستفادة. وقد توقفت عند العنوان "صلاة الدموع" متأملًا؛ فالصلاة تعني الدعاء ، والدموع لها أسباب ومعانٍ متعددة ، منها دموع الحزن ، ودموع الفرح ، ودموع اليأس ، ودموع الندم ، ودموع الاستجداء... إلخ. وهذا يعني أننا أمام فلسفة لها جذورها في ثقافتنا الدينية ، ففي معتقداتنا أن الصلاة والدعاء بخشوع ، المصحوب بالبكاء ، يُستجاب.

لكن تساؤلاتي لم تدم طويلًا عندما دخلت إلى فاتحة "الديوان" ، التي يحمل عنوانها اسم الكتاب:

"أنا أجيد الصلاة بدمعي
ماذا عنك؟
أتجيد ترتيل عينيّ؟"

بهذه الكلمات التسع ، اختصرت الكاتبة رواية حب طويلة ، بتكثيف لغوي لافت. فإذا كان أحد طرفي الحب يعبّر عن لواعجه بالدموع ، فإنه يتساءل عن شريكه الآخر: هل يجيد قراءة هذه الدموع وفهمها بخشوع وإيمان؟ وهنا لا بد من التأكيد أن الحبيب في النص ليس بالضرورة من لحم ودم ، بل قد يكون تعبيرًا مجازيًا عن مكامن النفس البشرية. وتتواصل قصائد "الديوان" بلغة رشيقة مكثفة ، لا تخلو من موسيقى ، وبعضها يمكن اعتباره أقصوصة أو ومضة ، لكنها في المحصلة تبقى أدبًا. وقد طرقت الكاتبة في مضامينها أكثر من باب دون تكرار.

وننتقل إلى نص آخر يختصر مأساة مرّ بها شعبنا ولا يزال:

"مخيّم اللاجئين
لأجل الحب والوطن
تزوّجنا بالمقبرة"

فاحتلال الوطن وتشريد الشعب وقتله كان سببًا للمقاومة ، التي ضحّى من أجلها كثيرون ، تاركين الأحبة؛ ليتزوّجوا في الدار الآخرة.

يا إلهي ، كم هو موجع هذا النص!

لن أتطرق إلى كل النصوص ، لأن كل نص منها رواية بحد ذاته ، وهذا بالطبع لا يغني عن قراءة هذه النصوص والاستمتاع بجمالياتها.

يؤخذ على الديوان أن صفحاته غير مرقمة. فتحية لقمر عبد الرحمن ، التي لا أعرفها ولا تعرفني.

قراءة في رواية «كوفيد الأحلام» لقمر عبد الرحمن

زياد جيوسي.. عمّان

قمر عبد الرحمن... هذه الشابة الألقة عرفتها من خلال شعرها النثري في ديوانها "رشفة حقيقة" ، ومن خلال تألقها في شعر الهايكو بديوانها "صلاة الدموع" ، الذي عُرف كأسلوب جديد في الشعر في اليابان. كما عرفتها من خلال سردها الوجداني في "رسائل قمر" ، والتي تستعد لإطلاقها في كتاب يحلّق في فضاء الأدب والإبداع. والأهم أنني عرفتها من خلف الشاشة الزرقاء ، وهي تقدم برنامجها الأسبوعي "وتر النصر" عبر الإذاعة ، هذا البرنامج المتميز الذي جعل من قمر قمرًا ينير ليل الأسرى والعتمة لأبطالنا خلف القضبان.

ففي هذا البرنامج الأسبوعي ، كانت تسلط الضوء على إبداعات الأسرى من خلال كتبهم التي كتبوها وهرّبوها خارج المعتقلات ، رغم كل ظروف الأسرى من مداهمات ومصادرات وحرمان من وسائل الكتابة ، وكذلك على الأسرى الذين يعانون من الأمراض في سجون الاحتلال مع إهمال طبي كبير.

الآن أتعرف عليها في جانب آخر لم أعرفه بها سابقًا ، في مولودها الأول في عالم الرواية ، كروائية تضع أقدامها على أولى درجات السلم الروائي ، من خلال رواية "كوفيد الأحلام" ، التي صدرت عن دار الرعاة للنشر والتوزيع في رام الله ، ودار جسور في عمّان. وقد حملت لوحة الغلاف للفنان غازي النعيم مشهدًا لامرأة ترتدي ثوبًا منسدلًا بلون يقارب لون السنابل قبل الحصاد ، تقف على سلسلة من الحجارة القديمة ناظرة إلى الأفق ، وأمامها حقل قمح قارب الحصاد ، وشمس تختبئ خلف الغيوم ، وقمر كبير في أعلى اللوحة.

أما الغلاف الخلفي ، فيُظهر الفتاة بثوب آخر من اللون ذاته ، تنظر إلى القمر الذي اقترب من الأرض ، في لوحات رمزية تشير إلى مضمون الرواية: المرأة ، الحلم ، والمجتمع الهش الذي تقف عليه. وقد أهدت الكاتبة الرواية إلى أمها وأبيها وزوجها فادي وأختها سماح ، و"إلى كل من يؤمن بأن الأحلام ليست أحلامًا... إنما حقيقة" ، وهو إهداء يمثل جوهر الرواية وهدفها.

رواية تشرفت بكتابة تقديمها ، إلى جانب مقدمة تعريفية للكاتبة اللبنانية ليلى الداهوك ، وأخرى للكاتبة المغربية جليلة الخليع. وهي تجربة خاصة للكاتبة ، تُظهر من خلالها قدرتها على خوض صنف أدبي جديد. الرواية اجتماعية بأسلوب مبسط وسلس ، ولغة متفاوتة القوة حسب مواقع وأحداث السرد ، تنقل تجربة إنسانية تبحث في ظروف وأحداث اجتماعية ، حاملة في ثناياها جمال الحب ومرارة الألم وقوة المعاناة.

ويبرز التساؤل في الفصل الأول كمدخل فلسفي للرواية

"هل نستطيع أن نغفر للقدر قسوته مقابل لحظة دفء مشتهاة؟"

حيث تبدأ الرواية بقسوة القدر ، مع ولادة الشخصية الرئيسة "حبيبة" في لحظة وفاة والدتها ، لتنمو يتيمة في حضن أب وأخوين.

تمكنت الكاتبة من الإمساك بعناصر الرواية الأساسية: وحدة الفكرة الاجتماعية دون قفزات ، اللغة التي مزجت بين الشعر والنثر لخدمة السرد ، والأسلوب الذي جاء متوازنًا بين السرد والحوار. كما اختارت زمن الجائحة ، التي اجتاحت العالم ، وزرعت الخوف والموت ، ومكانًا هو مدينة الخليل ، التي تعرفها الكاتبة جيدًا.

وقد تناولت الرواية العديد من القضايا الاجتماعية ، منها النظرة إلى الأنثى ، خاصة عند تأخر زواجها ، وتسميتها "عانس" ، في حين ترى الكاتبة أن العنوسة في أفكار المجتمع لا في المرأة. كما ناقشت قضايا تمييز الذكر على الأنثى ، والزواج التقليدي ، والزواج المبكر ، والضغوط الاجتماعية على الفتيات ، والعلاقات الأسرية ، والغيرة ، والحسد ، والتحكم الذكوري ، ومنع المرأة من استكمال تعليمها .

كما عرضت الرواية نماذج اجتماعية متعددة ، سواء في الخليل أو خارجها ، مثل عمّان ، مقدّمة نماذج للكرم والبخل ، للبساطة والادعاء ، في إسقاطات يمكن تعميمها على مجتمعاتنا.

اعتمدت الكاتبة على شخصية رئيسة راوية ، وأحسنت توظيف الشخصيات دون حشو ، فجاءت جميعها فاعلة في الأحداث. وكان الصراع واضحًا بين جيلين: جيل محافظ وآخر يسعى للتغيير ، ما خلق حبكة متماسكة تقود القارئ بسلاسة حتى النهاية.

وقد اتخذت الرواية منحى واقعيًا اجتماعيًا ، دون تعقيد أو غرق في الخيال ، منطلقة من تأثير الواقع الاجتماعي والاقتصادي على الفكر والإبداع. فقمر عبد الرحمن تحمل رسالة وطنية ومجتمعية ، ولم تبتعد عن الواقع ، بل عبّرت عن المسكوت عنه تحت غطاء العادات والتقاليد.

نلمس في الرواية تأثيرات نفسية عميقة داخل مجتمع محافظ ، حيث يظهر الصراع بين الماضي والحاضر ، بين التمسك بالتقاليد والرغبة في التغيير. ويبرز شعور الاغتراب لدى الجيل الجديد ، ومحاولات التمرد والهجرة ، في مقابل حالات من الرضوخ.

قدمت قمر عبد الرحمن في روايتها شبكة علاقات اجتماعية متشابكة ، في عمل فني ذي بعد جمالي ، كانت الخليل مسرحه الأساسي ، مع امتدادات إلى عمّان. ورغم خصوصية المكان ، فإن الرواية تعكس واقع المجتمع الفلسطيني عمومًا ، الواقع بين قيدين: التقاليد الموروثة ، والاحتلال.

ثيمات وتساؤلات في رواية «سلالة من طين» للكاتبة الفلسطينية قمر عبد الرحمن.

مصطفى شقرة. سوريا

«كان ليلًا مليئًا بالأسئلة ، من يرفع سكّين الظّلم عن أعناقنا؟ من يدير وجه الموت عن قلوبنا؟ من يحمل حفرة القبر بعيدًا عن أجسادنا؟ هذه الحفرة تدفن الأمنيات بالجملة ، ويجعلها بعيدة المنال ، من يخلّصنا من مجاهل الصّحراء هذه؟ من يقول لنا -غير الله- أنّ هناك بابًا يومًا ما سيُفتح ويعطينا بارقة أمل ، أمل يردّنا إلى أنفسنا ، أمل يحرّك المزلاج ويزحزحه قليلًا مِن صدئه الذي علاه كلّ هذا الزّمن البطيء القاتل؟!»

من رواية سلالة من طين للروائية قمر عبد الرحمن.

تمهيد لابد منه

«الأسئلة المُقيدة: صرخات الألم بين الموت والحياة»

أحببت أن أبدأ قراءتي لهذه الرواية من هذا المقطع المؤلم ، المليء بتساؤلات تتأرجح بين الموت والحياة والوجود ، وكأنها صرخة عميقة من روح تكابد الألم. لم تكن أسئلة الكاتبة مجرد علامات استفهام عابرة في النص ، بل تحولت إلى مشانق خفية تكبّل كل إجابة محتملة. كل سؤال في هذا المقطع كأنه معلّق عند آخر حرف ، محمل بثقل المأساة والقسوة التي تجتاح أرواح شخصيات الرواية ، كل حرف ، كل استفهام ، يمثل جرحًا جديدًا ، يفتح نافذة على الألم والمرارة التي يعيشها الإنسان الفلسطيني.

تطرح الكاتبة تساؤلاتها بأسلوب درامي مُرّ: من سيرفع سكين الظلم عن أعناقنا؟ من سيحمينا من الموت الذي لا يكل عن التربص بنا؟ هذه الأسئلة تتراقص في فضاء قاتم ، تبحث عن إجابة لا يمكن بلوغها إلا في لحظة الانكسار ، تتحول علامات الاستفهام ، التي كانت يومًا مجرد رموز بسيطة ، إلى مشانق تحيط برقابنا ، تكاد تخنق الأمل في قلوبنا. وفي ظل هذه الأسئلة ، لا نجد سوى القتل الصامت الذي ينهش كل ما هو حي ، وكأن الأجوبة قد ماتت قبل أن تولد ، وكأن لكل سؤال جوابًا فقده الرصاص قبل أن يُطرح ، كما لو أن الموت سبق كل محاولة للبحث عن حياة أو أمل.

هذا المقطع يجسد واقع العيش في فلسطين بمرارة ، حيث الموت لا يميّز بين صغير وكبير ، بين شاب في ريعان العشرين أو شخص مرهق في الخمسين. الرصاص والقذائف والصواريخ لا تفرق بين مولود جديد وآخر يوشك على الرحيل. هنا ، الموت هو من يحدد الأعمار ، لا الزمن ولا الحياة.

بهذه الطريقة ، تصبح التساؤلات التي نطرحها في حياتنا أصواتًا تصرخ في الفراغ ، تتناثر دون أن تجد أذنًا صاغية ، هي صرخات ألم تنبع من قصف داخلي في الروح ، تعصر القلب وتغصّ بالحنجرة. تتنقل بين خيال مشوش وواقع مرير ، لتجسد لقاء الأمل باليأس ، وامتزاج الأماني بالهزائم اليومية ، وبينما تحلق هذه الأسئلة في فضاء الخيال ، فإنها تبقى محكومة بالواقع الراهن ، الواقع الذي يشدها إلى الأرض ويقيدها بمرارة لا سبيل للفرار منها.

هذا المقطع يشكل انعكاسًا صادقًا للعنف المستمر ، والقيود التي تكبل الأرواح في هذه الأرض. إنه يشير إلى حياة تشبه السجن الكبير غير المرئي ، حيث لا ترى القيود بعينك ، لكنها تشعر بها في كل خطوة ، هذه القيود تمنع الشخصيات من الفرار نحو الحرية ، فلا مفرّ من هذا الواقع القاسي ، الرواية هنا لا تزيّن الحقيقة ولا تضخم الخيال ، بل تقدم الواقع كما هو: صراع دائم بين الحياة والموت ، بين الأمل الضائع والدماء التي لا تتوقف عن النزف.

عنوان وغلاف الرواية

«سلالة من طين: غلاف يحكي ما لم يُقال وإسقاطات رمزية عميقة»

ننتقل الآن للحديث عن عنوان الرواية وغلافها ، اللذين يشكّلان معًا لوحة فنية متكاملة تكمل رؤية الرواية وتترجمها بصريًا ، الغلاف هنا ليس مجرد غلاف ، بل هو البوابة الأولى التي ندخل من خلالها إلى عالم الرواية ، نافذة تُلقي بوميض من الضوء على أجوائها قبل أن نغوص في تفاصيلها العميقة ، لذلك كانت للكلمة والعنوان أهمية خاصة؛ فالعنوان هو المعبر الأول إلى قلب الرواية ، يحمل بين طياته الرمزية والدلالات العميقة التي يُسطرها النص.

عنوان الرواية ، «سلالة من طين» ، يخبئ في جوفه معنىً عميقًا ، فالإنسان هنا ليس سوى مخلوق طيني ، كما في الأسطورة القديمة؛ يولد من الأرض ويعود إليها ، مدفونًا في دورة الحياة والموت التي لا تنتهي ، في غزة ، الولادة غالبًا ما تأتي في ظل واقع مؤقت ، بينما النهاية متوقعة ومتقاربة ، متصلة بالموت. العنوان يُجسّد هذه الدورة: السلالة التي تولد

هي نفسها التي تموت ، دورة مغلقة بين الحياة والمقبرة ، بين الأحياء والأموات. ففي هذه الأرض ، قد يولد طفل في حيّ ما ، وفي مكان قريب يُدفن طفل آخر نتيجة الحرب والدمار ، فتتداخل الولادات بالموت ، وتصبح الحياة مرهونة بالرصاص والنيران في آنٍ واحد.

لكن «سلالة من طين» لا تعني مجرد أفراد ينتمون إلى أسر أو قبائل معينة ، بل تشير إلى سلالة واحدة تشمل كل سكان غزة ، سلالة التراب الذي يصنع الإنسان. الطين هنا ليس مجرد مكونات أرضية ، بل هو رمز للإنسانية الجامعة ، التي لا تفرق بين أحد وآخر. في غزة ، يولد الإنسان من تراب ويعود إليه ، والطين يجمع الجميع تحت سماء واحدة ، حيث لا فرق بين صغير وكبير ، بين مولود وآخر يفارق الحياة. هذه السلالة الطينية ، المحكومة بالألم والمصير ، لا تملك من الحياة سوى الصراع ، ولا من النجاة سوى مقاومة آلة الحرب القاتلة.

بالنسبة للعنوان الفرعي «غزة الباكية» وهو تجسيد لفكرة أن غزة الأرض تبكي من يعيش عليها ، نيابة عن العالم الذي يشاهد ويتابع من خلف الشاشات كل هذه الالآم دون أن يكترث.

أما الغلاف ، فيعكس هذا المعنى بصريًا بشكل بديع. ينقسم الغلاف إلى شقين: الأمامي يحمل اللوحة الفنية بتفاصيلها ، والخلفي امتداد بصري لوني يُكمل الصورة ويعزز الرسالة الرمزية التي يحملها. الخلفية تحمل لونًا أصفر فاقعًا يميل إلى البرتقالي ، يشبه أشعة الشمس المحجوبة بسحابة من دخان او رماد ، كما في حالة الانفجارات او الحرائق. هذا اللون ليس مجرد لون غروب ، بل هو لون الموت ذاته ، يعكس الدمار الذي يضرب غزة ، ويُظهر الشمس مختفية خلف الرماد ، الحياة التي تُختطف ، والأمل الذي يُمحى بفعل القصف والدمار ، متماشيًا مع أحداث الرواية التي تصور الحرب والدمار المستمرين.

الجزء الأمامي من الغلاف يقدم مشهدًا آخر يروي تفاصيل إضافية للرواية. السماء البرتقالية الفاقعة تعكس الحزن والكآبة التي تسيطر على المدينة بسبب انفجارات القصف ، لتبدو كغروب ليس للشمس وحدها ، بل لغروب الحياة نفسها ، البحر في منتصف اللوحة يحمل تناقضات معقدة بين الحب والكراهية عند آدم ، شاهدًا صامتًا على محطات الأمل وآلام الواقع الذي يعيشه بطل الرواية متجسدًا بالإنسان. ورغم أن الغلاف يصوّر القسوة والموت ، فإنه يحمل أيضًا نفحة من الأمل. في الجزء السفلي يظهر رصيف يطل على البحر ، محاطًا بحجارة سوداء ، ومعه شجيرة خضراء ، رمز للحياة والأمل التي تحاول التمسك بالوجود وسط الدمار ، المقعد الذي يجلس عليه آدم ، بطل الرواية ، يعكس التباين الداخلي لشخصيته ، بين الحب الذي يكنه للبحر بعد تعرفه على هبة والكراهية الناتجة عن الألم اليومي في ظل الواقع القاسي. اللون الأسود المحيط بالمقعد يرمز للحداد والحزن المستمر ، مواكبًا رحلة آدم العاطفية التي تبدأ بالحزن العميق وتنتهي بأمل ضئيل.

الغلاف هنا ليس مجرد لوحة زخرفية ، بل ترجمة حقيقية لروح الرواية ، يعكس المعاناة والأمل ، الدمار والحياة المتجددة ، ويحث القارئ على الغوص في أعماق النص لاكتشاف المزيد. لا يكشف الغلاف عن كل أحداث الرواية مباشرة ، بل يدعو القارئ لاستكشاف الدلالات الرمزية المختبئة بين السطور ، ليصبح العمل الفني والغلاف معًا تكاملًا رمزيًا وتأويليًا يعزز من التجربة الأدبية ويعمّق تأثير الرواية على المتلقي.

مجموعة روايات وأحزان في رواية واحدة

«ثيمات متشابكة: البحر والحب والموت وغيرها في مرايا غزة»

الرواية التي بين أيدينا تبدو وكأنها مرآة كبيرة تعكس واقع غزة ، تنقسم إلى مرايا صغيرة ، كل واحدة منها تحمل جزءًا من الحقيقة المعيشية لأهلها ، هي رواية مكتوبة كما لو على أوراق قديمة مهترئة من شدة الألم والتجربة ، الحروف فيها اختلطت بالجروح والدموع ، وتطايرت هذه الأوراق في الهواء العاصف ، فكل حكاية تبدو كورقة ممزقة تطير مع الريح ، ضائعة في فضاء الزمان والمكان ، لذلك ، تبدو الرواية كأنها مجموعة قصص مترابطة بثيمات متعددة ، لكنها متشابكة بمهارة الروائية المبدعة قمر ، لتشكل نصًا نابضًا بالحياة والألم معًا. الثيمة الأساسية التي تنطلق منها الرواية تتراوح بين الحياة والموت ، الأمل واليأس ، الحرب والحب ، السجن والحرية. كل ثيمة تتجلى في أحداث الرواية لتعكس تجربة إنسانية مشتركة. تبدأ الرواية بثيمة العادات والتقاليد ، حيث نرى مائدة العائلة وما يدور حولها من تفاصيل الحياة اليومية في الشرق ، وبخاصة في غزة ، هذه الثيمة تكشف عن عالم متمسك بعاداته وتقاليده ، رغم كل ما حمله الزمن من تغيرات وتطورات ناشئة عن الحروب. السلطة هنا منصبة على الأب ، الذي يقرر دون نقاش ، وتظل الأسرة والمجتمع أسير هذه الأعراف القديمة. بطلة هذه الثيمة هي مريم ، التي تصبح ضحية لهذه العادات الجامدة ، زواجها غير المناسب والمعاملة القاسية دفعاها للهرب من منزل زوجها ، لتلجأ إلى تقديم شكوى بمساعدة أخيها آدم. ومع تقدم الأحداث ، تتكشف المأساة ، حيث يقوم الأب ، وفق سلطته وتقاليده ، بقتل ابنته بحجة الشرف ، تاركًا أثرًا عميقًا من الحزن والندم. وبعد أن يدرك الأب حجم فعلته ، يدخل السجن مع زوجها العنيف ، وتختتم هذه الثيمة بموت مريم ، تاركةً وراءها ابنتها شفا ، وحزنًا يثقل العائلة ، ويكتمل الحزن بموت الأب الذي يكتوي بندم جريمته.

هكذا ، تنتهي ثيمة العادات والتقاليد البالية ، التي تنتقل من جيل إلى جيل دون أي تعديل ، لتظل حاكمة على حياة الأفراد ، وتستولي على إرادتهم ، مريم هنا تمثل فقدان الهوية الفردية تحت وطأة سطوة المجتمع وأعرافه الجامدة.

ننتقل بعد ذلك إلى ثيمة البحر. وفاة مريم تجعل البحر محورًا عاطفيًا مهمًا بالنسبة لآدم. في البداية ، كان يكره البحر ، ويجعله مسؤولًا عن كل ما حل به من ألم. عندما اكتشف وفاة أخته ، وجدها ممددة في

الحمام ، وامتزج دمها بالماء ، فحفر ذلك المشهد في ذاكرته كرهًا عميقًا للبحر ، بل إن البحر نفسه يصبح سببًا في فقدان أحد أشقائه ، يوسف ، الذي سقط في بئر ، حيث ربط ماؤه بالبحر.

لكن البحر ، مثل الحياة ، يحمل إمكانية التحول. بمرور الوقت ، يتحول كره آدم إلى حب لهذا البحر ، بعد أن يلتقي بهبة ، هبة ، التي رآها على شط البحر ووصفها بأنها «قمر يمشي على سطح البحر» ، تغيّر نظرته للعالم ، فتتحول مشاعره تدريجيًا من الحقد إلى الحب ، ويصبح البحر رمزًا للرومانسية والسعادة ، وكأن قلب آدم يولد من جديد.

الثيمة الثالثة هي الحب ، الذي يملأ حياة آدم بعد لقاءه بهبة في عيادة الأسنان وهي تعمل سكرتيرة ، حين اصطحب والدته بعد معاناة من ألم في أسنانها لتبدأ معها قصة حب رغم فرق السنوات إلا أنها نضجت ، البحر الذي كان يعكس غضبه وألمه يتحول إلى مصدر جمال وسعادة. هبة تصبح الأمل الذي ينقذ قلبه من الماضي المأساوي ، وتنشأ بينهما علاقة حب صادق ، تزدهر حتى يقررا الزواج ، ليصبح الحب منقذًا من واقع الحرب والعنف المحيط بهما.

لكن الحرب ، بثيمتها الثقيلة ، تعود فجأة لتلقي بظلالها على حياة آدم وسكان غزة ، القصف والتدمير يحولان كل شيء جميل إلى حطام ، ومع كل قذيفة يولد موت جديد ، لتصبح غزة مقبرة مستمرة. الحرب تمحو كل ما هو جميل ، ويحل محلها الألم والأسى.

ثم تأتي ثيمة السجن ، التي تجسدها قصة نضال ، الذي كان يسعى لتحقيق حلم والده بأن يصبح طبيبًا. الحروب هنا تمنع الأحلام من أن تتحقق. نضال ، الذي كان يطمح لدراسة الطب والعودة لغزة لمساعدة أهله ، يُعتقل على أحد المعابر ، ليقضي فترة طويلة في السجن. خلال هذه الفترة يسمع عن معاناة معتقلين آخرين ، مثل أبو الوفا الذي أُعتقل بعد ولادة ابنته وفاء وبقي يعاني شوقًا لرؤيتها ، وصديقه كفاح الذي قتل الاحتلال أسرته بقصف منزله ، ثم لحقهم مقهورًا مُهانًا ، هنا يصبح السجن رمزًا للحرية المفقودة ، والموت المتربص بكل من يسعى للحياة.

وأخيرًا ، ثيمة الحياة والموت ، التي تتجلى في موت هبة ونجاة آدم. بعد نجاتها سابقًا هي وآدم من إحدى ليالي القصف الشديد ، حين قررت أن تذهب مع آدم إلى البحر ، وحدثت فاجعة قربهم باستشهاد العديد من الأطفال.

في رحلتهما الأخيرة ، حيث أعطاها آدم اسوارة تحمل خريطة فلسطين ، رمزًا لحبها له وللوطن. وحين طبع على وجهها قبلة الوداع أو الفراق لمّا زارته في بيته على الغذاء ، لم يخطر في بالهم أن هجوم عنيف من الاحتلال ، سيسلب من هبة وعائلتها الحياة ، لتصعد روحها من تحت الأنقاض ، وتبقي تلك الاسوارة شاهدًا على حب لم يكتب له الاستمرار ،

ويجد آدم نفسه وحيدًا ، محاطًا بالدمار والألم ، ليستمر في مواجهة الزمن القاسي. ومع بداية الهدنة ، يبدأ آدم فصلًا جديدًا ، بعيدًا عن كل من فقدهم ، محاولةً استعادة حياته من جديد.

في الختام: الرسالة الإنسانية والفلسطينية

«غصن الزيتون المُفحم: أسئلة الحياة وإدانات الواقع في أرض لا تعرف الهدوء»

إنها رواية تنبض بالإدانة والحزن ، تعبير عن وجع دائم ، وأسطورة كُتبت بدماء الأسى ، تأخذنا إلى قلب فلسطين ، إلى عمق الأرض التي تحمل الألم والصمت في كل ذرة منها ، الكلمات في هذه الرواية تصبح مرآة تعكس حياةً محكومة بالقهر ، صورة صادقة لواقع قاسٍ لا يعرف الرحمة. الكاتبة تتنقل ببراعة بين طبقات لغوية متعددة ، تمتزج فيها الفصحى المتقنة ، التي تنسج الجمل بعناية ودفء ، مع اللهجة الفلسطينية الأصيلة ، لغة أهل غزة ، الحاملة في طياتها مرارة الحياة وقوة الصمود. كل كلمة في الرواية تنبض بالحياة ، وكل جملة تعكس مرارة الاحتلال؛ هنا تتقاطع الألم والمعاناة مع الإصرار على البقاء ، الفصحى تمنح النص العمق ، واللهجة المحلية الفلسطينية تضيف له النكهة الإنسانية الحقيقية ، وكأن الرواية ترتدي ثوب فلسطين المقدس ، ثوب لم يتبق منه سوى خيط واحد ، لكنه خيط متين لا ينقطع.

«سلالة من طين» ليست مجرد رواية ، بل هي سلسلة من التساؤلات التي تهز الأعماق ، أسئلة لا تجد إجابة حول واقع فلسطيني يعاني الظلم ولا يعترف بالعدالة ، الرواية مبتورة الجواب ، كما هو حال الواقع؛ ففي تلك البقاع التي تسكنها الذاكرة ، يصبح التساؤل هو السلاح الوحيد ، بينما تبقى الإجابة بعيدة المنال ، هذا الواقع يشبه سجنًا بلا قضبان ، لكنه يسيطر على الروح ويقيدها بأشباح ومخاوف لا تنتهي ، إنها قصة سجن الحرية ، حيث يجد الإنسان نفسه محاصرًا بين جدران وهمية ، تحاصر الفكر وتُثقل القلب كل يوم بأعباء العجز.

ورغم قسوة الألم ، تظل الرواية محفورة في ذاكرة كل فلسطيني ، كوشم لا يمحى ، هي حداد مكتوب بلغة بليغة وحزينة ، لكنها تحمل في طياتها عزاءً أدبيًا ، يشبه الهدوء الذي يلي العاصفة ، إذ ربما يكون الحزن بداية للشفاء ، وربما يصبح مقاومةً صامتة ، تثبت الوجود وسط الفوضى.

«سلالة من طين» هي نعوة من قمر عبد الرحمن ، تحملها من أرض لا تعرف الهدوء لتصل إلى العالم ، معبرة عن فلسطين التي تتألم تحت وطأة الظلم. إنها غصن زيتون متفحم ، التهمته النيران الحاقدة ، ومع ذلك تبقى الأسئلة معلقة: هل يمكن لهذا الغصن أن يزهر من جديد؟ وهل من الممكن أن يولد سلام في أرضٍ اعتادت الألم؟

إصدارات

- قميص يعقوب» ديوان للشاعر يحيى الحمادي، الصادر عن دار عناوين بوكس ، بوصفه امتدادًا لتجربته الشعرية التي كرّست حضورًا واضحًا في المشهدين اليمني والعربي. يواصل الحمادي في هذا العمل اشتغاله على ثيمات الفقد والمنفى والذاكرة ، بلغة مكثفة وصور شعرية عميقة ، حيث تتحول القصيدة إلى مساحة للتأمل في أثر الحرب وما تخلّفه من ندوب في الروح الإنسانية.

- «حُمينيَّات يمانية» ديوان شعري للكاتبة نوال القليسي، كإضافة مميّزة إلى الشعر الشعبي اليمني ، إذ يضم مجموعة من القصائد الغنائية التي تستلهم التراث وتعيد تقديمه بروح معاصرة ، في عمل يقع في 87 صفحة ، ويؤكد حضور الصوت النسوي في هذا الحقل الأدبي. الكتاب صادر عن نادي القصة اليمنية (إل مقه)

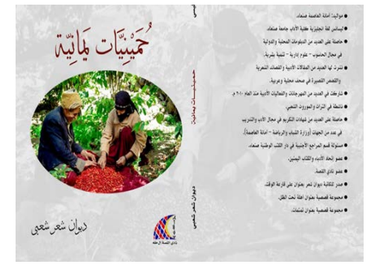

- "أبو الروتي" للكاتب والشاعر الساخر عبدالكريم الرازحي، والصادر عن دار عناوين بوكس في القاهرة. هذا العمل لا يندرج ضمن السيرة الذاتية التقليدية ، إنما يشكّل ما يمكن وصفه بـ"متحف سردي" يوثق لحظة التحول الحضاري في اليمن ، من خلال تجربة طفل ينتقل من الريف إلى مدينة عدن في ستينيات القرن الماضي.

- «أسرار النجوى» رواية للروائية شذا الخطيب عن دار آرام للنشر والترجمة في تونس ، وهي العمل التاسع في مسيرتها ، ما يعكس استمرارية المشروع الروائي لديها.

- «أوراق من مملكة سبأ» رواية للدكتور أحمد قاسم العريقي، الرواية صادرة عن مكتبة خالد بن الوليد في صنعاء ، والرواية تنفتح على أسئلة الهوية والتاريخ والتحولات الفردية.

- «خطوات الأعمى» رواية للروائي نجيب التركي، والتي تفتح على أسئلة الهوية والتاريخ والتحولات الفردية. الرواية صادرة عن مكتبة خالد بن الوليد في صنعاء

- «المرايا والرؤى» للدكتور عبد الحميد الحسامي، الصادر عن دار عناوين بوكس ، الذي يتناول أدب الزبيري ،

- «ببليوغرافيا الرواية اليمنية» للكاتب والقاص زيد الفقيه، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب ، والذي يشكّل مرجعًا مهمًا للباحثين والمهتمين بتطور السرد اليمني.

- «كثيرٌ من الأدب وقليل جدًا في السياسة» للدكتور عبد الحكيم باقيس، والتي تعكس تداخل الحقلين الثقافي والسياسي ، وتطرح تساؤلات حول دور المثقف في زمن التحولات. الكتاب صادر عن مكتبة الورّاق.. حضرموت.

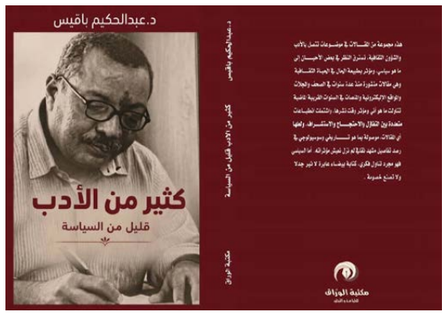

-«هدير البرحاء» مجموعة قصصية للقاصة صباح الهمداني،

المجموعة صادرة عن مكتبة خالد بن الوليد

- «أنين الغيم» لخالدون الدالي، حيث يلتقط التفاصيل الإنسانية الدقيقة،

وتقديمها ضمن رؤى فنية متعددة. المجموعة صادرة عن مكتبة خالد بن الوليد.

أوس الإرياني

الـبـيـت

تردّدت كثيرًا قبل أن أضع يديّ على الكيبورد أو أمسكَ القلم ، وعلى الرغم من أنّ الصديق العزيز رئيس التحرير بلال قائد قد خصّص مقاله السابق للحديث عن إغلاق البيت اليمني للموسيقى والفنون ، وتوقُّف نشاطه إلا أني لم أستطع أن أكتب في نفس الموضوع. كشاعر فقد أمّه ، وعجز قلمه عن سكب دموعه حبرًا على الورق.

قد يكتب الناس عن توقّف نشاط فنّي بإغلاق البيت اليمني للموسيقى والفنون لكنّه بالنسبة لي توقّف نبض. كلّ نغمة بيانو ، أو دقّة عود ، أو سحبة كمان في هذا "البيت" كانت نبضًا للحياة ، وهمسة أمل في ظلّ اليأس.

قابلت الأستاذ فؤاد الشرجبي لأول مرة في سوريا عن طريق الأستاذ عبدالولي الطوقي ، وكانا يدرسان في الجمهورية العربية السورية ، وكنت أنا أصغر سنًّا ، ولم أكن أعرف أنّ الزمن سيدور ، وسيتحوّل هذا اللقاء العابر إلى مسيرة طويلة تجعلني أتعرّف على هذا الإنسان -فعلًا- عن قرب. إنسان لا يكتفي بأن يدعمك إذا سنحت له فرصة بل يبحث هو عن طريقة ليدعمك بها. لا ينفع الناس إذا عرضَت له الفرصة بل يسعى سعيًا وراء أيّ فرصة يدعم بها موهبة ، أو يدفع متردّد إلى أخذ الخطوة الأولى ، فأحبَّه الناس ، "فأحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس ، ومن أحبَّه الله أحبّه الناس".

شخصيًّا لن أنسى عندما دعاني الأستاذ فؤاد إلى إحدى المجموعات الثقافية التي تعقد اجتماعًا أسبوعيًّا لمناقشة كتاب أو موضوع ، واستطعت فعلا خلال أكثر من سنة من الانتظام في الحضور حتى عام 2019 تقريبًا -إذا لم تخنّي الذاكرة الخؤون- إذ انفرط عقد هذه المجموعة بعدها نتيجة سفر مجموعة من القائمين عليها ، وأثّر هذا بي كثيرًا بعد أن تعوّدت أن أشغل أوقات فراغي بالتجهيز والإعداد لهذه اللقاءات الأسبوعية ، وخشيت أن يترك ذلك في نفسي فراغًا كبيرًا ، فالفراغ يستحضر الهموم والأحزان ، وما أن التقيت الصديق فؤاد الشرجبي في مقهى "كوفي كورنر" -الذي أغلق لاحقًا ككلّ شيء جميل- وشكوت له حالي ، وأخبرته عن عزمي تشكيلَ "كيان" ثقافي يقدّم فعالياته للعامة لا لمجموعة خاصة حتى بادر دون تردّد إلى عرض أن يستضيف "البيت اليمني للموسيقى والفنون" فعاليات هذا الكيان ، فكان "ملتقى كيان الثقافي" الذي استمرّ في تقديم فعالياته منذ عام 2019 في قاعة البيت اليمني حتى تمّ إغلاق القاعة! فتوقّف نبض حياة.

إن أعمال هذا "البيت" تُعدُّ ولا تحصى ، وأثر "البيت" طال نفوسًا كثيرة فبثّ فيها الحياة ، وما تحدّثت عن "ملتقى كيان الثقافي" إلا كمَثَل كنت شاهدًا عليه ، عالمًا بتفاصيله. أما المشاريع والخدمات التي قدّمها "البيت" فهي تتجاوز حدود مقال في مجلة تعدُّ عليّ إدارة التحرير كلماته كيلا أتجاوز السقف هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لست أفضل مَن يمكنه التحدّث عن هذه المشاريع ، ولكنّي لمست مثلا أثر المسلسل الإذاعي الذي وثّق "الأساطير اليمنية" ، وشهدت إحياء "القنبوس" ، و"إعادته إلى السطح" من خلال تدريب عدد من الشباب على "صناعة" القنبوس ، والعزف عليه ، والكثير من المشاريع الأخرى.

تخنقني العبرة ، وأنا أجمع ذكرياتي ، وأحملها معي مغادرًا "البيت".. أقف عند باب القاعة ، وهي فارغة مظلمة باردة ، فيبدأ الضوء يتسرّب من اللامكان مضيئًا خشبة المسرح ، فأرى "أبرار" و"صهيب" يعزفان على البيانو ، و"أصيل" يحاور كمانه ، و"أدهم" يداعب أوتار القنبوس ، والكثير من طلاب "البيت" يعزفون للحياة ، وأساتذتهم يشعرون بالفخر والسعادة ، و"أنديرا" تعبّر عن فرحها بدمعة ، و"فؤاد" يخونه صوته فيسكت قليلا ليستعيد قدرته على الكلام.

"البيت" يناديكم ، فهل تسمعونه؟ إنّه يقول لكم: لا يمكن للنور أن ينطفئ.

أختم بأبيات كتبتها بعد حضوري الحفل الموسيقي للطلاب المتخرجين عام 2023 ، وأثناء الحفل انهمرت قطرات المطر بإيقاع سماويّ صنع "هارموني" جميل مع صوت الوتر. قلت فيها بالعامية:

صوت الوترْ
رنّ
واتجمّد على اللحظة الزمنْ
مثل المطرْ
شنّ
في روح المهاجر له شجنْ
إذا ذكرْ
حنّ
واتشوّق إلى حضن الوطنْ
من السهرْ
أنّ
أنّة مَن فقد أمّه ، وحنْ
دوا البشرْ
فنّ
يشفي القلب من هذا الحزَنْ
دُقّ الوترْ
غنّ
واصنع فرحتك يا ابن اليمنْ

سلاف للثقافة
SULAF.ORG

سلاف للنشر
Sulaf for Publishing

قريبًا

مركز سلاف للتدريب
Sulaf Training Center

سلاف الثقافية

للإعـــــلان فـــي المـــجـــــلة

التواصل معنا على البريد الالكتروني ads@sulsf.org